المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الدراسات الإسلامية

شعبة العقيدة

منهج أبي بكر ابن العربي وآراؤه في الإلهيات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة



إعداد الطالب

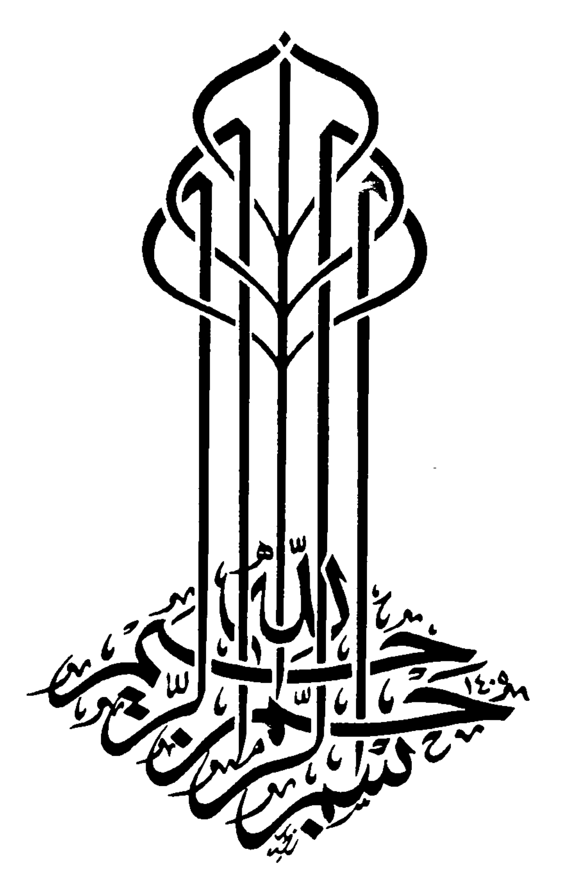
سعد بن فلاح بن عبدالعزيز العريفي



إشراف فضيلة الأستاذ

أ.د/ محمد أبو الغيط الفرت

١٤١٨ هـ



﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

المقدمة

وتشتمل على :

١. أهمية الموضوع .
٢. أسباب اختياره .
٣. العمل الذي سرت عليه في إعداد هذا الموضوع .
٤. خطة البحث .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿**ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[١]

﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**﴾[٢].

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ۞ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فوزاً عظيماً**﴾[٣] .

أما بعد :

فإن علم التوحيد هو أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق. وذلك لتعلقه بذات الرب جل وعلا وألوهيته وأسمائه وصفاته ، إذ شرف العلم يحصل بشرف المعلوم. ولما كان كذلك كانت حاجه العباد إلى معرفته فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فلا حياة للقلوب ولا طمأنينة للنفوس إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها.

ولأجل هذا العلم خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب. كما قال ﷻ ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[٤]. وقال تعالى ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة**

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء : آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٧٠-٧١) .

(٤) سورة الذاريات : آية (٥٦) .

رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾(١).

ولما كان علم التوحيد بهذه المنزلة العظيمة والدرجة العالية الرفيعة حرصت أن يكون موضوع بحثي التكميلي لنيل درجة الماجستير في علم التوحيد ، وقد اخترت أن يكون بعنوان (منهج أبي بكر ابن العربي وآراؤه في الإلهيات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) .

أهمية الموضوع :

تتمثل أهمية هذا الموضوع في عدة أمور أهمها مايلي :

١) يبرز آراء عالم من علماء الأمة الإسلامية. كان له أثر بالغ في حفظ تراث هذه الأمة .

٢) يكشف عن منهج إمام انتشرت كتبه وذاع صيته ، وتأثر به من بعده في مسائل العقيدة، وخاصة في بلاد الاندلس .

٣) يجمع الأقوال التي ذهب إليها ابن العربي في مختلف مسائل الإلهيات. مما قد تفرق في كتبه. ثم ترتيبها ودراستها في ضوء منهج أهل السنة والجماعة .

٤) يبين جهود ابن العربي في رده على الفلاسفة والباطنية والمعتزلة وغيرهم من طوائف المبتدعة.

أسباب اختياره :

يمكن إجمال أسباب اختيار هذا الموضوع في الأمور التالية :

١) مكانة ابن العربي العلمية وانتشار مؤلفاته في العالم الإسلامي .

٢) ماتضمنته كتب ابن العربي من مباحث عقدية مختلفة جديرة بالدراسة والاهتمام.

٣) معرفة مدى تأثر ابن العربي بشيوخه الذين تلقى عنهم على اختلاف مشاربهم .

---

(١) سورة النحل : آية (٣٦) .

٤) حاجتي العلمية إلى بحث مثل هذا الموضوع والاستفادة منه.

٥) تشجيع كثير من أهل العلم من أساتذتي وزملائي للبحث في هذا الموضوع .

٦) أن هذا الموضوع لم يسبق أن بحث على هذا المنوال حسب علمي .

العمل الذي سرت عليه في إعداد هذا الموضوع :

١) جمعت ماهو موجود من كتب ابن العربي المطبوعة ، وما استطعت الحصول عليه من كتبه المخطوطه ، وخاصة مايتعلق بموضوع الإلهيات .

٢) قرأت ماتحصل لدي من كتب ابن العربي ، واستخرجت منها ماله تعلق ببحثي من مسائل الإلهيات وغيرها .

٣)قمت بترتيب ماوقفت عليه من آراء ابن العربي في مسائل الإلهيات حسب خطة البحث .

٤) ذكرت رأي ابن العربي في كل مسألة من مسائل هذا البحث ، وأتبعته بذكر بعض أقوال السلف تأييداً له إن كان موافقاً ، وتصويباً إن كان مخالفاً .

٥)صدرت المباحث ببعض التعريفات اللغوية والاصطلاحية عند الحاجة إلى ذلك .

٦) عزوت الآيات القرآنية الواردة في هذا البحث إلى سورها .

٧) خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الاصلية مكتفياً بالتخريج من الصحيحين إن كان الحديث فيهما أو أحدهما، وإن لم يكن فيهما خرجته من مصدرين من مصادر السنة الشريفة ، مع الحكم عليه من خلال كلام بعض أئمة الحديث. وهذا في الغالب.

٨) ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث دون المشاهير منهم كالصحابة ﷺ.

٩) عرفت بالفرق والطوائف، وشرحت الكلمات الغريبة الواردة في البحث .

١٠) نسبت الأبيات الشعرية إلى أصحابها ، وعزوتها إلى دواوينها أو مظانها المعتبرة، وهذا في الغالب .

١١) ذيلت هذا البحث بعدة فهارس تسهيلاً للوصول إلى ماحوته من المعلومات.

وذلك كما يلي :

- فهرس للآيات القرآنية .
- فهرس للأحاديث النبوية .
- فهرس للآثار .
- فهرس للأبيات الشعرية .
- فهرس للأعلام المترجم لهم .
- فهرس الفرق والطوائف والكلمات الغريبة .
- فهرس للبلدان المعرف بها .
- فهرس للمصادر والمراجع .
- فهرس عام للموضوعات .

هذا وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

وتفصيل ذلك كما يلي :

المقدمة : وتشتمل على :

١) أهمية الموضوع .

٢) أسباب اختياره .

٣) عملي في البحث .

٤) خطة البحث .

التمهيد : ويشمل الكلام عن حياة ابن العربي.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الاول : اسمه وولادته ونشأته .

المبحث الثاني : طلبه للعلم ورحلاته .

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه ومصنفاته .

المبحث الرابع : وفاته وثناء العلماء عليه .

الباب الأول
منهج ابن العربي في تقرير مسائل الإلهيات

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : منزلة العقل والشرع عند ابن العربي في استدلاله على الالهيات .

وفيه مبحثان :

المبحث الاو ل : موقفه من الاستدلال بالعقل في الالهيات .

المبحث الثاني : موقفه عند تعارض العقل و الشرع .

الفصل الثاني :موقف ابن العربي من نصوص الصفات .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التأويل .

المبحث الثاني : التفويض .

الفصل الثالث : موقف ابن العربي من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة:

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حجية خبر الآحاد في العقيدة عند ابن العربي .

المبحث الثاني : حكم من رد خبر الآحاد عند ابن العربي .

الفصل الرابع : موقف ابن العربي من أهل البدع .

الباب الثاني
توحيد الربوبيه وتوحيد الألوهية

الباب الثالث
توحيد الاسماء والصفات

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : موقف ابن العربي من اسماء الله تعالى :

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : طرق إثبات اسماء الله تعالى عند ابن العربي.

المبحث الثاني : عدد اسماء الله تعالى عنده.

المبحث الثالث : تعيين اسماء الله الحسنى عنده.

المبحث الرابع : مراد ابن العربي بالاسم الاعظم .

المبحث الخامس : موقفه من اسم الجلاله (النور) .

الفصل الثاني : موقف ابن العربي من صفات الله تعالى :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الصفات الذاتية:

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصفات الذاتية التي اثبتها ابن العربي .

المطلب الثاني : الصفات الذاتية التي أولها ابن العربي .

المبحث الثاني : الصفات الفعلية.

الفصل الثالث : موقف ابن العربي من رؤية الله تعالى

وفيه مبحثان

المبحث الأول : رؤية الله تعالى في الآخرة .

المبحث الثاني : رؤية الله تعالى في الدنيا .

الفصل الرابع : موقف ابن العربي من قضاء الله وقدره :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بقضاء ا لله وقدره .

المبحث الثاني : أفعال العباد .

المبحث الثالث : الاحتجاج بالقدر .

الخاتمة.

وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث .

الفهارس.

وختاماً أقول إن هذا جهد المقل ، فما كان من صواب فمن ا لله تعالى وبتوفيقه، وماكان من خطأ فمني ومن الشيطان، ولاأدعي الكمال ، ولاأني أصبت في كل ماقلت ، لأن النقص والخطأ من طبيعة البشر، والكمال إنما هو لله وحده، ولكن حسبي أني بذلت وسعى واستفرغت جهدي ، وا لله أسأل أن يغفرلي زللي وأن يعيذني من فتنة القول وفتنة العمل .

ولا يفوتني في هذا المقام أن اتوجه بالشكر لجامعة الملك سعود ممثلة في كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية على إتاحه الفرصة لتسجيل هذه الرسالة .

كما أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لفضيلة الدكتور/ محمد أبو الغيط الفرت المشرف على هذه الرسالة الذي أمدني بتوجيهاته وآرائه، وغمرني بلطفه وحسن خلقه ، ووفر لي الكثير من وقته ، فجزاه ا لله خير الجزاء ووفقنا وإياه للعلم النافع والعمل الصالح .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أعانني على استكمال هذا البحث من مشائخي وزملائي بإشارة أو إعارة أو دعاء .

وأخص منهم فضيلة الدكتور/ عبدالرحمن بن صالح المحمود الذي نفعني بعلمه وحسن درايته ، فجزاه الله عني خير الجزاء واجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

ويشمل الكلام عن حياة ابن العربي:

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : اسمه وولادته ونشأته .

المبحث الثاني : طلبه للعلم ورحلاته .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه ومصنفاته .

المبحث الرابع : وفاته وثناء العلماء عليه

المبحث الأول
اسمه وولادته ونشأته

١. اسمه :

هو الإمام العالم الحافظ محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد المعافري الاندلسي الإشبيلي ، المالكي المشهور بـ (ابن العربي) [١].

كنيته : أبوبكر .

وقبيلة مَعَافِر (بفتح الميم والعين وكسر الفاء) هي إحدى القبائل العربية القحطانية . وهي من سلالة معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بطن من بطون قحطان [٢].

قال ابن حزم[٣] عن آل يعفر (وهم باليمن والأندلس ومصر)[٤].

وتنسب إلى هذه القبيلة الثياب المعافرية التي كانت مشهورة في زمن النبي - ﷺ- وقد ورد في حديث معاذ - ﷺ - (أن النبي -ﷺ- بعثه إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله مَعَافِرياً)[٥] قال في النهاية بعد ذكر هذا الحديث (هي برود باليمن منسوبة إلى مَعَافِر وهي قبيلة باليمن) [٦].

وأما والده أبو محمد عبدالله ابن العربي : فقد كان من وجوه علماء

---

(١) انظر: بغية الملتمس ص (٨٠) وتذكرة الحفاظ (٤/١٢٩٤) .

(٢) انظر: معجم البلدان ص (١٧٨ - ١٧٩) .

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، الإمام الحافظ ، العلامة الشهير ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ وتوفي ببادية ليلة من بلاد الأندلس سنة ٤٥٦هـ وقد جاوز التسعين ، انظر: البداية والنهاية (١٢/٩٨) وسير أعلام النبلاء (١٨/١٨٤).

(٤) انظر: جمهرة أنساب العرب ص (٣٩٣) .

(٥) أخرجه أبو داود (١/٣٩٧) كتاب الزكاة ، باب زكاة السائمة ، النسائي (٥/٢٥) كتاب الزكاة ، باب زكاة البقر ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٩٦) .

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٦٢) .

إشبيلية(١)، ومن وزراء الدولة العبادية ومن أعيانها البارزين . وخاصة في زمن المعتمد بن عباد(٢)، آخر ملوك إشبيلية .

وقد كان من أهل الآداب الواسعة فهو إلى جانب علمه وفقهه قد برع في اللغة والشعر والبلاغة والفصاحة ، والتفنن في جمع العلوم ومعرفة الأخبار .

وقد لازم ابن حزم سبعة أعوام وسمع منه معظم مصنفاته ، كما سمع ببلده من أبي عبدالله بن منظور(٣) . وسمع من الفقيه ابن عتاب(٤)، بقرطبة(٥) . وقد رحل إلى المشرق مع ابنه أبي بكر بعد سقوط دولة بني عباد سنة خمس وثمانين وأربعمائة كما سيأتي(٦). وتوفي -رحمه الله- بمصر في منصرفه من رحلته إلى المشرق سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة(٧).

وقد صاهر أبو محمد ابن العربي أسرة عريقة ذات مكانة سامية بإشبيلية وهي أسرة أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني(٨) أحد أعيان إشبيلية وعمائها. وقد كان أبوحفص صاحب الحل والعقد في مدينة إشبيلية قبل أن يفضي أمرها إلى الدولة

---

(١) إشبيلية : بالكسر ثم السكون ، وكسر الباء الموحدة ، وياء ساكنة ولام ، وياء خفيفة ، مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس ، وتسمى حمصاً أيضاً ، كان بها بنو عباد ، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف. وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه ، انظر: معجم البلدان (٢٣٢/١) .

(٢) هو أبو القاسم محمد بن المعتضد عباد بن القاضي محمد بن إسماعيل اللخمي الأندلسي ، صاحب الأندلس. كان ملكاً حازماً شهماً داهية، علا شأنه ودانت له الأمم ، توفي سنة ٤٨٨ هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (٥٨/١٩-٦٦) ، شذرات الذهب (٣٨٦/٣-٣٩١) .

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور القيسي الإشبيلي ، فقيه محدث رواية ، كان من أفاضل الناس ، توفي سنة ٤٦٩ هـ . انظر: بغية الملتمس ص ٤٤ ، وسير أعلام النبلاء (٣٨٩/١٨) .

(٤) هو عبدالله محمد بن عتّاب بن محسن مولى عبد الملك بن سليمان بن أبي عتاب الأندلسي ، مفتي قرطبة ، كان فقيهاً ورعاً عاملاً بصيراً بالحديث وطرقه ، توفي سنة ٥٦٢ هـ ، انظر: الصلة (٥٤٤/٢) وسير أعلام النبلاء (٣٢٨/١٨ - ٣٣٠) .

(٥) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، بها كانت ملوك بني أمية ، بينها وبين البحر خمسة أيام . انظر: معجم البلدان (٣٦٨/٤) .

(٦) انظر: ص ١٩ .

(٧) انظر: الصلة لابن بشكوال (٢٨٨/١-٢٨٩) وبغية الملتمس ص (٢٩٢) وسير أعلام النبلاء (١٣٠/١٩-١٣١) .

(٨) انظر: الصلة (٤٠٢/٢) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٣٧/٢ - ٣٠٨) .

العبادية . ولما وقعت إشبيلية تحت حكم بني عباد وأفضى أمرها إليهم خشي أبوحفص على نفسه فرحل إلى مصر ثم إلى مكة ، إلا أنه لم يلبث أن رجع إلى مدينة إشبيلية في ولاية المعتضد بن عباد ، فما كان من المعتضد إلا أن فتك به وقتله بيده. بعد أن أحضره إلى قصره وأمر فتيانه بقتله فلم يقدموا عليه إجلالاً له، فباشر قتله بيده، ودفنه بثيابه داخل القصر من غير غسل ولا صلاة، وذلك سنة ٤٦٠هـ[١].

فأثر ذلك العمل الشنيع في ولده أبي القاسم[٢] خال أبي بكر بن العربي ، الذي حضر هذه الفعلة ، فما كان من أبي القاسم إلا أن اتصل بأمير المرابطين . وجعل يحرضه على المعتضد بن عباد حتى نال غرضه فأطاح بدولته وأزال ملكه[٣].

٢ - ولادته ونشأته :

ولد أبو بكر ابن العربي بمدينة إشبيلية ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة هجرية (٤٦٨هـ)[٤] ، وقيل إن ولادته كانت سنة تسع وستين وأربعمائة (٤٦٩هـ)[٥] ، إلا أن الراجح في ذلك هو القول الأول[٦]. وهو الذي صرح به ابن العربي نفسه كما ذكر ذلك تلميذه ابن بشكوال[٧] حيث قال (وسألته - يعني ابن العربي - عن مولده فقال لي : ولدت ليلة الخميس ، لثمان بقين من شعبان ، سنة ثمان وستين وأربعمائة)[٨]. وقد نشأ أبوبكر ابن العربي في أحضان أسرته العريقة نشأة علمية بين والده أبي محمد ابن العربي وخاله أبي القاسم الهوزني حيث حرصا على تعليمه ، وتكوينه منذ صغره ، وقد وصف أبو بكر نشأته بنفسه وكيف كان اعتناء والده به في شبابه فقال - رحمه الله - (وكان من حسن قضاء

---

(١) انظر: الصلة (٤٠٢/٢) ونفح الطيب (٣٧/٢-٣٠٨) .

(٢) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي انظر: ص (٣٠)

(٣) انظر: نفح الطيب (٣٠٨/٢) وانظر: قانون التأويل ص (٧٦).

(٤) انظر: بغية الملتمس ص (٨٤) . والديباج المذهب ص (٣٧٨) .

(٥) انظر: وفيات الأعيان (٢٩٧/٤) .

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٨/١٩) ونفح الطيب (٢٤٧/٢).

(٧) ستأتي ترجمته في تلاميذ ابن العربي ص (٣٦) .

(٨) الصلة لابن بشكوال (٥٩١/٢) .

الله، إني كنت في عنفوان الشباب ، وريان الحداثة وعند ريعان النشأة ، رتب لي أبي - رحمه الله - معلماً لكتاب الله ، حتى حفظت القرآن في العام التاسع ، ثم قرن بي ثلاثة من المعلمين أحدهم هو لضبط القرآن بأحرفه السبعة التي جمعها الله فيه ، ونبه الصادق ﷺ عليها في قوله :(أنزل القرآن على سبعة أحرف) [١]، في تفصيل فيها. والثاني لعلم العربية ، والثالث للتدريب في الحسبان ، فلم يأت على ابتداء الأشد في العام السادس عشر من العدد ، إلا وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً من عشرة بما يتبعها من إدغام ، وإظهار ، وقصر ، ومد ، وتخفيف ، وشد ، وتحريك ، وتسكين ، وحذف ، وتتميم ، وتدقيق ، وتفخيم .

وقد جمعت من العربية فنوناً ، وتصرفت فيها تمريناً ، منها كتاب (الإيضاح) للفارسي [٢]، والجمل [٣]، وكتاب النحاس [٤] (الأصول) لابن السراج [٥] ، والدُّرَيْود [٦]،.

وسمعت كتاب الثمالي [٧] وكتاب الصناعة الأصلي الذي أنهى

---

[١] أخرجه البخاري ، الفتح (٩/٢٣ ح ٤٩٩٢) كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. ومسلم (٤٦٨/١ ح ٢٧٠) كتاب صلاة المسافرين باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف .

[٢] هو أبو علي الحسين بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي ، أحد أئمة اللغة كان متهماً بالاعتزال ، وكان مقدماً عند عضد الدولة بن بوية وقد صنف له كتاب الإيضاح ، توفي سنة ٣٧٧هـ ، وفيات الأعيان (٨٠/٢)، شذرات الذهب (٨٨/٣) .

[٣] كتاب الجُمَل لعبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي النهاوندي ، النحوي ، المتوفي سنة ٣٣٧هـ ، انظر: شذرات الذهب (٣٥٧/٢) ، ومعجم المؤلفين (١٢٤/٥) .

[٤] هو أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المري ، المعروف بالنحاس لغوي المفسر الأديب ، توفي سنة ٣٣٨هـ ، انظر: البداية والنهاية (٢٣٦/١١) ، معجم المؤلفين (٨٢/٢) .

[٥] أبو بكر محمد بن السراج النحوي البغدادي المعروف بابن السراج ، إمام من أئمة النحو والأدب ، وقد جمع في كتابه الأصول أصول العربية ورتب مسائل سيبوية ، توفي سنة ٣١٦هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨٣/١٤) ، وشذرات الذهب (٢٧٣/٢-٢٧٤)

[٦] هو عبدالله بن سليمان بن المنذر الأندلسي القرطبي ، المعروف بـ (درود) كان من أهل العربية والآداب ، شاعراً له كتاب في العربية ، توفي سنة ٣٢٥ هـ ، انظر: معجم المؤلفين (٦١/٦) .

[٧] هو أبو العباس، محمد بن يزيد الأزدي، المعروف بـ(المبرِّد) النحوي البصري إمام في اللغة، من كتبه المقتضب في النحو، ولعله الذي أراده ابن العربي، توفي سنة ٢٨٥هـ. انظر: البداية والنهاية ٨٤/١١ ومعجم المؤلفين ١١٤/٢.

الخليل[١] إلى سيبويه[٢] تصنيفه ثم تولى سيبويه نظمه وترتيبه ، وقرأت من الأشعار جملة منها الستة[٣] وشعر الطائي[٤] والجعفي[٥] ، وكثيراً من أشعار العرب والمحدثين.

وقرأت في اللغة كتاب ثعلب[٦] و (إصلاح المنطق)[٧] و(الأمالي)[٨] وغيرها.

وسمعت جملة من الحديث على المشيخة .

وقرأت علم الحسبان : المعاملات ، والجبر ، والفرائض عملاً ، ثم كتاب إقليدس[٩] وما يليه ...

يتعاقب عليّ هؤلاء المعلمون من صلاة الصبح إلى أذان العصر ثم ينصرفون عني، وآخذ في الرّاحة إلى صبح اليوم الثاني ، فلا تتركني نفسي فارغاً من

---

(١) هو أبو عبدالرحمن ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أول من استخرج العروض وحصّن به اشعار العرب ، كان رأساً في لسان العرب . ديناً ورعاً قنعاً ، متواضعاً . من اهم كتبه (العروض ، والشواهد ، والحسن) توفي سنة ١٧٠ هـ . انظر سير اعلام النبلاء (٤٢٩/٧) ومعجم المؤلفين (١١٢/٤)

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ، المعروف بـ (سيبوية) إمام النحو ، حجة العرب ، طلب الفقه والحديث ، ثم أقبل على علم العربية ، وصنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) توفي سنة ١٨٠هـ ، انظر السير (٣٥١/٨) وشذرات الذهب (٢٥٢/١) .

(٣) هي الشعار : (امرئْ القيس والنابغة وعلقمة وعنترة وزهير وطرفه) صنع دواوينهم الاصمعي ونقلها ابو علي القالي إلى الاندلس ، انظر الفهرست لابن النديم ص ٢٢٤ .

(٤) هو ابو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر الاديب ، كان نصرانياً فأسلم ، كان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق ، مدح الخلفاء والكبراء ، وشعره في الذروة ، ولـه ديوان مطبوع ، توفي سنة ٢٢٨هـ وقيل ٢٣١ هـ ، انظر البداية والنهاية (٣١٢/١٠) وسير اعلام النبلاء (٦٣/١١) .

(٥) هو ابو الطيب ، احمد بن الحسين الجعفي الكندي ، المعروف بـ (المتنبي) شاعر فحل مشهور . له ديوان مطبوع ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ وقتل وهو راجع إلى بغداد سنة ٣٥٤هـ ، انظر البداية والنهاية (٢٧٣/١١) والسير اعلام النبلاء (١٩٩/١٦)

(٦) هو أبو العباس ، أحمد بن يحي بن يزيد الشيباني ، المعروف بـ(ثعلب) إمام في النحو له عدة مصنفات توفي سنة ٢٩١هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/١٤) ، وتذكرة الحفاظ (٦٦٦/٢) .

(٧) إصلاح المنطق ، لأبي يوسف . يعقوب بن إسحاق بن السكيت . إمام في اللغة قتل سنة ٢٤٤هـ . وكتابه هذا من أهم كتب اللغة وهو مطبوع متداول ، انظر: معجم المؤلفين (٢٤٣/١٣) .

(٨) الأمالي ، لعل المقصود به أمالي أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ ، انظر: البداية والنهاية (٢٨٢/١١) ومعجم المؤلفين (٢٨٦/٢) .

(٩) إقليدس ، حكيم يوناني قديم العهد ، ألّف في الرياضيات ، مات قريباً من سنة ٣٠٠ قبل الميلاد . انظر: الملل والنحل (٤٣٨/٢) .

مطالعة ، أو مذاكرة أو تعليق فائدة ، وأنا بغرارة[1] الشباب أجمع من هذه الجُمل ما يَحمُل وما لا يحمل ، والقَدَر يخبؤها عندي للانتفاع بها في الرد على الملحدين والتمهيد لأصول الدين.

ثم حالت هذه الحالة الخاصة بالاستحالة العامة عند دخول المرابطين بلدنا سنة أربع وثمانية وأربعمائة ، ووقع علينا من تلك الحوادث ماكان مدة أسفٍ فوقنا. وصاب بأرضنا شؤبوب[2] فتنة يا طال ما دارت سحابة بنا فانصدع الالتئام . وتبدد ذلك النظام ، وكان لنا خيرة وللإسلام ، ولم يكن بأرضنا المقام[3]).

قلت : هكذا وصف أبو بكر ابن العربي نشأته منذ صغره قبل بلوغه التاسعة من عمره إلى أن بلغ السادسة عشرة من عمره ، وذلك عند دخول المرابطين لبلده إشبيلية . ولا شك أن من جمع تلك العلوم المختلفة في صغره مع شدة الحرص وقوة الفهم وصفاء الذهن، لا يستغرب أن يتقدم على أقرانه وأن يتبحر في أنواع العلوم المختلفة ، وأن يُعدّ من العلماء المحققين وخاصة ببلاد الأندلس.

---

(١) غرارة من غَرير وهو : الشاب الذي لا تجربة له . و غِرٌّ : غافل ، انظر: القاموس المحيط ص (٥٧٨).

(٢) الشُّؤبوبُ : الدفعة من المطر ، وحدُّ كل شيء ، وشدةُ دفعه . انظر: القاموس المحيط ص (١٢٧) .

(٣) قانون التأويل ص (٤٢٠) .

المبحث الثاني

طلبه للعلم ورحلاته العلمية

لقد كان للنشأة العلمية التي تربى عليها أبو بكر ابن العربي منذ صغره أثراً بالغاً في محبته للعلم والعلماء ، مما جعله لا يكتفي بما أخذه من العلم عن شيوخ بلده من علم القراءات والعربية وغيرها ، حتى واصل طلبه للعلم بالرحلة إلى كثير من الأقطار الإسلامية. ليلتقي بفحول العلماء والمحدثين الذين ذاع صيتهم وانتشر خيرهم.

وقد حكى - رحمه الله - رحلاته وما جرى له فيها ، ومن التقى به من العلماء في كثير من كتبه[١]، بل أفرد في ذلك مصنفاً خاصاً سماه (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة) إلا أن هذا المصنف قد ضاع في حياة مؤلفة فدون [٢] - رحمه الله - خلاصة ذلك الكتاب في مقدمة كتابه قانون التأويل [٣].

وقد بدأ ابن العربي في الرحلة في عنفوان شبابه وعمره ستة عشر عاماً ، وذلك حينما خرج مع والده من بلاد الأندلس بعد أن استولى المرابطون على بلده (إشبيلية) سنة خمس وثمانين وأربعمائة متوجهاً إلى المشرق .

وقد ابتدأ رحلته من الأندلس يوم الأحد مستهل ربيع الأول من هذه السنة ، يقول - رحمه الله - (خرجت سنة خمس وثمانين وأربعمائة في طلب العلم ... ودوخت من الأندلس إلى العراق...)[٤].

---

(١) انظر: أحكام القرآن (٣/٢٥٠) والعواصم ص (٤٤) وعارضة الأحوذي (٤/٢٧٤ ، ٩/٤٦).

(٢) انظر: مع القاضي أبي بكر ابن العربي ص (١٦٩) .

(٣) انظر: قانون التأويل ص (٤٢٠) وما بعده .

(٤) سراج المريدين - مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم (٢٠٣٤٨ ب) ورقة (١٦١ - ١٦٢) نقلاً عن آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية (١/٢٩ - ٣٠) .

ويقول أيضاً (فدعت الضرورة إلى الرحلة ، فخرجنا والأعداء يشمتون بنا . وآيات القرآن تنزع لنا ، وفي علم الباري جلت قدرته أنه ما مر علي يوم من الدهر كان أعجب عندي من يوم خروجي من بلدي ذاهباً إلى ربي . ولقد كنت مع غزارة السبيبة[١] ونضارة الشبيبة أحرص على طلب العلم في الآفاق . وأتمنى له حال الصفاق الأفاق[٢] وأرى أن التمكن في ذلك في جنب ذهاب الجاه والمال ، وبعد الأهل بتغير الحال . ربح في التجارة . ونجح في المطلب وكان الباعث على هذا التشبث - مع هول الأمر - همة لزمت . وعزمة جمت . ساقتها رحمة سبقت)[٣].

وقد تحدث ابن العربي - رحمه الله - عن كل مدينة مر بها في رحلته والعلماء الذين لقيهم بها وما درسه عليهم من العلم .

فكانت أول بلدة دخلها في رحلته هي بلدة (مالقة)[٤] وقد أشار إلى ذلك بقوله : (فكان أول بلدة دخلت مالقة . فألفيت بها أمةً رأسهم الشعبي[٥]. أشهر ما عنده نسبه وعنده رواية ومسائل ، ولديه حشمة ، وله عند الأمراء قدم وجاه)[٦]، ثم رحل منها إلى المرية[٧] ولبث بها أياماً قلائل التقى فيها بقاضيها ومقرئها ابن شفيع[٨]

---

(١) السبيبة : شعر الناصية والخصلة من الشعر . انظر: القاموس المحيط ص (١٢٣) .

(٢) قال ابن الأثير (صفّاق أفّاق : هو الرجل الكثير الأسفار والتصرف على التجارات والصفق والأفق قريب من السواء) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٨) وانظر: القاموس ص (١١٦٣)

(٣) قانون التأويل ص (٤٢٠) .

(٤) مدينة بالأندلس على شاطئ البحر ، وكانت من أهم ثغور الإسلامية ، انظر: معجم البلدان (٥/٤٣)

(٥) ستأتي ترجمته . انظر: ص (٣٢) .

(٦) قانون التأويل ص(٤٢٣) .

(٧) مدينة أندلسية على شاطئ البحر ، أمر بنائها الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد . يقال: إن اسمها مشتق من (مرآة البحر) ، انظر: معجم البلدان (٥/١١٩) .

(٨) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي : انظر: ص (٣١) .

ثم توجه إلى مدينة بجاية[١] بالجزائر فالتقى ببعض علمائها ومنهم محمد بن عمار الميورقي الكلاعي[٢] وقرأ فيها سنن أبي داود ثم مر على مدينة بونه ومنها إلى تونس حيث دخل مدينة سوسة[٣] والمهدية[٤].

والتقى فيها بجملة من الفقهاء وأعجب بطريقتهم ، وقد وصف ذلك بقوله : (ثم دخلت سوسة والمهدية بها جملة من أصحاب السيوري[٥]، وغيرهم من فقهاء القيروان[٦]كابن حبيب[٧] وحسان[٨] ، وأبي الحسن ابن الحداد[٩] في القراءات والأدب والكلام... فلما لمح لي هذا الكوكب بطريقة القيروان واستنارت لي فيها بنوع من البرهان ، واستبرأتها بواضح من الدلالات غض النبات والأفنان ، قلت : هذا مطلبي، فأخذت في قراءة شيء من أصول الدين، والمناظرة فيها مع الطالبين ،

---

(١) مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب بالقطر الجزائري ، انظر: معجم البلدان (١/٤٠٣) .

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن عمار الميورقي الكلاعي، كان عالماً متفنناً، توفي سنة ٤٠٣هـ، انظر: قانون التأويل ص (٤٢٤) .

(٣) سوسة مدينة صغيرة بنواحي إفريقيا اكثر أهلها حاكة ، انظر: معجم البلدان (٣/٣٢٠) .

(٤) المهدية : مدينة بإفريقية قريبة من سوسة ، بينها وبين القيروان مرحلتان ، انظر: معجم البلدان (٥/٢٦٥ - ٢٦٨) .

(٥) هو أبو القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث التميمي ، المعروف بالسيوري ، كان فاضلاً ، نظارة ، زاهداً أديباً، توفي سنة ٤٦٠هـ ، انظر: الديباج لابن فرحون ص (٢٥٩) وسير أعلام النبلاء (١٨/٢١٣) .

(٦) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقيا غبرت دهراً ، وليس بالغرب مدينة أجل منها ، انظر: معجم البلدان (٤/٤٧٦) .

(٧) محمد بن حبيب المهدوي ، فقيه أصولي متكلم ، انظر: قانون التأويل ص (٤٢٧) .

(٨) هو أبوعلي حسان البربري المهدوي ، مفتي المهدية ، انظر: قانون التأويل ص (٤٢٧) .

(٩) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن عربي . انظر: ص (٣٣) .

ولزمت مجالس المتفقهين...) [١].

ثم أبحر ابن العربي من المهدية إلى مصر والتقى فيها بعدد من العلماء والمحدثين منهم القاضي أبي الحسن الخلعي [٢] وأبي بكر الطرطوشي [٣] وغيرهم . وفي ذلك يقول - رحمه الله - (وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر فألفينا بها جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، والسلطان عليهم جري وهم من الخمول في سرب خفي ، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جريء لا ينسبون إلى العلم ببنت شفة ... وترددت في لقاء الناس بين أسفل وفوق ، بما كنت فيه من المعارف من التوق . وناظرت الشيعة [٤] والقدرية [٥] وتدربت في جمل من الجدل ، ونظرت في نبذ من علوم الكلام...) [٦].

وقد ذكر ابن العربي أنه بقي في بلاد مصر ثمانية أشهر بين السماع من العلماء وحضور مجالسهم ، ومناظرة المبتدعة وخاصة الإسماعيلية الفاطمية [٧] الذين كانوا هم الذين يحكمون بلاد مصر في ذلك الحين . ثم واصل ابن العربي رحلته العلمية فترك مصر وتوجه إلى بيت المقدس، حيث كانت آنذاك مقراً للعديد من المدارس والمذاهب المختلفة ، وقد وصف ذلك بقوله (ثم رحلنا من ديار مصر إلى الشام ، وأممنا الإمام

---

(١) قانون التأويل ص ٤٢٧

(٢) سنأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي ، انظر: ص (٣٢) .

(٣) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي ، انظر: ص (٣٤) .

(٤) سيأتي التعريف بهذه الفرقة ، انظر: ص (١٤٤) .

(٥) القدرية هم الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه ، انظر: الملل والنحل (١/٥٦) .

(٦) قانون التأويل ص (٤٣٢ - ٤٣٣) .

(٧) سيأتي التعريف بهذه الفرقة ، انظر: ص (١٥٥) .

فدخلنا الأرض المقدسة ، وبلغنا المسجد الأقصى ، فلاح لي بدر المعرفة ، فاستنرت به أزيد من ثلاثة أعوام ، وحين صليت بالمسجد الأقصى فاتحة دخولي له ، عمدت إلى مدرسة الشافعية ، بباب الأسباط فألفيت بها جماعة من علمائها... فقلت لأبي - رحمه الله- إن كانت لك نية في الحج فامض لعزمك فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها ، وأجعل ذلك دستوراً للعلم وسلماً إلى مراقيها ...)[1].

فقد هال ابن العربي - رحمه الله - ما رآه في بيت المقدس من المدارس العلمية المختلفة وما يجرى من المناظرات بين علماء المذاهب والطوائف ، ولذلك آثر البقاء ببيت المقدس ليأخذ عن علمائها ويستفيد من طريقتهم في المناظرات العلمية. التي كانت كثيراً ما تعقد بين العلماء على اختلاف مذاهبهم ، وقد أشار إلى ذلك بقوله (وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم ، لحضور التناظر بين الطوائف ، لا تلهينا تجارة ، ولا تشغلنا صلة رحم ، ولا تقطعنا مواصلة ولي وتقاة عدو...)[2].

وقد أعجب ابن العربي بكثير من علماء بيت المقدس، وأفاد منهم في دروسهم ومناظراتهم، وخاصة شيخه أبي بكر الفهري[3] الذي أثنى عليه ابن العربي. وذكر أنه انتفع به في العلم والعمل ، وفي ذلك يقول (ومشيت إلى شيخنا أبي بكر الفهري - رحمه الله - فشاهدت هديه وسمعت كلامه ، فامتلأت عيني وأذني منه... وانفتح لي به إلى العلم كل باب ، ونفعني الله به في العلم والعمل ، ويسر لي على يديه أعظم أمل...)[4].

وقد أخذ ابن العربي عن علماء بيت المقدس ثلاثة علوم، ذكر أنها هي عمدة

---

(١) قانون التأويل ص (٤٣٣ - ٤٣٤) .

(٢) المرجع السابق ص (٤٣٦)

(٣) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي . انظر: ص (٣٣) .

(٤) قانون التأويل ص (٤٣٥) .

الدين، فقال في ذلك (اطلعت - بفضل الله - على أغراض العلوم الثلاثة : علم الكلام وأصول الفقه ومسائل الخلاف التي هي عمدة الدين والطريق المهيع إلى التدريب في معرفة أحكام المكلفين الحاوية للمسألة والدليل ، والجامعة للتفريع والتعليل) [١]، ثم خرج من بيت المقدس إلى عسقلان[٢]، وأقام بها نحواً من ستة أشهر أمضاها في التزود من العلم ، وقد وصف ذلك بقوله (وخرجت حينئذ إلى عسقلان متساحلاً فألفيت بها بحر أدب ... فأقمت بها لأرتوي منه نحواً من ستة أشهر) [٣].

ثم خرج ابن العربي من فلسطين إلى دمشق بالشام ، ودرس عن علمائها ، إلا أنه لم يطل المقام بها ، وسمع بها صحيح البخاري ، بقراءة شيخه نصر ابن إبراهيم[٤] رأس علماء دمشق ، وفي ذلك يقول (وصمدنا دمشق ، وفيها جماعة من العلماء ... فلزمنا شيخنا نصر بن إبراهيم في السماع، وانتهينا إلى سماع (كتاب البخاري) ، بعد تقدم غيره عليه، وكان يقرؤه علينا بلفظه ...) [٥]، ثم واصل ابن العربي رحلته الطويلة فخرج من الشام إلى العراق فدخل بغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة . وكانت بغداد آنذاك هي مركز الخلافة العباسية وحاضرة العلم وملتقى العلماء . يفد إليها الطلبة من جميع الأقطار ، وقد أشار إلى ذلك ابن العربي بقوله (فألفيت بها من رؤساء العلم ، ورؤوسه ، وأشياخ الملة وأحبارها ، ما يملأ الخافقين، فقلت : هذه ضالتي التي كنت أنشد) [٦].

وقد أطال ابن العربي المكث في بغداد نظراً لكثرة العلماء وتنوع العلوم مما

---

(١) انظر: المرجع السابق ص (٤٣٨) .

(٢) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر ، انظر: معجم البلدان (٣٧/٤)

(٣) قانون التأويل ص (٤٤٣) .

(٤) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي ، انظر: ص (٣٢) .

(٥) قانون التأويل ص (٤٤٤) .

(٦) العواصم ص (٥٦) .

دعاه إلى المواظبة على مجالس العلم متنقلاً بين حلق العلماء على اختلاف علومهم ومذاهبهم، حتى نال بغيته التي ارتحل لأجلها .

وقد أعجب ابن العربي ببعض العلماء ولازم مجالسهم والسماع منهم . فمن ذلك شيخه أبو بكر الشاشي[١]، الذي أثنى عليه ووصفه بفخر الإسلام، فقال (وواظبت المجالس واختصصت بفخر الإسلام أبي بكر الشاشي، فقيه الوقت وإمامه، فطلعت لي شموس المعارف، فقلت : الله أكبر هذا هو المطلوب الذي كنت أصمد. والوقت الذي كنت أرقب وأرصد، فدرست وقيدت وارتويت وسمعت ووعيت)[٢].

ومن ذلك شيخة أبو حامد الغزالي[٣]الذي كان يفتخر به ويذكره كثيراً . حتى أطلق عليه لقب (دانشمند[٤]) لإعجابه به ، وقد لقيه ابن العربي في جمادى الأول سنة ٤٩٠هـ، حينما كان الغزالي نازلاً برباط أبي سعد ، فلازمه ملازمة الظل لصاحبه وقرأ عليه وسمع منه، وقد أشار إلى ذلك بقوله (ورد علينا دانشمند فنزل برباط[٥] أبي سعد ... فمشينا إليه وعرضنا أمنيتنا عليه ، وقلت له : أنت ضالتنا التي كنا ننشد ، وإمامنا الذي به نسترشد ، فلقينا لقاء المعرفة ... فقصدت رباطه ولزمت بساطه ، واغتنمت خلوته ونشاطه ، وكأنما فرغ لي لأبلغ منه أملي وأباح لي مكانه. فكنت ألقاه في الصباح والمساء والظهيرة والعشاء ...) [٦]

---

[١] ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي ، انظر: ص (٣٣) .

[٢] قانون التأويل ص (٤٤٩)

[٣] ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي ، انظر: ص (٣٤) .

[٤] دانشمند : معناه بالفارسية : الحكيم، والماهر ، انظر: قانون التأويل ص (٤٥٠)

[٥] الرباط : دار يسكنها المتصوفة . انظر: القاموس ص (٨٦١) وقانون التأويل ص (٤٥٠) .

[٦] قانون التأويل ص (٤٥٠ - ٤٥١) .

هذا وقد تخلل وجود ابن العربي بمدينة بغداد رحلة أخرى. هي رحلته إلى الحجاز لغرض أداء فريضة الحج ، فما إن وصل ابن العربي إلى بغداد وبقي فيها ثلاثة أشهر، قضاها في طلب العلم، حتى خرج من بغداد على أمل أن يرجع إليها بعد أداء حجه ليواصل طلبه للعلم، وسماعه من العلماء ، فتوجه إلى الكوفة ثم خرج منها متوجهاً إلى مكة وذلك سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وقد أشار إلى ذلك بقوله (وذلك أني خرجت من الكوفة إلى مكة سنة تسع وثمانين وأربعمائة راكباً معادلاً لأبي - رحمة الله عليه - حتى بلغنا مكة فقضينا حجنا ثم عدنا إليها ...) [١].

وقد حرص ابن العربي -رحمه الله- خلال وجوده بمكة على السماع من العلماء والالتقاء بهم والإفادة منهم، إلى جانب انشغاله بالعبادة في الحرم وأدائه لمناسك الحج، ثم ارتحل ابن العربي بعد أن قضى حجه إلى المدينة النبوية للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول - رحمه الله - (ولقد وصلت إليها والحمد لله وأشرفت من الثنية ... وصليت في الروضة النبوية) [٢] ثم عاد ابن العربي -رحمه الله- إلى بغداد فواصل طلبه للعلم وسمع من جملة من العلماء كما تقدم .

عودة ابن العربي إلى الأندلس وتوليه القضاء :

بعد أن تحصل لأبي بكر ابن العربي مراده من العلم، ونال بغيته التي رحل لأجلها غادر مدينة بغداد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، بصحبة والده عائدين إلى بلدهما الأندلس، بعد غيبة طويلة دامت نحواً من إحدى عشرة سنة ، فمرا في طريقهما بالشام ثم ببيت المقدس ، ثم ببلاد مصر ، حيث التقى بشيخه أبي بكر

---

(١) سراج المريدين ورقة (٩٩) وانظر: عارضة الأحوذي (٤/٤١ ، ٥٣) .

(٢) سراج المريدين مخطوط ، ورقة (١٠٣) نقلا عن قانون التأويل ص (٨٤) .

الطرطوشي[١] الذي كان قد درس عليه حين لقائه مع بمدينة القدس كما تقدم . وفي أثناء وجود ابن العربي بمصر توفي والده عبدا لله -رحمه الله- فدفنه هناك، ثم واصل ابن العربي رحلته بعد أن ودع والده بثغر الإسكندرية ببلاد مصر[٢]، فدخل تونس سنة ٤٩٤هـ وأقام بمنستير[٣] إفريقية عشرين يوماً مع جماعة من الزهاد[٤]، ثم دخل مدينة مراكش[٥] عاصمة المرابطين، حيث التقى بالأمير يوسف بن تاشفين[٦] ، ثم توجه بعد ذلك إلى بلده إشبيلية فدخلها سنة ٤٩٥هـ كما أشار إلى ذلك بقوله (وردت من المشرق سنة خمس وتسعين) [٧] وقد استقبله أهل إشبيلية استقبالاً عظيماً إذ كانوا في شوق إلى رؤيته والسماع منه، حيث كانوا يتابعون أخبار رحلته وما حصله من العلم، وقد وصف ذلك تلميذه الفتح بن خاقان[٨] فقال (فكَّرَ راجعاً إلى الأندلس فحلها والنفوس إليه متطلعة ولأنبائه مستمعة . فناهيك من حظوة لقي ومن

---

[١] ستأتي ترجمته في شيوخ ابن العربي ، انظر: ص (٣٤) .

[٢] انظر: مع القاضي أبي بكر بن العربي ص (٩٧) .

[٣] منستير : موضع بين المهدية وسوسة بإفريقية بينه وبين كل واحدة منهما مرحلة . يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم ، معجم البلدان (٥/ ٢٤٥) .

[٤] انظر: سراج المريدين . مخطوط ورقة (٨٧/ب) نقلا عن قانون التأويل ص (٨٨) .

[٥] مراكش ، بالفتح ثم التشديد : اعظم مدينة بالمغرب ، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام . معجم البلدان (٥/ ١١١) .

[٦] يوسف بن تاشفين الصنهاجي الحميدي . أمير المرابطين ، كان حازماً ، ضابطاً لمصالح مملكته ، توفي سنة ٥٠٠هـ . انظر: شذرات الذهب (٣/ ٤١٢) . والأعلام (٨/ ٢٢٢) .

[٧] العواصم من العواصم ص (٢١٤) .

[٨] هو أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان القيسي كاتب مؤرخ كان كثير الأسفار ، قتل سنة٥٢٨هـ ، انظر: نفح الطيب (٤/ ٦١٨) ، والأعلام (٥/ ١٣٤) .

عزة سقي ومن رفعة سما إليها ورقي . وحسبك من مفاخر قدّها ومحاسن أنس أثبتها وخلدها) [١].

وبعد أن استقر ابن العربي -رحمه الله- ببلده ابتدأت حياته العملية، فتولى القضاء ببلدته إشبيلية بأمر من الأمير ابن تاشفين ، فنفع الله به . فقد كان - رحمه الله - قوياً في الحق ملتزماً للعدل شديداً على أهل الباطل، وقد أشار إلى ذلك بقوله: (وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأحلق ، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي شعره عوناً على المعصية، وطريقاً إلى التجمل به في الفسوق، وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع ، إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن) [٢] ، ومع حرص ابن العربي على إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . إلا أن ولايته للقضاء لم تطل حيث ثار عليه الفسقة وهاجموه في داره وأحرقوا كتبه، وفي ذلك يقول - رحمه الله - (ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يك يرى في الأرض منكر ، فاشتد الخطب على أهل الغصب وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا وألبوا ، وثاروا إلي ، واستسلمت لأمر الله وأمرت كل من حولي ألا يدفعوا عن داري ، وخرجت على السطوح بنفسي فعاثوا علي ، وأمسيت سليب الدار ، ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار...) [٣].

وقد أدرك ابن العربي خطورة الأمر، وخشي من تعاظم الفتنة فرحل إلى قرطبة وانقطع للقراءة والتعليم، حيث كانت مجالسه عامرة بطلاب العلم ليلاً ونهاراً، ثم لم يلبث أن رجع إلى بلده مرة ثانية. واستمر في نشر العلم وتأليف الكتب فنفع الله تعالى به [٤].

---

[١] مطمح الأنفس ص (٧١) نقلاً عن كتاب مع القاضي أبي بكر ابن العربي ص (٧٥) .
[٢] أحكام القرآن (١/٤٣٣) .
[٣] العواصم من القواصم ، ص (٤٠٠- ٤٠١)
[٤] انظر: مع القاضي أبي بكر بن العربي ص (٨٧) .

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه ومصنفاته

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شيوخه :

تتلمذ ابن العربي -رحمه الله- على عدد كبير من علماء عصره في أقطار مختلفة وأماكن متباعدة، دعاه طموحه العلمي إلى الذهاب إليهم في أماكنهم والسماع منهم. دون أن يمنعه بعد مسافة أو مشقة طريق، و قد كان - رحمه الله -فخوراً بمشائخه الذين تتلمذ عليهم، مما جعله يكثر ذكرهم في كتبه وينص على أسمائهم. وما درسه عليهم من العلوم المختلفة ؛ بل ألّف في ذلك كتاباً مستقلاً ترجم فيه جملة من شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ، إلا أن هذا الكتاب قد فقد في جملة ما فقد من كتبه[1].

وسأعرض فيما يلي لأبرز شيوخه الذين تلقى عنهم العلم، وذلك بحسب ما يتسع له المقام، إذ أن الإحاطة بهم ليست من مقاصد هذا البحث :

١) أبو القاسم إسماعيل بن عبدالملك الحاكمي الطوسي ، إمام في الأصول والفقه، كان أبو حامد يجله ويقدره ويقدمه على نفسه ، توفي سنة ٥٢٩هـ[2] وقد ذكره ابن العربي في سياق رحلته فقال (ولقينا شيخ الشيوخ وصاحب الباب

---

(١) انظر: قانون التأويل ص (١٦١) .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٦) والبداية والنهاية (١٢/٢٢٤).

في العلم والرسوخ إسماعيل الطوسي[١]) .

٢) أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن سوار البغدادي الضرير، ثقة مجود، عالم بالقراءات ، توفي سنة ٤٩٦هـ[٢] ذكر ابن العربي في العارضة أنه قرأ عليه جامع الترمذي[٣].

٣) أبو منصور أحمد بن محمد بن عبدالواحد الصباغ ، فقيه محدث عابد توفي سنة ٤٩٤هـ[٤] ذكره في العارضة[٥] .

٤) أبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم الدينوري ، المشهور بابن الحمامي ، إمام ثقة من أعيان المقرئين وثقات المحدثين ، حنبلي المذهب ، توفي سنة ٤٦٨هـ[٦] وذكره في العارضة[٧].

٥) أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسن السراج البغدادي ، أديب عالم بالقراءات والنحو واللغة ، ثقة بارع له تآليف مفيدة ، توفي سنة ٥٠٠هـ[٨] ذكره ابن العربي في العواصم من القواصم[٩].

---

(١) قانون التأويل ص (٤٥٢)

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٧٤/١٢)

(٣) عارضة الأحوذي (٦/١) .

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٦٠/١٢) .

(٥) العارضة (٢٠٧/٣) .

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٤/١٩) وتذكرة الحفاظ (١٢٣٣/٤) .

(٧) العارضة (١٨٠/٣) .

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٠) وشذرات الذهب (٤١١/٣) .

(٩) العواصم من القواصم ص (١٥١) .

٦) أبو القاسم الحسن بن عمرو بن الحسن الهوزني الإشبيلي ، خال ابن العربي وأستاذه ، فقيه عارف من وجهاء إشبيلية ، رحل الناس إليه . توفي سنة ٥١٢هـ[١] ، ذكره ابن العربي في أحكام القرآن[٢].

٧) أبوعبدالله الحسين بن علي الطبري ، كان فقهياً مفتياً ، درس بالمدرسة النظامية ، وجاور بمكة وحدث بها ، توفي سنة ٤٩٥ وقيل ٤٩٨هـ[٣]، ذكر ابن العربي أنه لقيه بالمدرسة النظامية[٤].

٨) أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي ، نقيب النقباء ومسند العراق في وقته ، رحل الناس إليه ، وكان من أعلى الناس منزلة لدى الخليفة ، توفي سنة ٤٩١هـ[٥]، ذكره ابن العربي في العارضة[٦].

٩) أبو الفوارس شجاع بن فارس بن حسين الذهلي الشيباني البغدادي ، ولد سنة ٤٣٠هـ ، من العلماء الأثبات ، نسخ بخطه كثيراً من كتب العلم ، وتوفي سنة ٥٠٧هـ[٧].

١٠) أبو الحسن عبدالعزيز بن عبدالملك بن شفيع المري من أهل المرية بالأندلس . كان شيخاً صالحاً وقوراً مجوداً للقرآن حسن الصوت، توفي بالمرية سنة

---

(١) انظر: الديباج المذهب ص (١٧٢) وبغية الملتمس ص (٢١) .

(٢) انظر: أحكام القرآن (٨٢/٤) .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٩) .

(٤) قانون التأويل ص (٤٤٧) .

(٥) انظر: السير (٣٧/١٩) وشذرات الذهب (٣٩٦/٣) .

(٦) انظر: عارضة الأحوذي (٢٠٦/٥) .

(٧) انظر: تذكرة الحفاظ (١٢٤٠/٤) والسير (٣٥٥/١٩) .

٥١٤هـ[1]، ذكر ابن العربي في رحلته أنه لقيه وجالسه[2].

١١) أبو المطرف عبدالرحمن بن قاسم الشعبي المالقي ، شيخ المالكية ، انفرد برئاسة الفتوى نحواً من ستين سنة واشتهر بالعلم والفضل ، ولد سنة ٤٠٢هـ وتوفي سنة ٤٩٧هـ[3] وقد لقيه ابن العربي في رحلته وذلك في بلدة مالقه[4].

١٢) أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن العربي ، والد القاضي أبي بكر وأول شيوخه، وقد تقدم التعريف به في المبحث الأول[5].

١٣) أبو الحسن على بن الحسن بن محمد الخلعي الموصلي نزيل مصر ومسندها ، كان فقيهاً صالحاً له تصانيف قيمة ، ويعتبر من أعلى أهل مصراً إسناداً توفي سنة ٤٩٢هـ[6].

١٤) أبو الحسن علي بن سعيد العبدري ، من أهل جزيرة ميورقة ، سمع من أبي محمد بن حزم، ورحل إلى المشرق وحج ودخل بغداد، وتفقه على أبي بكر الشاشي، ذكر ابن العربي أنه صحبه ببغداد وأخذ عنه وأثنى عليه ، وقال : تركته حياً ببغداد سنة ٤٩١هـ وتوفي بعد ذلك[7].

١٥) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي ، شيخ الحنابلة في وقته .

---

(١) انظر: بغية الملتمس ص (٣٣٧) .

(٢) انظر: قانون التأويل ص (٤٢٤) .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٧/١٩)

(٤) انظر: قانون التأويل ص (٤٢٣) .

(٥) انظر: ص (١٤) .

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٧٤/١٩) وشذرات الذهب (٣٩٨/٣)

(٧) انظر: الصلة لابن بشكوال (٤٢٢/٢ - ٤٢٣)

فقيه أصولي متكلم، جالس المعتزلة وتأثر بهـم، ثـم أعلـن توبتـه ورجوعـه عـن مذهبهم ، توفي سنة (٥١٣)هـ[1].

ذكره ابن العربي في أحكام القرآن فقـال (كنـت بمجلس الوزيـر العـادل أبـي منصور وكنت بالصف الثاني من الحلقـة ، بظهـر أبـي الوفـاء بـن عقيـل إمـام الحنابلة بمدينة السلام ، وكان معتزلي الأصول)[2].

١٦) أبو الحسن ، علي بن محمد الخولانـي المهـدوي ، الحـداد ، المقـرئ ، الفقيـه ، الأصولي الأديب البارع . توفي سـنة ٤٩٧هـ . قـال عنـه ابـن العربـي (كنـت احضر عليه كتابه المسمى بالإشارة وشرحها وغـيره مـن تأليفـه، وكـان ذلـك بالمهدية في شهور سنة ٤٨٥هـ)[3].

١٧) أبو الحسن ، المبارك بن عبدالجبار الصيرفي ابن الطيوري ، محدث مكثر ، واسع العلم ، توفي سنة ٥٠٠ هـ[4] سمع منه ابن العربي بالكَرخ، وقال عنه (رأيت أبا الحسن أحلى في القلب وأعلى في العين)[5].

١٨) أبوبكر ، محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي المسـتظهري ، رئيـس الشـافعية في عصره، كان إماماً جليلاً زاهداً ، توفي سنة ٥٠٧هـ[6].

قال عنه ابن العربي في سياق رحلته (واختصصت بفخر الإسلام . فقيه الوقـت وإمامه فطلعت لي شموس المعارف)[7].

---

[1] انظر: ميزان الاعتدال (١٤٦/٣) والسير (٤٤٣/١٩) وشذرات الذهب (٣٥/٤)

[2] أحكام القرآن (٥٥٤/٢) .

[3] انظر: شجرة النور الزكية (١١٨/١) وقانون التأويل ص (٤٢٧) .

[4] انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٣/١٩) وشذرات الذهب (٤١٢/٣) .

[5] عارضة الأحوذي (٧/١) .

[6] انظر: تذكرة الحفاظ (١٢٤١/٤) وشذرات الذهب (١٦/٤) .

[7] قانون التأويل ص (٤٤٩) .

١٩) أبو عامر محمد بن سعدون العبدري القرشي ، نزيل بغداد ، حافظ فقيه ، كان على مذهب الظاهرية ، توفي ٥٠٤هـ[١]. قال عنه ابن العربي (هو أنبل من لقيته)[٢].

٢٠) أبوبكر محمد بن طرخان بن بلتكين التركي البغدادي ، أحد أئمة الشافعية ، محدث متفن ، وفقيه زاهد ، توفي سنة ٥١٣هـ[٣]. ذكره ابن العربي في العارضة[٤].

٢١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط ، كان يسميه ابن العربي (دانشيد) أي الحكيم ، توفي سنة ٥٠٥هـ[٥]. ذكره ابن العربي في كثير من مؤلفاته ، وذكر أنه لقيه في بغداد وتتلمذ عليه وانفرد به[٦].

٢٢) أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي ، كان إماماً عاملاً وزاهداً ورعاً متواضعاً متقللاً ، توفي سنة ٥٢٠هـ[٧]، ذكره ابن العربي في سياق رحلته وأثنى عليه خيراً[٨].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٩/١٩) ونفح الطيب (٣٥٣/٢) .

(٢) انظر: شذرات الذهب (٧٠/٤) .

(٣) انظر: السير (٤٢٣/١٩) وشذرات الذهب (٤١/٤) .

(٤) انظر: عارضة الأحوذي (٢٠٥/١) .

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٨٥/١٢) وسير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩) .

(٦) انظر: العواصم من القواصم ص (٢٤) وقانون التأويل ص (٤٥٠) .

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٩)

(٨) انظر: قانون التأويل ص (٤٣٥) .

٢٣) أبو الفتح نصر بن إبراهيم بـن نصـر المقدسـي النابلسـي ، المعـروف بـابن أبـي حافظ، شيخ الشافعية بالشام ، فقيه زاهد جمع بين العلـم والديـن . تـوفي سـنة ٤٩٠هـ[١] ، ذكره ابن العربـي في سـياق رحلتـه وذكـر أنـه سمـع منـه كتـاب البخاري وغيره[٢].

٢٤) أبو سعد يحي بن علي بن الحسن الحلواني البزار ، مـن أئمـة الفقـه ، لـه عـدة مؤلفات في الأصول والفقه ، درس في المدرسة النظامية ، توفي سنة ٥٢٠هـ[٣]، ذكره ابن العربي في سياق رحلته فقال (وخرجت بعد ذلك إلى مجلس مسـجد الإسلام مؤيد السنة أبي سعد الحلواني) [٤].

٢٥) أبوزكريا ، يحي بـن علـي بـن محمـد الشـيباني التـبريزي المعـروف بـالخطيب ، اللغوي ، الأديب ، توفي سـنة ٥٠٢هـ[٥]، لقيـه ابـن العربـي وقـرأ عليـه جـل مؤلفاته[٦].

هؤلاء هم أهم شيوخ ابن العربي - رحمه الله - إضافة إلى من سـبق ذكرهـم والتعريف بهم من خلال الكلام على سيرته وطلبه للعلم ، وقـد ذكـر البـاحث محمـد السليماني أنه أحصي لـه قرابـة المائـة وخمسـين شـيخاً مـن مختلـف المصـادر المطبوعـة والمخطوطة[٧].

---

(١) انظر: السير (١٣٦/١٩) والأعلام للزركلي (٢٠/٨) .

(٢) انظر: قانون التأويل ص (٤٤٤) .

(٣) انظر: معجم المؤلفين (٢١٢/١٣) والأعلام (١٩٨/٩) .

(٤) قانون التأويل ص (٤٤٨) .

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٨٢/١٢) ، ومعجم المؤلفين (٢١٤/١٣) .

(٦) انظر: مع القاضي ابن العربي ص (٤٧) .

(٧) انظر: قانون التأويل ص (١٦١) .

المطلب الثاني

تلاميذ ابن العربي

ما إن حط ابن العربي رحله في بلاد الأندلس بعد رحلته الطويلة التي التقى فيها بفحول العلماء في المشرق العربي ، ونهل من علومهم المختلفة ، حتى انتشر خبره وذاع صيته كعالم من العلماء البارزين في شتى المجالات ، ورحل إليه طلبة العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، فتوافدوا عليه طلباً لما عنده من العلم . فتفرغ لهم - رحمه الله - وعقد لهم المجالس العلمية حتى استفاد من علمه الجم الغفير . وتخرج من مدرسته فحول العلماء الأفذاذ .

وسأعرض لأشهر أولئك التلاميذ الذين استفادوا من علم ابن العربي وذلك كما يلي :

١)أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني ، ويعرف بابن قرقول ، كان رحالة في طلب العلم ، فقيهاً أديباً حافظاً ، بصيراً بالحديث ورجاله . توفي سنة (٥٩٦هـ)[١].

٢)أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن الصقر الأنصاري . قاضي إشبيلية ، كان محدثاً ثقة ، فقيهاً مقرئاً ، توفي سنة (٥٦٩هـ)[٢].

٣)أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن مضاء اللخمي . من أهل قرطبة . رحل إلى إشبيلية وسمع من ابن العربي ، بعد سماعه منه بقرطبة ، كان مقرئاً مجوداً ، محدثاً مكثراً ، ثم مال إلى العربية فكان من أئمتها ، توفي سنة ٥٩٢هـ[٣].

---

[١] جذوة المقتبس ص (٨٦) مع القاضي أبو بكر بن العربي ص ١٠٩

[٢] الديباج المذهب ص (١١٧) .

[٣] بغية الملتمس ص ١٩٣ ، جذوة المقتبس ص ٧١ ، الديباج ١١٦ .

٤)أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال الأنصاري القرطبي ، ولاه ابن العربي القضاء ببعض جهات إشبيلية ، وله عدة تصانيف في التاريخ وغيره. توفي سنة ٥٧٨هـ[١].

٥)أبو زيد عبدالرحمن بن عبدا لله بن أحمد الخثعمي السهيلي ، من أهل مالقة كان عالماً بالقراءات والسير واللغات . توفي سنه ٥١٨هـ[٢].

٦)أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن يحي الغماري ، من أهل الجزيرة الخضراء . روى عن ابن العربي واستظهر عليه موطأ مالك وأجاز له ، وكان – رحمه ا لله – من الحفاظ، أهل العلم والعمل ، توفي سنة ٦٠٢ أو ٦٠٣هـ[٣].

٧)أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدا لله الأنصاري من أهل المرية ، يعرف بابن حبيش ، أكثر الرواية عن ابن العربي ، وكان ينزل معه في بيته لما كان بقرطبة ، عالم بالحديث ورجاله . توفي سنه ٥٨٤هـ[٤].

٨)أبو محمد عبدا لله بن أحمد بن العبدري، من أهل بلنسية ويعرف بابن موجوال، سمع من ابن العربي بإشبيلية ودرس في مجلسه ، وكان ابن العربي يثني عليه. توفي سنة ٥٦٦هـ[٥].

٩)ولده أبو محمد عبدا لله بن محمد بن عبدا لله بن العربي ، كان من أهل النباهة والجلالة ، معنياً بالرواية وسماع العلم، قتل خطأ يوم أن دخلت إشبيلية على

---

(١) الديباج المذهب (١٨٤) وشجرة النور (١/١٥٤) .

(٢) الديباج (٢٤٦) بغية الملتمس ص ٣٠٤ ، تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٨) .

(٣) التكملة ص ٥٨١ .

(٤) بغية الملتمس ٣٤٠.

(٥) المعجم في أصحاب الصدفي ص ٢٣٧ ، وقانون التأويل ١٩٠ .

المرابطين سنة ٥٤١هـ فثكله أبوه ، وحسن صبره عليه[١].

١٠)أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، من أهل سبتة ، الإمام الحافظ المتقن، كان -رحمه الله - إمام وقته في الحديث ، عالماً بالتفسير والأصول والفقه والعربية، سمع من ابن العربي بسبتة[٢] وكتب عنه ، توفي سنة ٥٤٤ هـ[٣].

١١)أبو الحسن ، علي بن أحمد بن عيسى الشقوري نزيل قرطبة ، كان ثقة صالحاً. أجاز له ابن العربي ، رحل الناس إليه لعلو سنده توفي سنة ٦١٦هـ[٤].

١٢)أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري ، من أهل مالقة ، يعرف بابن النخار سمع من ابن العربي وأكثر عنه واختص به، وكان صدراً في حفاظ الأندلس ، مقدماً في ذلك ، مشهوراً بحفظ المتون والأسانيد . توفي سنة ٥٩٠هـ[٥].

١٣)أبوبكر محمد بن خير بن عمر اللمتوني ، من أهل إشبيلية ، إمام حافظ كان محدثاً لغوياً ، لازم ابن العربي وسمع منه كثيراً وأخذ عنه ما يزيد على (١٢٥) كتاباً أوردها بأسانيدها في فهرسته . توفي سنة ٥٧٥هـ[٦].

١٤)أبوبكر محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون. من أهل اوريوله أجاز له ابن العربي وهو من مشائخ الأندلس الحفاظ ، توفي سنة ٥٢٠هـ[٧].

---

(١) التكملة ص ٣٧١ ، مع القاضي أبي بكر ص ٩٤

(٢) بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس . انظر: معجم البلدان (٢٠٦/٣) .

(٣) الديباج المذهب (٢٧٠) . بغية الملتمس ص ٤٢٥ ، تذكرة الحفاظ (١٣٠٤/٤) شذرات الذهب (١٣٨/٤) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٩٥/٢٢) . طبقات المفسرين للداودي (١٧٠/٢) .

(٥) بغية الملتمس ص ٤٦ ، وتذكرة الحفاظ (١٣٥٥/٤) .

(٦) الديباج المذهب (٢٨٩) ، تذكرة الحفاظ (١٣٦٦/٤) ، شذرات الذهب (٢٥٢/٤) .

(٧) بغية الملتمس ص ١٦٠ ، مع القاضي أبي بكر ص ٩١ .

١٥)أبوبكر محمد بن عبدالله بن يحي بن الجد الفهري ، الفقيه الحافظ المستبحر من أهل إشبيلية ، بارع في الفقه وإمام في العربية ، سمع من ابن العربي جامع الترمذي ، توفي سنة ٥٨٧ هـ[١].

١٦)أبوبكر محمد بن علي بن حسنون الحميري الكتامي ، من أهل بياسة ، تولي قضاء بلده ، وكان صاحب الصلاة والخطبة بها ، كان مقرئاً جنيلاً ، ماهراً ضابطاً مجوداً عالي الرواية ، توفي سنة ٦٠٤هـ[٢].

١٧)أبوبكر يحي بن محمد بن رزق ، من أهل المرية ، روى عن أبي بكر ابن العربي وكان فقيهاً محدثاً متقناً ، عارفاً بالمتون والأسانيد والرجال . توفي سنة ٥٦٠هـ[٣].

١٨)أبو يوسف يعقوب بن عبدالسلام القرشي الزهري ، راوي عارضة الأحوذي وعليها سماعه سنة ٥٤٠هـ[٤].

١٩)أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم الكلاعي من أهل إشبيلية . كان مقدماً في بلده، لقي ابن العربي وسمع منه مسلسلاته . توفي سنة ٦٠٦هـ[٥].

هذا ماتسع له المقام من تلاميذ ابن العربي - رحمه الله - وإن كانت أعدادهم تفوق أضعاف هذا العدد بكثير ، وقد أوصلهم بعض الباحثين إلى مايربوا عسى مائة وستين تلميذاً[٦]، والله تعالى أعلم .

---

(١) الديباج المذهب ص ٣٠٢ ، بغية الملتمس ص ١٨٨ ، شذرات الذهب (٢٨٦/٤) .
(٢) مع القاضي أبي بكر ص ١١١ .
(٣) بغية الملتمس ص ١٤٥ .
(٤) عارضة الأحوذي (٣٤/١٣) ، مع القاضي أبي بكر ص ١١١
(٥) قانون التأويل ص ١٩٩
(٦) انظر: قانون التأويل ، قسم الدراسة ، ص (١٧-٢٠٠) وانظر: أيضاً مع القاضي أبي بكر سعيد عراب ص (٩١-١١١) .

المطلب الثالث

مصنفات ابن العربي

لقد كان لتفرغ أبي بكر بن العربي وتجرده عن المناصب أثراً بالغاً في كثرة مؤلفاته، علاوة على ما جمعه - رحمه الله - من علم غزير، حيث انقطع للتعليم انقطاعاً كاملاً، خاصة بعد أن عزل من القضاء ، فقضى -رحمه الله- ما يقارب أربعين سنة من عمره في الإملاء والتدريس والتصنيف في شتى العلوم المختلفة .

فانتشرت كتبه وتناقلها الطلاب فيما بينهم، إلا أنه قد ضاع كثير من تلك المصنفات و لم يصل إلينا منها إلا القليل ، وقد حرصت على معرفة أسماء مؤلفاته - رحمه الله - فتحصل لي من ذلك الكثير، وقد رأيت أن أعرضها حسب التقسيم التالي وذلك كما يلي :

أولاً : علوم القرآن :

١)أحكام القرآن :

وقد طبع هذا الكتاب في أربعة مجلدات ، وقد أحال إليه ابن العربي في مواضع كثيرة من كتبه[١]، كما نسبه إليه بعض المؤرخين، وقد ألفه ابن العربي سنة ٥٠٣هـ، كما جاء في بعض نسخ هذا الكتاب[٢]، إلا إن بعض الباحثين شكك في ذلك، ورجح أنه ألفه سنة ٥٣٠هـ أو بعدها[٣]، قلت : لعل ابن العربي - رحمه الله - أملاه عدة مرات كما هي طريقته .

---

(١) انظر: عارضة الأحوذي (١/٥١ ، ٥٩ ، ١١٦).

(٢) انظر: آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية (١/٦٦).

(٣) انظر: قانون التأويل ص (١٢١/١٢٢) ومع القاضي أبي بكر ص ١٣١

٢)الأحكام الصغرى :

وهذا الكتاب اختصره ابن العربي من كتابه أحكام القرآن ، وهو لا يزال مخطوطاً، وتوجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٧٤ - ك)[١] وقد أشار ابن العربي إلى هذا الكتاب في بعض كتبه، وسماه (مختصر الأحكام)[٢].

٣)أنوار الفجر في مجالس الذكر :

وهذا الكتاب هو أعظم كتبه حيث يقع في ثمانين ألف ورقة ، كما صرح بذلك ابن العربي نفسه ، وكان كثيراً ما يفتخر به ويحيل عليه ، وقد ذكر أنه ألّفه في مدة عشرين عاماً[٣]، وقد أملاه في مجالسه العامة للتذكير والوعظ، وتفرق في أيدي طلابه، وقد كان هذا الكتاب موجوداً في خزانة بعض السلاطين بمدينة مراكش إلى أوائل القرن الثامن الهجري[٤]، ولم يصل إلينا شيء من هذا الكتاب حسب علمي .

٤)الناسخ والمنسوخ :

وقد ذكره ابن العربي في عدة مواضع من كتبه ، كما نسبه إليه كثير من المؤرخين[٥]، وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم

---

(١) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٣١

(٢) انظر: العارضة (٤١/٧ ، ٢٦١) وقانون التأويل ٢٧٨

(٣) انظر: عارضة الأحوذي (٢٨/١) والأحكام (٤٧٠/١) وقانون التأويل ص ٢١٢ ، ٥٢٦

(٤) انظر: الديباج المذهب ص ٢٨٣ .

(٥) انظر: الأحكام (٨٠/١ ، ٧٠٩/٢) ونفح الطيب (٢٤٢/٢) .

(٢٠٢٤ك)، وقد حققه أحد الباحثين ببلاد المغرب[١] ولم أعثر عليه مطبوعاً.

٥)واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل :

وقد اختلف في مسمى هذا الكتاب فمنهم من سماه (قانون التأويل في التفسير) وأطلق عليهم آخرون اسم (القانون في التفسير)[٢]، والكتاب يتكلم عن تفسير القرآن الكريم، وتوجد منه عدة أجزاء متفرقة في مكتبات العالم ، ففي دار الكتب المصرية جزئين من هذا التفسير تحت رقم (١٨٤– تفسير)، وفي مكتبة القرويين بمدينة فاس بالمغرب يوجد منه جزء تحت رقم (٩٢٦ – تفسير)[٣].

٦)قانون التأويل :

ذكره ابن العربي في مواضع من كتبه ، وقد مهد ابن العربي لهذا الكتاب بذكر رحلته إلى بلاد المشرق وما جرى له في تلك الرحلة ، وقد طبع محققاً ، ونال به محققه رسالة علمية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة[٤].

٧)خامس الفنون :

وقد فسر فيه بعض الآيات من سورتي الأنعام والأعراف ولا يزال مخطوطاً. وتوجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٤١)، وقد أشار فيه إلى

---

(١) انظر: مقدمة قانون التأويل ص ١٢٨ ، فقد ذكر الأخ المحقق أنه حققه الدكتور عبدالكبير المدغري وزير الأوقاف بدولة المغرب .

(٢) انظر: آراء أبي بكر بن العربي (١/٦٧ – ٦٨) وقانون التأويل ص (١٢٤ –١٢٥) ومع القاضي أبي بكر ص ١٢٣

(٣) انظر: مقدمة قانون التأويل ص ١٢٥

(٤) هذا الكتاب حققه للأخ محمد السليماني ونال به درجة الماجستير ، وقد خرجت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٤٠٦هـ

بعض كتبه كالمحصول وغيره[١].

٨)**ترتيب آي القرآن** : ذكره في الناسخ والمنسوخ[٢].

ثانياً : أصول الدين :

٩)**الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى** :

ذكره ابن العربي في عدة مواضع من كتبه[٣]، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ، وتوجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٤ – ق)[٤]، وقد حصلت على صورة لهذه النسخة عن مصورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

١٠) **كتاب الأفعال** :

ذكره ابن العربي في بعض كتبه وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٤–ق) في آخر كتاب الأمد الأقصى ، وقد حصلت على صورة هذه النسخة الخطية عن مصورة بمكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ثم إني أخبرت أنه حققه أحد الباحثين بالمعهد العالي لأصول الدين بالجزائر ونال به درجة علمية[٥] وقد طلبته فحصلت على نسخة منه مطبوعة على الآلة الكاتبة تقع في (٢٩٥) ورقة .

---

(١) انظر: مع القاضي أبي بكر ص ١٣٣ ، ومقدمة كتاب الأفعال ص ٢٤

(٢) انظر: الأفعال ص ٢٢

(٣) انظر: أحكام القرآن (٤٣/١) وعارضة الأحوذي(٥٤/٦)

(٤) انظر: قانون التأويل ص (١١٠-١١٤) ، مع القاضي ابن العربي ص ١٢٧

(٥) وهو الأخ عبدالمجيد بن علي رياش ونال به درجة الماجستير ، وقد تمت مناقشة هذه الرسالة بالمعهد الوطني بالجزائر في ١٦/٧/١٤٠٤هـ .

١١)العواصم من القواصم :

وهو من أشهر مؤلفات ابن العربي وأكثرها رواجاً . وقد طبع قديماً الجزء الأخير من هذا الكتاب وهو ما يتعلق بالصحابة - رضوان الله عليهم[١] ثم طبع الكتاب كاملاً في مجلدين مع مقدمة وافية عن حياة ابن العربي وكتبه[٢].

١٢)المتوسط في الاعتقاد :

وقد ذكر هذا الكتاب في جملة من كتبه ولا يزال الكتاب مخطوطاً ، وتوجد منه نسخة عتيقة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٩٦٣ - ك) [٣].

وقد حصلت على مصورة منه ونقلت منه هذا البحث.

١٣)الوصول إلى معرفة الأصول :

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً . وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة اليوسفية بمدينة مراكش بالمغرب ضمن مجموع تحت رقم (٥٢٥) [٤].

١٤)الغرة في نقض الدرة :

وهي رسالة رد فيها على رسالة ابن حزم (الدرة في الاعتقاد . وقد ذكرها في العواصم)[٥].

---

[١] وذلك بتحقيق الشيخ محب الدين الخطيب وقد خرجت الطبعة الأولى من الكتاب بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ

[٢] وذلك بتحقيق د/عمار الطالبي ط / الشركة الوطنية لنشر والتوزيع بالجزائر .

[٣] انظر: قانون التأويل ص ١١٥ .

[٤] انظر: قانون التأويل ص ١٢٠ والأفعال ص ٣١ .

[٥] العواصم ص (٢٥٠)

١٥)المقسط في شرح المتوسط :

ذكره المؤلف في قانون التأويل[١] وفي غيره من كتبه .

١٦)الدواهي والنواهي :

ذكره المؤلف في جملة من كتبه، وقد أشار إلى سبب تأليفه فقال في العواصم (قد جاءني بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه نكت الإسلام فيه دواهي فجردت عليه نواهي)[٢].

١٧)التكفير بالتأويل :

ذكره في العارضة[٣] وفي القبس[٤]، سماه كفار المتأولين.

١٨)**خلق الأفعال** : ذكره في الأفعال[٥] والقبس[٦].

١٩)**مسائل الوعد والوعيد** : ذكره في العارضة[٧].

٢٠)**المعجزات** : ذكره في العارضة[٨].

٢١)**النبوات** : ذكره في العارضة[٩].

---

(١) قانون التأويل ص (١٨٨) .

(٢) العواصم ص (٢٥٠) .

(٣) عارضة الأحوذي (٩٩/٧) .

(٤) القبس (٤٨/١) .

(٥) الأفعال ص (١٩٤) .

(٦) القبس (٩٨/١)

(٧) عارضة الأحوذي (١٠٧/١٠)

(٨) المرجع السابق (١٩٣/١١ ، ١٧٥/١٢ ، ١٥٢/١٣) .

(٩) المرجع السابق (٩٠/١) .

ثالثاً : علوم الحديث :

٢٢)عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي :

وقد شرح فيه ابن العربي سنن الترمذي شرحاً لطيفاً من غير توسع، والكتاب مطبوع ومتداول ، ويقع في سبعة مجلدات كل مجلد يحتوى على جزئين عدا المجلد السابع فهو جزء واحد.

٢٣)القبس شرح موطأ مالك بن أنس :

كان هذا الكتاب مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٩١١٦ - ك)[١]. ثم حقق الكتاب ونال به محققه درجة علمية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة[٢] ثم طبع أخيراً في ثلاثة مجلدات .

٢٤)المسالك في شرح موطأ مالك :

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً، وله نسخ عدة، منها نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٣- حديث)، ونسخة أخرى بمكتبة القرويين تحت رقم (١٨٠)[٣].

٢٥)رسالة في طرق حديث (ليس من أم بر صيام في أم سفر)[٤] :

ولا تزال هذه الرسالة مخطوطة، وتوجد منها نسخة في المكتبة الوطنية بمدريد ضمن

---

(١) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٤٠ .

(٢) حققه الدكتور محمد عبدالله ولد كريم ونال به درجة الدكتوراه ، انظر: القبس (٤/١) .

(٣) انظر: كتاب الأفعال ص ٣٠ ، وقانون التأويل ص ١٢٩ - ١٣- وقد أفاد محقق القانون أن شقيقته تقوم بتحقيق كتاب المسالك وقد أنجزت الجزء الأول منه - انظر: القانون ص ١٢٩ .

(٤) أخرجه أحمد (٤٣٥/٥) وإسناده صحيح كما قال الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (٣٩٦/٦) وأصل الحديث عند البخاري الفتح (١٨٣/٤ح١٩٤٦) بلفظ (ليس من البر الصوم في السفر) ، وانظر: إرواء الغليل للألباني (٥٨/٤) .

مجموع رقم (٥٣٤٩) تقع في (٢٠) ورقة[١].

٢٦)**رسالة في طرق حديث عقبة بن عامر** -ﷺ-(ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة، أو غفر له)[٢].

ولا تزال هذه الرسالة أيضاً مخطوطة بالمكتبة الوطنية بمدريد ضمن المجموع السابق، رقم (٥٣٤٩) وتقع في (١١) ورقة[٣].

٢٧)**رسالة في أحاديث المصافحة** :

وهي مخطوطة أيضاً، وتقع ضمن المجموع السابق (٥٣٤٩) بالمكتبة الوطنية بمدريد[٤].

٢٨)**رسالة (مجلس الروضة)** :

وهي عبارة عن مجموعة أحاديث سمعها ابن العربي في الروضة الشريفة بالمدينة المنورة ، ولا تزال مخطوطة أيضاً بالمكتبة الوطنية بمدريد ضمن المجموع السابق برقم (٥٣٤٩)[٥].

٢٩)**الأحاديث المشكلة** : ذكره في العارضة[٦].

٣٠)**التفصي عن عهدة التقصي لما في الموطأ من الأخبار والآثار** ، ذكره في

---

(١) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٤١ ، وقانون التأويل ص ١٣٤

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٩/١) والنسائي (٩٥/١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٧٠/١) .

(٣) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٤٢ ، وقانون التأويل ص ١٣٥

(٤) انظر: المرجعين السابقين .

(٥) انظر: المرجعين السابقين .

(٦) العارضة (٢٥/١٠)

العارضة[1].

٣١)**جزء أحاديث الإفك** ، ذكره في العارضة[2].

٣٢)**جزء أحاديث النعل وأحكامها** ، ذكره في العارضة[3].

٣٣)**شرح البخاري** ، ذكره في القبس[4] وفي العارضة[5].

٣٤)**شرح الصحيحين** ، ذكره في القانون[6] وغيره .

٣٥)**صريح الصحيح** ، ذكره في العارضة[7].

٣٦)**مختصر النيرين في شرح الصحيحين** ، ذكره في العارضة[8] وفي القانون[9].

رابعاً : الفقه وأصوله :

٣٧)**التقريب والتبيين في شرح التلقين** :

وهو شرح لكتاب (التلقين) للقاضي عبدالوهاب البغدادي، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم (XLIX)[10]، وم

---

(١) المرجع السابق (٧/٢١٥)

(٢) المرجع السابق (١٢/٤٧)

(٣) المرجع السابق (٧/٢٧٢)

(٤) القبس (٢/٩٨)

(٥) العارضة (٤/٢٨٢)

(٦) قانون التأويل ص ٥٩١

(٧) العارضة (٦/١٦١)

(٨) العارضة (١/٢٨)

(٩) القانون ص ٤٠٤

(١٠) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٤٣ ، وقانون التأويل ص ١٣٨

يذكر هذا الكتاب في شيء من كتبه ولا نسبه إليه أحد من المؤرخين، ولذلك تردد بعض الباحثين في نسبته إلى ابن العربي[١].

٣٨) الرسالة الحاكمة على الأيمان اللازمة :

وهذه الرسالة هي جواب عن سؤال ورد عليه أثناء رحلته إلى المشرق . وهي لا تزال مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع برقم (٣٧ - ك)[٢].

٣٩)المحصول في علم الأصول :

وقد أحال ابن العربي إلى هذا الكتاب في كثير من كتبه، وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة ابن يوسف تحت رقم (٩٢٤)، كما يوجد بالخزانة العامة بالرباط مصورة منه تحت رقم (٦٤٠)[٣]، وقد حقق هذا الكتاب أخيراً ونال به محققه درجة علمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[٤]، وقد صورت منه نسخة واستفدت منه ولله الحمد.

٤٠)**أصول الخلاف**، ذكره في القبس[٥].

٤١)**الإنصاف في مسائل الخلاف** ، ذكره في العارضة[٦] وفي غيرها .

٤٢)**الفرائض** ، ذكره في أحكام القرآن وفي العارضة[٧] والقبس[٨].

---

(١) انظر: قانون التأويل ص ١٣٨ - ١٤٠

(٢) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٤٤

(٣) انظر: الأفعال ص ٢٩ . ومع القاضي أبي بكر ص ١٤٤

(٤) حقق هذا الكتاب الأخ عبداللطيف بن أحمد الحمد ونال به درجة العالمية (الماجستير) .

(٥) القبس (١٧/٢)

(٦) العارضة (٢٦٦/٣)

(٧) المرجع السابق (١٩٤/٥)

(٨) القبس (٩٧/٢)

٤٣)**كتاب الحيض** ، ذكره في العارضة[١].

٤٤)**مفردات مالك** ، ذكره في العارضة[٢].

٤٥)**النوازل الفقهية** ، ذكره في المحصول[٣].

خامساً : الزهد :

٤٦) سراج المريدين :

وقد أشار ابن العربي إلى هذا الكتاب في بعض كتبه وسماه (سراج المريدين القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير)[٤] وقد تناول فيه المؤلف الوعد والوعيد والجنة والنار، وحكايات الصالحين وسنن المهتدين، وغير ذلك مما يرغب في الآخرة، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً وتوجد مصورة منه بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٣٤٨-ب)[٥].

٤٧)سراج المهتدين :

وهذا الكتاب يختلف عن الكتاب الذي قبله، وإن كان بعض الباحثين قد جعله كتاباً واحداً واعتبر ذلك من خطأ بعض النساخ لتقارب المسميين[٦]، إلا أنه بوجود الكتاب يتضح أنهما كتابين ، كل كتاب مختلف عن الآخر ومما يؤكد

---

[١] العارضة (١٩٨/١)

[٢] العارضة (١٠٤/٦)

[٣] انظر: الأفعال ص٣١ .

[٤] انظر: عارضة الأحوذي (٢٧/٤) .

[٥] انظر: قانون التأويل ص (١٤٠) ومع القاضي ابن العربي ص (١٣١)

[٦] انظر: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (٧٥/١-٧٦) فقد وهم الدكتور عمار الطالبي فجعلهما كتاباً واحداً.

ذلك، إحالته في هذا الكتاب على (سراج المريدين)[١] وقد صدّر المؤلف هذا الكتاب بأحاديث قدسية وحكم نبوية ، وهو لا يزال مخطوطاً كسابقه وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم (١٤٧٣)[٢].

٤٨)**أحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة :**

ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً، وتوجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم (٩٢٨ - ك)[٣]، ولعل هذا الكتاب هو ما أشار إليه في بعض كتبه باسم أحكام العباد في المعاد[٤].

٤٩) **الزهد**، ذكره في العارضة[٥].

سادساً : اللغة والأدب :

٥٠)**ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين**، ذكره المؤلف في أحكام القرآن وفي العارضة[٦].

٥١)**شعراء الأندلس** : ذكره الأستاذ سعيد عراب[٧].

٥٢)**حواشي على شرح ابن السيد لديوان أبي العلاء** ذكره الأستاذ سعيد عراب[٨].

هذا ما تمكنت معرفته من كتبه الكثيرة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٥٧

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٣) انظر: قانون التأويل ص ١٤٤ ، والأفعال ص ٢٠ .

(٤) انظر: أحكام القرآن (١/١٥٣، ٥١٣)

(٥) العارضة (١٣/١٤٠)

(٦) العارضة (٢/٤٧)

(٧) انظر: مع القاضي ابن العربي ص ١٦٤

(٨) المرجع السابق ص ١٦٣ .

المبحث الرابع
وفاته وثناء العلماء عليه

أولاً : وفاته :

توفي ابن العربي – رحمه الله – ليلة الخميس لثلاث خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (٥٤٣)[١].

وكان ذلك عند منصرفة من مراكش بعد مبايعته لأمير الموحدين عبدالمؤمن بن علي[٢]، وكان ابن العربي قد خرج على رئاسة وفد إشبيلية لمبايعة ذلك الأمير، إلا أن ذلك الوفد حبس سنة كاملة. ثم أذن له بعد ذلك بالرجوع إلى إشبيلية . فلما كان بالقرب من مدينة فاس توفي ابن العربي – رحمه الله – بموضع يقال له (مغيلة)[٣] أو (رأس الماء) وحمل ميتاً على الأعناق إلى فاس حيث دفن من الغد ، خارج باب المحروق[٤].

هذا هو المشهور في المصادر التي ترجمت لابن العربي[٥] إلا أن بعض المصادر

---

(١) انظر: بغية الملتمس ص ٨٤ ، سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٩)

(٢) عبدالمؤمن بن علي بن علوي سلطان المغرب الكومي القيسي كان رزيناً وقوراً عالي الهمة . توفي سنة٥٥٨هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٦/٢٠) ، والبداية والنهاية (٢٤٦/١٢) .

(٣) مغيلة : بضم أوله ثم الكسر : إقليم من أعمال شذونه بالأندلس فيه قلعة ورد وفي أرضه سعة ، انظر: معجم البلدان (١٩٠/٥٦) .

(٤) انظر: الديباج المذهب ص ٣٧٨ ، ونفح الطيب (٢٤٨/٢ - ٢٤٩) ، طبقات المفسرين للداودي (١٧٠/٢)، شذرات الذهب (١٤٢/٤) ، مع القاضي بن العربي (١٢٠) .

(٥) انظر: بغية الملتمس ص ٨٤ ، الديباج المذهب ص ٣٧٨ ، وفيات الأعيان (٢٩٧/٤) تذكرة الحفاظ (١٢٩٧/٤) سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٩) طبقات المفسرين للداودي (١٧٠/٢) الأعلام (٢٣٠/٦) مع القاضي ابن العربي ص (١٢٠) .

ذكرت أنه توفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة (٥٤٥) كما في البداية والنهاية[1] وفي تاريخ ابن النجار أن وفاته سنة (٥٤٦)[2].

ولعل ذلك وهم منهما ، إذ هو مخالف لما تواتر في بقية المصادر والله أعلم.

ثانياً : ثناء العلماء عليه :

لقد كان لمكانة ابن العربي العلمية مع ما جمعه – رحمه الله – من صفات حميدة وأخلاق حسنة ، أثر بالغ في شهادة العلماء بفضله وتقدمه والثناء عليه. سواء في ذلك معاصروه الذين شاهدوا حاله أو من جاءوا بعده. ممن عرفوا ذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة التي بقيت على مر العصور شاهدة له بذلك .

يقول عنه تلميذه ابن بشكوال (الإمام الصالح الحافظ المستبحر ، ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها ... كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها ، مقدماً في المعارف كلها ، متكلماً في أنواعها نافذاً في جمعها . حريصاً على أدائها ونشرها ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال ، وكرم النفس، وحسن العهد...) [3].

وقال عنه صاحبه وتلميذه الفتح بن خاقان (علم الأعلام الطاهر الأثواب الباهر الألباب ، والذي أنسى ذكاء إياس ، وترك التقليد للقياس، وانتج الفرع من الأصل ، وغدا في يد الإسلام أمضى من النصل ، سقى الله به الأندلس بعدما أجدبت

---

(١) البداية والنهاية (١٢/٢٤٥) .

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ (٤/١٢٩٧) وكذلك فعل ابن العماد فقد أرخ وفاته في هذه السنة ، انظر: شذرات الذهب (٤/١٤٢) .

(٣) الصلة ص (٥٥٨)

من المعارف ، ومد عليها منه الظل الوارف، فكساها رونق نبله وسقاها ريق وبله...)[١].

وقال تلميذه القاضي عياض (درس الفقه والأصول وقيد الحديث ، واتسع في الرواية ، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام ... ورُحل إليه للسماع وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة ... وكان فيها نبيلاً فصيحاً حافظاً أديباً وشاعراً، كثير الخير مليح المجلس ، ولكثرة حديثه وأخباره وغرائب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثه ...)[٢].

وقال في بغية الملتمس : (فقيه حافظ عالم متفنن أصولي محدث مشهور أديب رائق رئيس وقته ...)[٣].

وقال الذهبي في السير :(الإمام العلامة الحافظ القاضي ... صاحب التصانيف... كان ثاقب الذهن ، عذب المنطق ، كريم الشمائل ، كامل السؤدد)[٤].

وقال أيضاً في التذكرة (ادخل الأندلس علماً شريفاً وإسناداً منيفاً وكان متبحراً في العلم ثاقب الذهن ، عذب العبارة موطأ الأكناف كريم الشمائل، كثير الأموال)[٥].

---

[١] انظر: نفح الطيب ص (٢٥٢) .

[٢] الغنية ص (١٣٤-١٣٥) وانظر: الديباج المذهب ص (٣٧٧) .

[٣] بغية الملتمس ص (٨٠).

[٤] سير أعلام النبلاء (١٩/١٩٧-٢٠٠) .

[٥] تذكرة الحفاظ (٤/١٢٩٥) .

الباب الأول

منهج ابن العربي في تقرير مسائل الإلهيات

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : منزلة العقل والشرع عند ابن العربي في استدلاله على الإلهيات .

الفصل الثاني : موقف ابن العربي من نصوص الصفات .

الفصل الثالث : موقف ابن العربي من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة .

الفصل الرابع : موقف ابن العربي من أهل البدع :

الفصل الأول

منزلة العقل والشرع عند ابن العربي في استدلاله على الإلهيات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقفه من الاستدلال بالعقل في الإلهيات :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف العقل في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : منزلة الأدلة العقلية عند ابن العربي .

المطلب الثالث : موقف أهل السنة والجماعة من الاستدلال بالعقل .

المبحث الثاني : موقف ابن العربي عند تعارض العقل والشرع .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حقيقة التعارض بين العقل والشرع عند ابن العربي .

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من تقديم العقل على الشرع

المبحث الأول
موقف ابن العربي من الاستدلال بالعقل في الإلهيات

وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : تعريف العقل في اللغة والاصطلاح :

المقصد الأول : تعريف العقل في اللغة :

العقل في اللغة : مصدر عقل يعقل عقلاً ، تقول عقلت البعير أعقله عقلاً[١].
وأصل معنى مادته: الحبس والمنع[٢]وسمي عقل الإنسان عقلاً. لأنه يعقله. أي يمنعه من التورط في الهلكة ، وأطلق عليه حجر لأنه يحجره من فعل مالا يليق، وسمي نهيه لأنه ينهاه عما يضره ، وسمى العقل لبّاً لأنه كما يقول الزبيدي[٣]:(خلاصة الإنسان. أو أنه لايسمى ذلك إلا إذا خلص من الهوى وشوائب الأوهام ، فعلى هذا هو أخص من العقل)[٤].

المقصد الثاني : تعريف العقل في الاصطلاح :

اختلفت مسميات العقل في كلام العلماء ، وذلك بحسب استعمالهم هذا

---

(١) تهذيب اللغة (٢٣٨/١) ، وانظر: اللسان (٤٥٨/١١) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦٩/٤) .

(٣) هو أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، عالم باللغة والحديث والرجال والأنساب ، توفي سنة١٢٠٥هـ ، انظر: الأعلام (٧٠/٧) .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (١٨٧/٤) .

اللفظ ، فمنهم من يقول : العقل هو علوم ضرورية ، ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم ، ومنهم من يقول: هو الغريزة المدركة .

والصحيح أن اسم العقل يطلق بالاشتراك على أربعة معان[١]:

١ - الغريزة المدركة، وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء . فقد شرف الله الإنسان بها ، وميزه بذلك عن سائر الحيوانات ، وهي التي يتعلق بها التكليف الشرعي عند الإنسان .

٢ - المعارف الفطرية والعلوم الضرورية التي يشترك فيها جميع العقلاء كالعلم بالممتنعات والواجبات والممكنات، فمن ذلك العلم بامتناع اجتماع الضدين وكون الجسم في مكانين ونقصان الواحد عن الاثنين .

٣ - المعارف النظرية وتستفاد من التجارب الحسية والنظر والاستدلال، ويطلق بعض العلماء على هذا المعنى من معاني العقل : العلم ، وممن ذهب إلى ذلك ابن العربي رحمه الله، حيث قال في معرض كلامه عن العقل :

(هو في لسان العرب العلم ، لافرق عندهم بين عقلت وعرفت وعلمت)[٢].

٤ - العمل بمقتضى تلك العلوم ، والعقل بهذا المعنى هو مانفاه أصحاب النار عن أنفسهم، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير**﴾[٣].

---

(١) انظر: احياء علوم الدين للغزالي (١/١٤٥ - ١٤٦) ط دار الشعب ، القاهرة، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص(٥٥٨) جمع أحمد بن محمد الحراني . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي ص(١٦١) تحقيق د.عمار الطالبي ط دار الثقافة الدوحه ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٣هـ .

(٣) سورة الملك (١٠) .

وقد جمع ابن القيم[١] -رحمه الله- معاني العقل في معنيين فقال :

(العقل عقلان : عقل غريزي طبيعي ، وهو أبو العلم ومربيه ومثمره ، وعقل كسبي مستفاد ، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته ، فإذا اجتمعا في العبد استقام أمره وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإذا فقدهما أحد فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه، وإذا فقد أحدهما أو انتقص، انتقص صاحبه بقدر ذلك)[٢].

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، الإمام الحافظ ، كان واسع العلم بالخلاف ومذاهب السلف بدَّع في علوم كثيرة ، ولد بدمشق سنة ٦٩١ هـ ومات بها سنة ٧٥١ هـ ـ رحمه الله تعالى ـ انظر: البداية والنهاية (١٤/٢٤٦) ، وشذرات الذهب (٦/١٦٨) .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٢٧) بتصرف .

المطلب الثاني

منزلة الأدلة العقلية عند ابن العربي :

يذهب ابن العربي -رحمه الله- إلى اعتماد الأدلة العقلية وجعلها هي الأصل والمرجع في الاستدلال على معرفة الله - ﷻ - ومعرفة صفاته، وهذا المذهب الذي أخذ به ابن العربي واضح لمن تتبع كلامه ، وذلك من وجوه ثلاثة :

١. تصريح ابن العربي بوجوب الاعتماد على الأدلة العقلية :

فقد نص ابن العربي - رحمه الله - على وجوب الاعتماد على الأدلة العقلية وتحكيمها، وقرر ذلك في عدة مواطن من كتبه، ومن ذلك قوله رحمه الله :
(خذوا معنى اللفظ عربية وأعرضوه على أدلة العقول ، إن كان توحيداً فما جاز ظاهره عليه نفذ ، وما امتنع عدل به عنه إلى اقرب وجوهه إليه)[١].
وهذا الذي ذكره ابن العربي واضح في تحكيمه للأدلة العقلية واعتماده عليها وجعلها هي الأصل ، وان ما خالف أدلة العقول عنده فيجب صرفه بأي وجه كان ، حتى يتفق مع الدليل العقلي .

وفي موطن آخر يؤكد على وجوب اعتماد العقل في الاستدلال فيقول :
(فإذا جاء ما ينفي العقل ظاهره فلابد من تأويله ، لأن حمله على ظاهره محال ، فيكون غير مفهوم ، والشرع لا يأتي به فلابد من تأويله)[٢].

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي (٤٩/١١) ط دار الكتب العلمية - بيروت .
(٢) العواصم من القواصم ص (٢٣١) .

٢ - تطبيق ذلك المنهج العقلي في استدلاله على مسائل الإلهيات:

أثبت ابن العربي -رحمه الله- بعض الصفات وهى الصفات، السبع التي يثبتها عموم الأشاعرة، وقد اعتمد في الاستدلال على هذه الصفات على الدليل العقلي يتضح ذلك بقوله :

(ويدل إتقان جبلته وإحكام صنعته، على أنه عالم، إذ لا يصح تقدير موجد لا علم له ولا قدرة، ويتحقق بعد أنه حي إذ القدرة والعلم يستحيل وصف الموات بهما)[١]، فقد استدل رحمه الله على إثبات هذه الصفات بالدليل العقلي فاستدل على صفة العلم بإتقان جبلته وإحكام صنعته، واستدل على صفة الحياة بكونه قادراً عالماً وهذه لا تكون إلا من الحي .

وفي موطن آخر قرر ذلك الاستدلال بقوله :

(لا إشكال في دلالة العقل على وجوب هذه الأوصاف ، فالوجود يدل على القدرة والإتقان على العلم ، وتعيين أحد جائزي الوجود من صفة وهيئة على الإرادة، وأيضاً فإن العقل لا يتحصل للفاعل على ما لم يقصده ويؤثره ، هذا هو المعقول فيه ، وذلك يتضمن العلم بكونه حياً لأن العالم القادر المريد يستحيل ألا يكون حياً)[٢].

فهذه الصفات التي أثبتها ابن العربي، إنما أثبتها عن طريق دلالة العقل مما يدل على أن الاستدلال بالعقل ـ عنده ـ هو الأصل المعتمد في إثبات مسائل الإلهيات.

ولعل ذلك المنهج يتضح أكثر عند الكلام على مباحث الصفات في الباب

---

(١) قانون التأويل لأبي العربي تحقيق محمد السليماني ص ٤٦٠ .

(٢) المتوسط في الاعتقاد لابن العربي ، لوحة (٢٧) ، الخزانه العامة بالرباط ، تحت رقم (٢٩٦٣) .

الثالث إن شاء الله تعالى[١].

٣ - المنع من الاعتماد على السمع في الاستدلال على الإلهيات :

لم يقف ابن العربي عند هذا الحد من الإفراط في الاستدلال بالعقل على مسائل الإلهيات، حتى منع الاستدلال بالسمع على ذلك، وأكد على أنه لايمكن أن يكون طريقاً يعتمد عليه في الاستدلال على معرفة الله ﷻ ومعرفة صفاته، لأن ذلك عنده يؤدي إلى الدور والتناقض .

ولذلك أنكر ابن العربي على إمام الحرمين الجويني[٢]، وتعجب منه ، وذلك حينما عوّل على السمع في الاستدلال على معرفة الله ومعرفة صفاته، فقال في معرض رده على الجويني :

(وتعجبوا من رأس المحققين يعوّل في نفي الآفات على السمع ، ولايجوز أن يكون السمع طريقاً إلى معرفة الباري ولاشيء من صفاته لأن السمع منه فلا يعلم السمع إلا به، ولايعلم هو إلا بالسمع ، فيتعارض ذلك ويتناقض)[٣].

فابن العربي -رحمه الله- يرى أن السمع لايصلح أن يكون طريقاً يعتمد عليه في معرفة الله ﷻ ومعرفة صفاته، لأن الاعتماد على السمع في ذلك باطل - عنده - لما يؤدي إليه من التناقض ، وإذا بطل الاعتماد على السمع في ذلك لم يبق إلا الاعتماد على طريق آخر، وهو طريق العقل فيكون هو الأصل والمرجع في ذلك .

ومما تقدم من هذه الوجوه تتضح منزلة الأدلة العقلية عند ابن العربي -رحمه

---

(١) انظر: ص ٣٠٢ .

(٢) هو أبو المعالي ، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني - نسبة لجوين من قرى نيسأبور - الشافعي الأشعري الملقب بإمام الحرمين ، ولد سنة ٤١٩ هـ ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٤٦٨-٤٧٧) ومعجم البلدان (٢/٢٢٤) .

(٣) قانون التأويل ص ٤٦٢ .

الله-، وأنه يعتمد الأدلة العقلية في استدلاله على الإلهيات ويجعلها هي الأصل في ذلك، وإن كان ابن العربي قد يتبع الأدلة العقلية في بعض الأحيان بذكر بعض الأدلة السمعية وذلك من باب الاستئناس بها إذا وافقت الأدلة العقلية ، كما في قوله - رحمه الله- :

(ولابد من الاعتقاد بأنه سميع بصير ، وقد اختلفت أغراض العلماء في الدليل على ذلك ، فقال الأستاذ أبو إسحاق[1]، لأنه خلقها للعبد ، ومحال أن يخلق مالا يعلم، وعليه نبّه بقوله ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾[2])[3].

ويقول رحمه الله في معرض استدلاله على صفة الحياة :

(ويتحقق بعد أنه حي ، إذ القدرة والعلم يستحيل وصف الموات بهما ، قال الله تعالى﴿**الله لا اله إلا هو الحي القيوم**﴾[4] قال سبحانه ﴿**هو الحي**[5]﴾...)[6].

فقد اعتمد ابن العربي في استدلاله على هذه الصفات المتقدمة بالدليل العقلي، وجعله هو الأصل في استدلاله ، ثم أتبع ذلك بذكر بعض الأدلة السمعية وذلك لموافقتها للأدلة العقلية .

وما ذهب إليه ابن العربي من اعتماد العقل في الاستدلال وجعله هو الأصل في ذلك هو ما عليه جمهور المتكلمين من المعتزلة[7] والأشاعرة[8].

---

(١) هو الأستاذ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الاسفراييني . فقية شافعي متكلم . توفي سنة ٤١٨ هـ انظر: السير(١٧/٣٥٣-٣٥٦) البداية والنهاية (١٢/٢٤) .

(٢) سورة الملك (١٤) .

(٣) قانون التأويل ص (٤٦١) .

(٤) سورة البقرة (٢٥٣) .

(٥) سورة غافر (٦٥) .

(٦) قانون التأويل ص (٤٦١) .

(٧) سيأتي التعريف بهذه الفرقة ، انظر: ص (١٦٠) .

(٨) الأشاعرة هم المنتسبون الى أبي الحسن الاشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال ، انظر: الملل =

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي[١] في سياق حديثه عن صفة الاستواء .

(إن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة غير ممكن ، لأن صحة السمع موقوفة عليها، لأنا ما لم نعلم القديم تعالى عدلاً حكيماً لا نعلم صحة السمع ، وما لم نعلم أنه غني لاتجوز عليه الحاجة لانعلمه عدلا ، وما لم نعلم أنه ليس بجسم لانعلمه غنياً، فكيف يمكن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة ، وهل هذه إلا استدلال بالفرع على الأصل)[٢].

ويقول الغزالي(كل مادل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها وتكاذ بها ، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل ، فإما أن لايكون متواتراً فيعلم أنه غير صحيح ، وإما أن يكون متواتراً فيكون مؤولاً ولايكون متعارضاً ، وأما نص متواتر لايحتمل الخطأ والتأويل وهو على خلاف دليل العقل فذلك محال ، لأن دليل العقل لايقبل الفسخ والبطلان)[٣] .

وقد اعترف ابن العربي بهذا الإفراط من المتكلمين في التعلق بالأدلة العقلية واعتذر عنهم في ذلك فقال (ذكر الاعتذار عن عدول العلماء عن الكتاب إلى أدلة العقول :

فإن قيل فما عذر علمائكم في الإفراط بالتعلق بأدلة العقول دون الشرع

=

والنحل(١٠٦/١) وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية(٧٢/٤) .

(١) هو عبدالجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني . القاضي من غلاة المعتزلة . له عدة مصنفات مات سنة ٤١٥ هـ ولم يذكر تاريخ ولادته ، انظر: شذرات الذهب (٢٠٢/٣-٢٠٣) ، والأعلام (٢٧٣/٣) .

(٢) شرح الاصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ص(٢٢٦)تحقيق د.عبالكريم عثمان. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.

(٣) المستصفى من علم الأصول للغزالي (١٣٧/٢ - ١٣٨) ط المطبعة الأميرية بمصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

المنقول ...)[١] وسيأتي نقل تمام كلامه في موضعه، وإنما أردت إثبات اعتراف ابن العربي وشهادته على إفراط المتكلمين في التعلق بالأدلة العقلية، وعدولهم عن الأدلة الشرعية .

ومما تقدم من كلام القاضي عبد الجبار والغزالي وابن العربي يتضح اعتماد المتكلمين للأدلة العقلية والإفراط فيه وجعلها هي الأصل في استدلال على مسائل الإلهيات ، وأن ابن العربي لم يخرج عما كانوا عليه، وإنما قرر مذهبهم وسار على طريقتهم في ذلك .

وأما الشبه التي اعتمد عليها ابن العربي وغيره من المتكلمين فيما ذهبوا إليه من اعتماد الأدلة العقلية والتعويل عليها في الاستدلال على الإلهيات، فقد أشار إلى ذلك ابن العربي في معرض اعتذاره عن علماء الكلام وفي رده على الجويني، ويمكن تلخيص ماذكره من الشبه فيما يلي :

أولاً : الشبهة الأولى :

اختصار الأدلة العقلية الواردة في كتاب الله، مما جعل العلماء يكملون هذا الاختصار، وذلك باستيفاء تلك الأدلة العقلية وبيان فروعها ومتعلقاتها :

قال ابن العربي في سياق اعتذاره عن علماء الأشاعرة (إن الأدلة العقلية قد وقعت في كتاب الله مختصرةَ بالفصاحة ، مشاراً إليها بالبلاغة ، مذكوراً في مساقها الأصول دون التوابع والمتعلقات من الفروع ، فكمل العلماء ذلك الاختصار ، وعبّروا عن تلك الإشارة بتتمة البيان، واستوفوا الفروع والمتعلقات بالإيراد)[٢].

فابن العربي يرى أن علماء الأشاعرة لم يأخذوا بالأدلة العقلية ويفرطوا في

(١) قانون التأويل ص٥٠٢ .

(٢) قانون التأويل ص ٥٠٢ .

ذلك، إلا لكون الأدلة وقعت مختصرة في القرآن الكريم فتوسع العلماء فيها وكملوا ذلك الاختصار .

ثانياً : الشبهة الثانية :

أن الاعتماد على الأدلة العقلية والتعويل عليها أداة لتبصير الملاحدة والرد على المبتدعة من أهل الملل والنحل .

يقول ابن العربي في سياق اعتذاره عن علماء الأشاعرة في تعلقهم بأدلة العقول دون الشرع المنقول : (إنهم أرادوا أن يبصروا الملاحدة ويعرفوا المبتدعة أن مجرد العقول التي يدعونها لأنفسهم ، ويعتقدون أنها معيارهم لاحظ لهم فيها ، وزادوا ألفاظاً حرروها بينهم ، وساقوها في سبيلهم ، قصداً للتقريب ومشاركة لهم في ذلك)[1].

فابن العربي رحمه الله يرى أن علماء الكلام أخذوا بالأدلة العقلية لتبصير الملاحدة ورد شبهاتهم وتعريفهم أنهم على غير صواب ، وذلك من خلال معيارهم الذي يعتمدون عليه ويرجعون إليه وهو العقل .

فهاتان الشبهتان هما اللتان ذكرهما ابن العربي واعتذر بهما عن علماء الأشاعرة في إفراطهم في الأخذ بأدلة العقول دون الشرع المنقول .

وهناك شبهة ثالثة تمسك بها ابن العربي في اعتماده للأدلة العقلية والتعويل عليها، وذلك في معرض رده على إمام الحرمين الجويني حينما عول على السمع في الإلهيات، وتتلخص هذه الشبه فيما يلي :

---

(١) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٢ .

ثالثا : الشبة الثالثة :

أنه لايمكن الاستدلال بالسمع على مسائل الإلهيات، لأن ذلك عنده يؤدي إلى الدور الباطل فلم يبق إلا الاستدلال بالعقل لسلامته من ذلك .

يقول ابن العربي في تقرير هذه الشبهة :

(ولايجوز أن يكون السمع طريقاً إلى معرفة الباري ولاشيء من صفاته، لأن السمع منه ، فلا يعلم السمع إلا به، ولايعلم هو إلا بالسمع ، فيتعارض ذلك ويتناقض)[1].

هذه هي أهم الشبه التي جعلت ابن العربي وغيره من المتكلمين يعتمدون الأدلة العقلية، ويجعلونها أصلاً في استدلالهم على الإلهيات .

---

(١) قانون التأويل ص ٤٦٢ .

المطلب الثالث

موقف أهل السنة والجماعة من الاستدلال بالعقل

يعتبر أهل السنة والجماعة ماذهب إليه ابن العربي وغيره من المتكلمين تجاه الأدلة العقلية نوعاً من الغلو والإفراط في مسألة العقل، حيث أوغلوا به في مفاوز لايهتدي فيها إلى سبيل، فأنزلوه في غير منزلته الشرعية التي جاء بها الإسلام، وجعلوه هو الأصل في استدلالهم، واعتمدوا عليه في أهم مسائل العقيدة وهي مايتعلق بالإلهيات .

والإسلام قد كرم العقل وجعله مناطاً للتكليف عند الإنسان، ووجهه إلى التفكر في آيات الله، اتعاظاً واعتباراً، قال الله تعالى :﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ۞ الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك**﴾[1].

ومع ذلك فقد جعل الإسلام للعقل حداً يقف عنده ، فلايسترسل فيما لايدركه من المعارف الدينية التي طريق معرفتها لايدرك إلا من جهة الرسل ، فالعقول قاصرة عن تحصيل المعارف الدينية التي تحتاج إلى هداية الوحي وتنبيه الرسل،

وهنا يتضح خطأ المتكلمين حيث لم يجعلوا للعقل حداً يقف عنده، وإنما أطلقوا له العنان حتى حكموه في نصوص الوحي وردوا كثيراً منها لأجله .

وقد قابل طائفة المتكلمين الذين أفرطوا في جانب العقل طائفة من المتصوفة[2]، حيث أهملوا الجانب العقلي و لم يعولوا عليه ، بل لم يجعلوه من الطرق

---

(١) سورة آل عمران (١٩٠ - ١٩١) .

(٢) سيأتي التعريف بهذه الفرقة ، انظر: ١٦٤ .

المعتبرة في الاستدلال، ففرطوا فيه واستغنوا عنه .

وأما أهل السنّة فقد توسطوا في ذلك، وهـدوا إلى منزلـة العقـل الشـرعية الـتي جاء بها الإسلام ، فهم في جانب العقل بـين الإفـراط الـذي ذهـب إليـه المتكلمـون ، وبين التفريط الذي جنح إليه المتصوفة ، فمنهجهم في الاستدلال بالعقل منهج اعتـدال ووسطية[١].

فقد أسسوا دينهم على نصوص الوحي وجعلوا العقل تبعاً له في ذلك .

قال شيخ الإسـلام ابـن تيميـة[٢] رحمـه الله في معـرض رده طريقـة المتكلمـين وطريقة المتصوفة في قضية الاستدلال بالعقل :

(وليس ماجاء به الرسول موافقاً لما قال هـؤلاء ولا هـؤلاء ﴿**ماكـان إبراهيـم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وماكـان مـن المشـركين**﴾[٣] وماكـان رسول الله ﷺ ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي، ولا علـى طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف، بل كان على ما بعثه الله مـن الكتـاب والحكمة)[٤].

وفي بيان منزلة العقل عند أهل السنة والجماعة يقول أبـو المظفـر السـمعاني[٥]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٣٣٨ - ٣٣٩) جمـع عبدالرحمـن بـن محمـد بـن قاسـم ط الملك فهد بن عبدالعزيز، منهاج السنة (٥/٤٢٨ - ٤٢٩) تحقيق محمد رشاد سالم ، ط مكتبة ابـن تيميـة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

(٢) هو أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي ، تقـي الديـن ، الشـهير بـابن تيميـة ، بحـر العلوم وناصر السنة وقامع البدعة، ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وتوفي سجيناً بدمشق سنة ٧٢٨ هـ ـ رحمـه الله تعالى ـ انظر: البداية والنهاية (١٤/١٤١-١٤٦) والدرر الكامنة (١/١٥٤) .

(٣) سور آل عمران ، آية (٦٧) .

(٤) منهاج السنة (٥/٤٢٩) بتصرف يسير .

(٥) هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني التيمي الفقيه الإمام المشهور ، له عدة مصنفات ، ولد سنة ٤٢٦ هـ وتـوفي سـنة ٤٨٩ هـ انظر: سير أعـلام النبـلاء (١٩/١١٤-١١٩) ووفيـات الأعيـان (٣/٣١١) .

رحمه الله:

(واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل ، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة فقالوا الأصل في الدين الاتباع ، والمعقول تبع ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي ، وعن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولبطل معنى الأمر والنهي ، ولقال من شاء ما شاء ، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لايقبلوا شيئاً حتى يعقلوا)[١].

ويقول السفاريني[٢] في بيان حدود العقل التي يجب أن يقف عندها ولايتعداها إلى غيرها :

(إن الله تعالى خلق العقول وأعطاها قوة الفكر ، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة ، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي ، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ، ووفت النظر حقه أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ماهو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ، ركبت متن عمياء ، وخبطت خبط عشواء)[٣].

---

(١) الحجة في بيان المحجة في شرح عقيدة أهل السنة (٣٢٠/١) تحقيق د. محمد ربيع المدخلي ط دار الراية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

(٢) هو أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، محدث فقيه أصولي ، ولد سنة ١١١٤هـ وتوفي سنة ١١٨٨هـ انظر: : الأعلام (١٤/٦) ومعجم المؤلفين (٢٦٢/٨) .

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني (١٠٥/١) ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ .

الجواب عن الشبه التي تمسك بها ابن العربي :

الجواب عن الشبهة الأولى :

وهى اختصار الأدلة العقلية الواردة في كتاب الله مما جعل العلماء يكملون هذا الاختصار، وذلك باستيفاء تلك الأدلة وتفريعها .

وقد أجاب أهل السنة على هذه الشبهة بما يلي :

١ـ أن الاختصار الذي وقع في الأدلة العقلية الواردة في كتاب الله اختصار بلاغة لانقص فيه ولاقصور ، فلا يحتاج إلى إكمال، ولوكانت تحتاج إلى مزيد بيان وبرهان لما أهملها القرآن، وهذه البلاغة مع الوضوح والبيان تدل على إعجاز القرآن الكريم .

ولذلك قال القاضي عياض تلميذ ابن العربي في معرض حديثه عن إعجاز القرآن:

(فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجاج العقليات ، والرد على فرق الأمم ، ببراهين قوية ، وأدلة بينة ، سهلة الألفاظ ، موجز المقاصد ، رام المتحذلوقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها ، فلم يقدروا عليها)[١]

وقال ابن أبي العز[٢] –رحمه الله– :

(وإذا تأمل الفاضل غاية مايذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ماذكر في القرآن من الطرق العقلية ، بأفصح عبارة وأوجزها ، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقق مالايوجد عندهم مثله)[٣].

---

(١) الشفا للقاضي عياض مع شرحه لعلي القاري (٥٧٨/١) ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) هو أبو الحسن علي بن علي بن أبي العز الحنفي الدمشقي الإمام المعروف ، ولد سنة ٧٣١هـ وتوفي سنة ٧٩٢هـ، انظر: الدرر الكامنة (٨٧/٣) وشذرات الذهب (٣٢٦/٦) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق أحمد شاكر ص(٦٦) ط الرئاسة العامة للإفتاء الرياض ١٤١٣هـ .

٢ـ أن أكثر ماجاء به المتكلمون من الحجج العقلية والطرق الكلامية ، تطويل ومناقضات عقيمة لافائدة منها ، بل غاية ما تُوْصِلُ إليه الحيرةَ والشكَ وقد اعترف أساطين الكلام بذلك وكلامهم في ذلك أشهر من أن يذكر، فهذا أبو المعالي الجويني يحذر من الاشتغال بعلم الكلام بعد أن جربه وعلمه فيقول :

(يا أصحابنا لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به)[1].

وهذا أبو عبد الله الرازى[2] وهو من هو في علم الكلام يصرح بالحيرة والوحشة في أبيات من الشعر، ثم يقول بعد ذلك :

(لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ولاتروي غليلاً ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات :

﴿الرحمن على العرش استوى﴾[3] ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾[4] واقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾[5] ﴿ولايحيطون به علماً﴾[6] ثم قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[7] وكلامهم في ذلك كثير جداً[8].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم (٤٧٤/١٨) ط مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ .

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي التيمي . إمام في الفلسفة وعلم الكلام يعرف «بابن خطيب الرى» توفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، انظر: البداية والنهاية (٦٠/١٣-٦٢) شذرات الذهب (٢٢/٥) .

(٣) سورة طه (٥) .

(٤) سورة فاطر (١٠) .

(٥) سورة الشورى (١١) .

(٦) سورة طه (١١٠) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٢١-٥٠١) .

(٨)ـ انظر: في ذلك مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٥ -١١) ، ودرء التعارض (١٦٠/١) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز تحقيق أحمد شاكر ص (١٧٧ -١٧٩) .

الجواب عن الشبه الثانية :

وهي أن لاعتماد على الأدلة العقلية والتعويل عليها أداة لتبصير الملاحدة. والرد على المبتدعة من أهل الملل والنحل .

وقد أجاب أهل السنة على هذه الشبة من وجهين :

١ - انه قد علم أن الأنبياء هم أعلم الخلق با لله، وأعرفهم بطرق الدلالة عليه ، وهذا محل اتفاق الجميع ، وقد كان منهاج النبوة هو الإعراض عن الجدل والخوض في المناظرات والاستدلالات إلا بما أوحى ا لله ، كما أعرض رسول ا لله ﷺ عن ابن الزعبرى حتى أوحى ا لله إليه ، وكذلك فعل مع الوليد بن المغيرة . فلم يزد على قراءة القرآن عليه ، ونصارى نجران إنما دعاهم إلى المباهلة لأن الحق قد تبين ، فلا يجوز الجدل بعد ذلك ، وكذلك كتبه عليه السلام إلى الملوك خالية من الاستدلالات والبراهين على مناهج المتكلمين ، فأهل الحديث والسلف أشبه بنبيهم وأصحابه ، والعلماء هم ورثة الأنبياء[١].

٢ - اشتمال الكتاب والسنة على جميع أنواع البراهين والأدلة ، مما يغني عن الخوض في الحجج الكلامية والأدلة العقلية ، مما جعل السلف رحمهم ا لله يكتفون بهما عن غيرهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله :

(وخلاصة ما عند أرباب النظر العقلي في الإلهيات من الأدلة اليقينية والمعارف الإلهية، قد جاء به الكتاب والسنة ، مع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلا من هداه ا لله بخطابه ، فكان فيما جاء به الرسول ﷺ من الأدلة العقلية والمعارف اليقينية فوق ما في عقول جميع العقلاء من الأولين والآخرين)[٢].

---

(١) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليماني . تحقيق شعيب الأرنؤوط (٤/٩٥ -١٠١) ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/١١٠) وانظر: درء التعارض (٧/٢٨٩) .

بل قد أقر بعض أهل الكلام بذلك ، فهذا الغزالي شيخ ابن العربي يصرح بذلك في معرض رده على من قال : إن الصحابة ﷺ ، إنما أمسكوا عن العقليات لقلة الحاجة إلى ذلك في عصرهم ، فيقول عن الصحابة :

(إنهم كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد ﷺ وإلى إثبات البعث مع منكريه ، ثم مازادوا في هذه القواعد التي هي أمهات العقائد على أدلة القرآن ، فمن أقنعه ذلك قبلوه ، ومن لم يقنع قتلوه ، وعدلوا إلى السيف والسنان ، بعد إنشاء أدلة القرآن ، وماركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية ، وترتيب المقدمات ، وتحرير طريق المجادلة ، وتذليل طرقها ومناهجها كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ، ومنهج التشويش ، ومن لايقنعه أدلة القرآن لا يقنعه إلا السيف والسنان ، فما بعد بيان الله بيان)[1].

الجواب عن الشبهة الثالثة :

وهي دعوى ابن العربي أن الاستدلال بالسمع على مسائل الإلهيات يؤدي إلى الدور والتعارض ، فلم يبق إلا الاستدلال بالعقل لسلامته من ذلك. وقد أجاب أهل السنة عن هذه الشبهة بما يلي :

أولاً: بطلان الدور الذي توهمه ابن العربي وذلك من وجهين :

الوجه الأول :

أن ابن العربي وغيره من المتكلمين قد سلموا بدلالة العقل على صحة السمع[2]، وذلك بشهادته بصدق الرسول عن طريق دلالة المعجزة الدالة على صدقه ، وإذا

---

(١) الجام العوام عن علم الكلام، للغزالي ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي(٤/٦٠)ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر: قانون التأويل ص(٦٤٦) .

ثبتت صحة السمع عقلاً ، وجب قبول كل ماورد به ، سواء في ذلك ما يتعلق بمعرفة الله ومعرفة صفاته، أو غير ذلك من الأدلة السمعية(١).

الوجه الثاني :

أن الله ﷻ هو المعرف عباده بنفسه عن طريق مانصب لهم من الآيات الكونية، التي هي صادرة عن قدرته ومشيئته وحكمته وعلمه، وكذلك ما أنزله ﷻ من الآيات الشرعية التي بعث بها رسله وأنزل بها كتبه ، وكما أن الاستدلال بالآيات الكونية على معرفة الله ومعرفة صفاته غير ممتنع، فكذلك الاستدلال بالآيات الشرعية، إذ إنها جميعاً صادرة عن الله تعالى ، معرفة به لافرق بينها في ذلك .

ثانياً: تناقض ابن العربي في الاستدلال بمسألة السمع، وذلك أن ابن العربي قد سلم بأنه يعلم بالسمع بعض الأمور، كالسمعيات ونحوها، وإذا سلم ابن العربي بذلك لزمه التسليم بجميع مادل عليه السمع، سواء في ذلك السمعيات أو الإلهيات أو غيرها ، إذ لافرق فيما ورد به السمع بين السمعيات والإلهيات(٢)، وبهذا يُعلم بطلان ما توهمه ابن العربي من الدور في الاستدلال بالسمع على مسائل الإلهيات، وتناقض كلامه في ذلك، وإذا بطل ذلك بطل الاعتماد على الدليل العقلي في معرفة صفاته .

مما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من المتكلمين في الاعتماد على الأدلة العقلية والإفراط فيها في الاستدلال على الإلهيات ، وأن الحق هو ماذهب إليه أهل السنة والجماعة من التوسط في مسألة العقل وجعله تبعاً للسمع في الاستدلال ، وسيأتي لذلك مزيد بيان في المبحث الثاني والله أعلم .

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم (١٧٢،٧٩/١)، ومختصر الصواعق ص(١٦٠).

(٢) انظر: درء التعارض (١٧٨/١) .

المبحث الثاني

موقف ابن العربي عند تعارض العقل والشرع

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

حقيقة التعارض بين العقل والشرع عند ابن العربي

لم يختلف موقف ابن العربي رحمه الله تجاه الأدلة العقلية ، فهو يرى أنها هي العمدة والأصل، وأن ماخالفها فلابد من صرفه على أي وجه كان، حتى يتفق معها، وهذا عنده عام في كل ماخالف الدليل العقلي ، حتى ولو كان ذلك المخالف مما ورد به الشرع.

وهو مع ذلك يصرح بعدم وجود تعارض بين الأدلة العقلية والأدلة الشرعية، وإن وجد شئ من ذلك فإنما هو في الظاهر بتقصير من الناظر .

قال ابن العربي -رحمه الله- :

(إن العقل والشرع إذا تعارضا فإنما ذلك في الظاهر بتقصير الناظر ، وقد يظهر للناظر المقصر أن يجعل الشرع أصلاً فيرد إليه العقل، وقد يرى غيره أن يجعل العقل أصلاً فيرد الشرع إليه ، وقد يتوسط آخر فيجعل كل واحد منهما أصلاً بنفسه، فالناظر الذي قدم المعقول سيأتيه من ظاهر الشرع مايقلب حقيقة الشرع ولاسبيل إليه، والذي يجعل العقل أصلاً والشرع تبعاً ، إن أخذه كذلك مطلقاً ورد ماينكره القلب ببادي الرأي في مورد الشرع مما يستحيل في العقل ، فإن وقف في وجه الشرع فهو مكذب، وإن قال بما في الشرع فهو متناقض ، وإن توسط فهو الناظر العدل ، يجعل كل واحد منهما أصلاً عقلاً ونقلاً)[1].

---

(١) قانون التأويل ص (٦٤٧) .

فابن العربي رحمه الله يرى أن التوسط تجاه العقل والشرع . أن نجعل كل واحد منهما أصلاً حتى لايكذب الشرع ولايناقض العقل .

ولكن ماحقيقة هذا التوسط الذي ارتضاه ابن العربي ، وجعل صاحبه هو الناظر العدل، إن حقيقة ذلك هو ترجيح جانب العقل وتقديمه على ظاهر الشرع يتضح ذلك بقوله :

(فإذا جاء ماينفي العقل ظاهره فلابد أيضاً من تأويله ، لأن حمله على ظاهره محال . فيكون غير مفهوم ، والشرع لايأتي به، فلابد من تأويله)[1].

فابن العربي يذهب إلى أنه لايمكن أن يرد الشرع بما يخالف العقل ، فإذا حصل شئ من ذلك في الظاهر وجب صرف نصوص الشرع إلى مايوافق العقل، سواء كان ذلك بتأويل أو غيره ، فلايكون هناك تعارض أو تناقض بين العقل والشرع .

وذلك لأن العقل عنده هو أصل الشرع والمزكي له ، والشاهد بصحته ، فلا يمكن للشرع أن يضاده أو يعارضه .

قال ابن العربي -رحمه الله- :

(ولايصح أن يأتي في الشرع مايضاد العقل ، فإنه الذي يشهد بصحة الشرع ويزكيه من وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، فكيف يأتي الشاهد بتكذيب المزكي، هذا محال عقلاً)[2].

وفي موطن آخر يقول :

(إن الشرع لايجوز أن يرد بما يرده العقل، وكيف يصح ذلك والعقل بمثابة

---

(١) العواصم ص (٢٣١) .

(٢) قانون التأويل ص (٦٤٦) .

المزكي للشرع والمعدل ، فكيف يصح أن يجرح الشاهد مزكي)[١].

وبهذا يتبين موقف ابن العربي عند تعارض العقل والشرع ، وأنه يقدم العقل في ذلك، ولكنه لايرد النص الشرعي ، وإنما يحمله على معنى يوافق العقل ، وإن خالف ذلك ظاهر النص .

ولذلك نفى ابن العربي وجود التعارض بين العقل والشرع ، لأن الشرع عنده مردود إلى العقل، إذ هو أصله ومزكيه .

وماذهب إليه ابن العربي رحمه الله من تقديم العقل على الشرع ، موافق لما عليه جمهور المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم .

فهذا الغزالي شيخ ابن العربي يقول في معرض كلامه عن أقسام الناس عند تعارض النقل مع العقل :

(الفرقة الخامسة : هي الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول، الجاعلة كل واحد منهما أصلاً مهماً ، المنكرة لتعارض العقل والشرع وكونه حقاً ، ومن كذب العقل فقد كذّب الشرع ، إذ بالعقل عرف صدق الشرع، ولولا صدق دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبي والمتنبئ والصادق والكاذب، وكيف يكذب العقل بالشرع ، وماثبت الشرع إلا بالعقل، وهؤلاء هم الفرقة المحقة وقد نهجوا منهجاً قويماً ..)[٢].

والمقارن بين كلام الغزالي وكلام تلميذه ابن العربي يتبين له اتفاقهما على تقديم العقل على الشرع، لأن العقل عندهم هو أصل الشرع فما ثبت الشرع عندهم إلا بالعقل .

وكما ذهب ابن العربي إلى تأويل كل ماخالف العقل من النصوص الشرعية.

---

(١) المتوسط في الاعتقاد لابن العربي ، مخطوط لوحة (١١) .

(٢) قانون التأويل للغزالي ، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزلي (١٢٦/٧) .

فقد ذهب إلى ذلك قبله شيخه الغزالي ، حيث يقول في ذلك :

(وأما ماقضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل مارود السمع به، ولايتصور أن يشتمل السمع على قاطع مخالف للمعقول)[١].

وقد صرح بذلك أيضاً الرازى في كثير من كتبه ، ومن ذلك قوله :

(واعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شئ ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك ، فهناك لايخلوا الحال من أحد أمور أربعة: إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل ، فيلزم تصديق النقيضين وهو محال ، وإما أن تبطلهما فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال، وإما أن تكذب الظواهر النقلية ، وتصدق الظواهر العقلية وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية وذلك باطل، لأنه لايمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته ... فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل .

ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها)[٢].

وقد درج على ذلك عامة أهل الكلام المتقدمين منهم والمتأخرين، حتى إن القاسمي[٣] وهو من المتأخرين ادعى اتفاق العلماء على ذلك فقال :

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص (١٣٣) ط/دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

(٢) أساس التقديس في علم الكلام للرازى ص (١٢٥-١٢٦) ط/دار الفكر اللبناني بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣هـ.

(٣) هو أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم. له عدة مصنفات في التفسير والحديث وغيرها من العلوم ولد سنة ١٢٨٣هـ وتوفي بدمشق سنة ١٣٣٢هـ، انظر: الأعلام (١٣٥/٢) معجم المؤلفين (١٥٧/٣) .

(ولذا اتفق العلماء على أنه إذا تعارض العقل والنقل أول النقل بالعقل ، إذ لايمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين، ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه إرتفاع النقيضين ، لكن بقي أن يقدم النقل على العقل، أو العقل، على النقل والأول باطل، لأنه إبطال الأصل بالفرع)[١].

ومما تقدم من عرض لمواقف المتكلمين ومنهم ابن العربي حول العقل والشرع، يتضح اتفاقهم على تقديم العقل على الشرع عند التعارض، وأنهم قد اتخذوا ذلك قانوناً يسيرون عليه ويرجعون إليه ، حتى أفردوا في تقرير ذلك القانون مصنفات مستقلة، كما فعل أبو حامد الغزالي في كتابه قانون التأويل الذي تقدم النقل عنه ، وتبع الغزالي على ذلك تلميذه ابن العربي، فصنف في تقرير ذلك كتابه المشهور قانون التأويل، فوافق شيخه في ذلك .

والحاصل أن ابن العربي لم ينفرد بذلك القانون وحده ، وإنما اندرج في سلك متكلمي الأشاعرة، الذين اتفقوا على تقديم العقل على الشرع عند التعارض كما زعموا، وإن كان ابن العربي قد ينكر وقوع التعارض بين العقل والشرع، إلا أن حقيقة قوله هو تقديم العقل على الشرع ، وذلك بصرف كل نص شرعي يخالف ظاهره العقل، حتى يتفق مع مقتضى الدليل العقلي، سواء كان ذلك بتأويل أو غيره.

---

(١) دلائل التوحيد للقاسمي ص (١٢٨) ط/ دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

المطلب الثاني

موقف أهل السنة والجماعة من تقديم العقل على الشرع

يتبرئ أهل السنة والجماعة مما ذهب إليه المتكلمون عامة وابن العربي خاصة، من تقديم جانب العقل على الشرع ، وذلك بصرف ظواهر النصوص حتى تتفق مع الدليل العقلي .

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح يتفق مع ماجاء به النقل الصحيح، وأنه لايمكن بأي حال من الأحوال أن يحصل تعارض أو تناقض بين العقل الصريح وبين النقل الصحيح، وإنما يحصل التعارض بين الشرع وبين العقول المنحرفة التي أسست على الأهواء والبدع والعقل الصريح منها برئ .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله- :

(ولهذا لايوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة ، ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل ، فضلاً عن أن يقول : فيجب تقديم العقل)[١].

فالسلف رحمهم الله جعلوا أساس دينهم هو ماجاءت به الرسل، وجعلوا المعقول تبع للشرع، فلم يحصل عندهم تعارض بين العقل والشرع، فكانت طريقتهم هي أهدى الطرق، لموافقتها لهدي النبي ﷺ وأصحابه .

يقول الإمام الدارمي[٢] رحمه الله في معرض رده على الجهمية :

(فحين رأينا أن المعقول اختلف منا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء و لم نقف له

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/١٣ - ٢٩) .

(٢) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني إمام في السنة، بصيراً بالمناظرة، له عدة تصانيف في الرد على الجهمية ، ولد سنة ٢٠٠هـ وقيل قبلها وتوفي في هراة سنة ٢٨٠هـ. انظر: شذرات الذهب (١٧٦/٢) تذكرة الحفاظ (٦٢١/٢) .

على حد بيّن في كل شئ رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلها إلى أمـر الرسول ﷺ ، وإلى المعقول عند أصحابه ، المستفيض بين أظهرهم ، لأن الوحي كـان ينزل بين أظهرهم فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم ... فالمعقول عندنـا مـاوافق هديهـم والمجهول ما خالفهم ، ولاسبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار)[1].

وقد أكد العلامة ابن القيم رحمه الله عـدم وجـود تعـارض بـين العقـل الصريـح والنقل الصحيح، وذلك في عدة مواطن من كتبه ، ومن ذلك قوله :

(ما علم بصريح العقل لايتُصور أن يعارضه الشرع ألبته ، ولايأتي بخلافه ، ومن تأمل ذلك فيما ينازع العقـلاء فيـه مـن المسـائل الكبـار ، وجـد ماخـالفت النصـوص الصريحة شبهات فاسدة يعلم العقل الصريح بطلانها ، بل يعلم بالعقل الصريـح ثبـوت نقيضها الموافق للنقل ، فتأمل ذلـك في مسـائل التوحيـد والصفـات ، ومسـائل القـدر والنبوات والمعاد ، تجد مايدل عليها صريح العقل لم يخالفه سمع قط)[2].

وبهذا يتضح موقف أهل السنة والجماعـة رحمهـم الله مـن قضيـة تقديـم العقـل على الشرع، وأنهم قد اتفقوا جميعاً على نفـي حصـول تعـارض بـين العقـل الصريـح والنقل الصحيح ، فضلاً عن القول بتقديم العقل على الشرع .

وقد تصدى أهل السنة والجماعـة لـلرد على مـاذهب إليـه المتكلمـون واتخـذوه قانوناً، فأفرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إبطال ذلك القانون، كتابـه العظيـم (درء تعارض العقل والنقل) وجعل الرد عليهم من أربعة وأربعين وجهاً .

وكذلك فعل تلميذه العلامة ابنّ القيم -رحمه الله- فقد تصدى لهم في كثير من كتبه ، وخاصة كتابه (الصواعق المرسلة) .

ولعل من المناسب إيراد بعض الوجوه التي أبطـل بهـا شيخ الإسـلام ابـن تيميـة

---

(١) الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق بـدر البـدر ص (١٠٨) ط/الـدار السـلفية الطبعـة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم تحقيق د.علي الدخيل الله (٣/٨٢٩) بتصرف يسير . ط/ دار العاصمـة الريـاض الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

قانون المتكلمين ومنهم ابن العربي وذلك على سبيل الاختصار وبحسب مايتناسب مع مثل هذا المبحث :

الوجه الأول :

قولهم : إن تقديم النقل يستلزم القدح والتكذيب للعقل ، الذي هو أصل النقل، والقدح في الأصل يستلزم القدح في الفرع، فبطلا جميعاً.

فيقال : هذا الكلام مبني على كون العقل هو أصل النقل .

وكون العقل أصلاً للنقل إما أن يراد به أنه اصل في ثبوته في نفس الأمر، أو أصل في علمنا بصحته .

والأول : لايقوله عاقل ، لأن ماهو ثابت في نفس الأمر ، بالسمع أو بغيره ، هو ثابت، سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته ، أو لم نعلم ثبوته لابعقل ولابغيره، إذ عدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم علمنا بالحقائق لاينفي ثبوتها في أنفسها .

وإما أن يراد به أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل لنا على صحته، وهذا هو المراد فيقال: ليس كل مايعرف بالعقل يكون أصلاً للسمع ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به علم صدق الرسول ﷺ، وليست كل العلوم العقلية يعلم بها صدقه، وعليه فلا تكون كل المعقولات أصلاً للسمع، لابمعنى توقف العلم بالسمع عليها ولابمعنى الدلالة على صحته ولابغير ذلك .

وحينئذ فإذا كان المعارض للسمع من العقليات ما لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه، لم يكن القدح فيه قدحاً في أصل السمع، فالقدح في بعض العقليات ليس قدحاً في جميعها، كما أنه ليس القدح في بعض السمعيات قدحاً في جميعها، ولايلزم من صحة بعض العقليات صحة جميعها[١].

---

(١) انظر: درء التعارض (١/٨٩-٩٠) .

الوجه الثاني :

أن يقال : إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع ، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به .

ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما أخبر به العقل .

ومعلوم أن هذا إذا قيل أوجه من قولهم ، كما قال بعضهم يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول ومعاني كلامه ، وقال بعضهم : العقل متولٍ ، ولى الرسول ثم عزل نفسه، لأن العقل دل على أن الرسول ﷺ يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر .

وقد مُثل ذلك : بمثل العامي إذا علم عين المفتي ثم دل غيره عليه، وبين له أنه عالم مفت، ثم اختلف العامي الدال والمفتي، وجب على المستفتي أن يقدم قول المفتي فإذا قال له العامي :

أنا الأصل في علمك بأنه مفت ، فإذا قدمت قوله على قولي عند التعارض قدحت في الأصل الذي به علمت أنه مفت ، قال المستفتي : أنت لما شهدت بأنه مفت ودللت على ذلك ، شهدت بوجوب تقليده دون تقليدك، كما شهد به دليلك، وموافقتي لك في هذا العلم المعين لا يستلزم أني أوافقك في العلم بأعيان المسائل ، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لايستلزم خطأك في علمك بأنه مفت ، والعقل يعلم أن الرسول ﷺ معصوم في خبره عن الله تعالى ، لايجوز عليه الخطأ ، فتقديمه قول المعصوم على مايخالفه من استدلاله العقلي أولى من تقديم العامي قول المفتي على قوله الذي يخالفه)[1].

---

(١) انظر: درء التعارض (١/١٣٨-١٣٩) .

الوجه الثالث :

أن يعارض دليلهم بنظير ماقالوه ، فيقال : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ، ورفعهما رفع للنقيضين ، وتقديم العقل ممتنع لأن العقل قد دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ماليس بدليل لايصلح لمعارضة الشيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه ، فلا يجوز تقديمه .

وهذا بيّن واضح ، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون هذه الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لايكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتّبع بحال ، فضلاً عن أن يقدم ، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله . وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه ، والقدح فيه يمنع دلالته ، والقدح في دلالته يقدح في معارضته ، كان تقديمه عند المعارضة مبطلاً للمعارضة، فامتنع تقديمه على النقل، وهو المطلوب)[١].

الوجه الرابع :

أن يقال : تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض ، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف ، فوجب الثاني دون الأول ، وذلك لأن كون الشيء معلوماً بالعقل ، أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء ، بل هو من الأمور النسبية الإضافية .

والمسائل التي يقال إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه

(١) درء التعارض (١/١٧٠-١٧٢) .

العقلاء، و لم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا ، بـل كـل مـن العقـلاء يقـول إن العقل أثبت مايقول الآخر إن العقل نفاه .

فلو قيل بتقديم العقل على الشرع ، وليست العقول شيئاً واحداً بيناً بنفسه ، ولاعليه دليل معلوم للناس، بل فيها هذا الاختلاف والاضطراب ، لوجب أن يحال الناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته ، ولا اتفاق للناس عليه .

وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق ، وهذه صفة لازمة له ، لاتختلف باختلاف أحوال الناس ، والعلم بذلك ممكن ، ورد الناس إليه ممكن ، ولهذا جاء التنزيل برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة .

قال تعالى :﴿**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾[1] فأمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، وهذا يوجب تقديم السمع ، وهذا هو الواجب[2].

الوجه الخامس :

أن يقال : غاية ماينتهي إليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بآرائهم ، من المشهورين بالإسلام ، هو التأويل أو التفويض ، فأما الذين ينتهون إلى أن يقولوا الأنبياء وهموا وخيّلوا مالا حقيقة له في نفس الأمر ، فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالإلحاد والزندقة[3].

قلت : التأويل والتفويض باطلان كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا الباب

---

(١) سورة النساء ، آية (٥٩) .

(٢) درء التعارض (١/١٤٤ - ١٤٧) .

(٣) المرجع السابق (١/٢٠١) .

إن شاء الله تعالى.

وبهذه الوجوه وغيرها مما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية يتبين بطلان هذا القانون الذي ذهب إليه المتكلمون، ومنهم ابن العربي، وأن الحق هو ماذهب إليه أهل السنة والجماعة من وجوب تعظيم الشرع وجعله هو الأصل في الاستدلال ، والعقل تبع له في ذلك والله أعلم .

الفصل الثاني

موقف ابن العربي من نصوص الصفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التأويل :

المبحث الثاني: التفويض .

موقف ابن العربي من نصوص الصفات

تمهيد :

لقد كان السلف رحمهم الله يثبتون نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة . ويؤمنون بها كما جاءت ، ويصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل ، ويعلمون أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق، ومعناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه[١].

وإنما كان السلف رحمهم الله يجهلون كيفية اتصاف الله ﷻ بالصفة ، مع علمهم وإيمانهم بأن لها حقيقة ومعنى .

ولذلك لما سئل الإمام مالك[٢]ـ رحمه الله ـ عن الاستواء قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة...)[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

(وهكذا سائر الأئمة : قولهم يوافق قول مالك ، في أنا لانعلم كيفية استوائه، كما لانعلم كيفية ذاته ، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب ، فنعلم معنى الاستواء ولانعلم كيفيته وكذلك نعلم معنى النزول ولانعلم كيفيته)[٤].

وقد تكلم السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة في جميع نصوص القرآن، آيات

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٣١-٣٢) بتقديم محمد عبالرزاق ، ط/ مطبعة المدني . جدة ١٤٠٣هـ .

(٢) هو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني ، أبو عبدالله . أحد الأئمة الأربعة المجمع على إمامتهم ، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/٨-١٣٥) تهذيب التهذيب (٥/١٠-٨).

(٣) أخرجه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص(١٨٠) ، تحقيق د/ ناصر الجديع ، ط / دار العاصمة ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ وأخرجه أيضاً البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٣٠٥/٢) تحقيق عبد الله الحاشدي ، ط/ مكتبة السوادي ـ جدة ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(٤) شرح حديث النزول ص(١٢٣) تحقيق محمد الخميس ، ط/ دار العاصمة ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

الصفات وغيرها ، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها ، واعتقدوا مادلت عليه ، وهم أورع الأمة من أن يتكلموا في كتاب الله بغير علم[١].

ولما برز أهل الكلام تكلموا في نصوص الصفات ، وجعلوها من قبيل المتشابه، وتبعهم على ذلك بعض المنتسبين إلى السنة .

ثم اختلفوا في ذلك : فمنهم من جعل المتشابه لايعلم تأويله إلا الله ففوض العلم بمعاني الصفات إلى الله ، وزعم أن معناها غير مفهوم لنا .

ومنهم من جعل المتشابه مما يعلم تأويله الراسخون في العلم فاشتغل بتأويل معانيها الظاهرة إلى معاني بعيدة لايدل عليها مراد الشارع .

ومنهم من جمع بين التفويض والتأويل ، ففوض في بعض الصفات وأول في البعض الآخر . أو فرّق العلماء بين العلماء والعامة ، فجعل التأويل للعلماء والتفويض للعامة .

وابن العربي ـ رحمه الله ـ من هذا الصنف الأخير ، كما سيتضح ذلك من خلال كلامه في مبحثي التأويل[٢] والتفويض[٣] إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٦/١٣) .

(٢) انظر: ص ١٠٠.

(٣) انظر: ص ١١٦.

المبحث الأول
التأويل

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: حقيقة التأويل .

المطلب الثاني: التأويل عند ابن العربي .

المطلب الثالث: موقف أهل السنة من التأويل .

المبحث الأول
حقيقة التأويل

أولاً : التأويل في اللغة :

إن الناظر في معاجم اللغة وخاصة المتقدمة منها يجد أن كلمة (التأويل) ترجع في استعمالها عند العرب إلى معنيين :

المعنى الأول : المرجع والمصير والعاقبة :

وقال ابن فارس(١):(فأما التأويل فهو انتهاء الشيء ومصيره وعاقبته وآخره)، ثم نقل عن يعقوب قوله : (أول الحكم إلى أهله، أي: أرجعه ورده إليهم)(٢).

وقال الراغب الأصفهاني(٣) (التأويل من الأول : أي الرجوع إلى الأصل . ومنه : المَوئِل للموضع الذي يُرجع إليه . وذلك هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه . عِلماً كان أو فعلاً)(٤).

ونقل ابن منظور(٥)عن أبي عبيدة(٦) قال (التأويل: المرجع والمصير)، ثم قال ابن

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي اللغوي ، العلامة ، كان رأساً في الأدب بصيراً بفقه مالك ، له عدة مصنفات ، توفي سنة٣٩٥هـ ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧) . وفيات الأعيان (١٠٠/١) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٥٩/١).

(٣) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل وقيل الحسين بن المفضل ، الأصفهاني الملقب بالراغب ، أديب لغوي مفسر ، اختلف في وفاته على أقوال أقربها سنه (٥٠٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨) معجم المؤلفين (٥٩/٤).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص(٩٩) تحقيق صفوان عدنان ، ط.دار القلم دمشق . الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

(٥) هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، أديب لغوي ولد سنة ٦٣٠هـ وتوفي سنة ٧١١هـ ، ينظر: الدرر الكامنة (٣١/٥ – ٣٣) ، الأعلام (١٠٨/٧) .

(٦) هو أبو عبيدة محمد بن المثنى التيمي مولاهم البصري ، الإمام النحوي ، صاحب التصانيف ، توفي سنة

=

منظور :(ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه)[١].

وقال الجوهري[٢] (وآل ، أي: رجع، يقال : طبخت الشراب فآل إلى قَدْرِ كذا وكذا، أي رجع، وآل القَطِرَانُ والعسلُ ، أي خثُر، والآيل : اللبن الخاثر)[٣].

٢ – المعنى الثاني : التفسير والتدبر والبيان[٤]:

قال الأزهري[٥] قال الليث[٦]:(التأول والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه)[٧] .

وقال الجوهري:(التأويل : تفسير مايؤول إليه الشيء، وقد أولتهُ وتأوَّلتهُ تأوّلاً بمعنى. ومنه قول الأعشى[٨]:

على أنها كانت تأوُّلُ حُبِّها تأوُّلُ ربعيٍّ السِقاب فأصحَبا[٩].

=

٢٠٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/٤٤٥-٤٤٧) ، شذرات الذهب (٢/٢٤) .

(١) لسان العرب (١٣/٣٢) مادة (أول) .

(٢) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، أحد أئمة اللغة ،وله مصنفات من أشهرها : الصحاح ، ومقدمة في النحو، مات سنة ٣٩٣هـ. ينظر: شذرات الذهب (٣/١٤٢) معجم المؤلفين (٢/٢٦٧) .

(٣) الصحاح (٤/١٦٢٨) تحقيق أحمد عبدالغفور .ط/ دار العلم بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ

(٤) انظر: الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل لمحمد الجليند ص ٣١-٣٢ ، ط المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ .

(٥) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر ، كان رأساً في اللغة والفقه . ثقة ديناً ثبتاً ، توفي سنة٣٧٠هـ انظر: السير (١٦/٣١٥) ، والأعلام (٥/٣١١) .

(٦) الليث بن المظفر بن سيار الخرساني ، كان رجلاً صالحاً ، بارعاً في الأدب ، بصيراً بالشعر والغريب والنحو. انظر: بغية الوعاة (٢/٢٧٠)

(٦) لسان العرب ، مادة (أول) (١١/٣٢)

(٧) تهذيب اللغة (١٥/٤٥٨) وانظر: لسان العرب (١١/٣٢)

(٨) هو أبو مصلح عبدالرحمن بن عبدالله الهمداني . شاعر مفوه شهير، قتله الحجاج سنة نيف وثمانين انظر: السير (٤/١٨٥) الأعلام (٤/٨٤).

(٩) ديوان الأعشى ص (٧) .

قال أبو عبيدة : يعنى تأوُّلُ حبها ، أي تفسيره ومرجعه)[١].

وقال الإمام ابن جرير الطبري[٢] (وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير)[٣].

ثانيا : التأويل في الشرع ، وعند السلف :

لم يختلف معنى التأويل عند السلف ـ رحمهم الله ـ عما كان عليه في اللغة العربية، فقد استعمله السلف بنفس المعنيين المتقدمين في إطلاقه في اللغة، وهما :

١ - المرجع والمصير والعاقبة .

٢ - التفسير والتدبر والبيان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه عن معاني التأويل: (وأما (التأويل) في لفظ السلف فله معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقارباً مترادفاً ...

المعنى الثاني في لفظ السلف : ... هو نفس المراد بالكلام إن كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وبين هذا المعنى والذي قبله بون ، فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح ، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهبي واللفظي والرسمي، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج ، سواء كانت ماضية أو مستقبلة ، فإذا قيل : طلعت الشمس ، فتأويل هذا نفس

---

(١) الصحاح (١٦٢٧/٤) .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الشهير . بدع في فنون عديدة فهو فقيه محدث مفسر. ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ، ينظر: السير (٢٦٧/١٤-٢٨٢) شذرات الذهب (٢٦٠/٢) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨٤/٣) ط / دار الفكر ١٤٠٥هـ .

طلوعها...)[١].

فالسلف ـ رحمهم ا لله ـ إنما أرادوا بإطلاق لفظ التأويل المصير والعاقبة أو التفسير والبيان، وبهذين المعنيين فسروا نصوص الكتاب والسنة الواردة بلفظ (التأويل)، فحملوا معنى ذلك على أحد هذين المعنيين ، ولعل ذلك يتضح بذكر بعض الأمثلة وذلك كما يلي :

أ – أمثلة استعمال التأويل بمعنى المرجع والعاقبة :

١ – قوله تعالى :﴿ **يأأيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى ا لله والرسول إن كنتم تؤمنون بـا لله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾[٢].

فقد فسر السلف قوله تعالى ﴿**وأحسن تأويلاً**﴾ بأحسن عاقبة وجزاءً، كما قال قتادة[٣] (﴿**ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾، ذلك أحسن ثواباً وخير عاقبة) [٤] وكذلك قال السدي[٥]، وقال مجاهد[٦] (أحسن جزاء)[٧]، وكلا هذين المعنيين يرجعان إلى معنى المصير والعاقبة[٨].

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٢٨٨-٢٨٩) .

(٢) سورة النساء آية (٥٩) .

(٣) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري، الحافظ، مفسر محدث، كان ضريراً وكان يضرب به المثل في الحفظ ، توفي سنة ١١٧هـ ، ينظر: وفيات الأعيان (٣/٢٤٨) والسير (٥/٢٦٩) .

(٤) جامع البيان (٤/١٥٢) وانظر: تفسير ابن كثير (١/٥٦٩) .

(٥) هو أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي القرشي مفسر مشهور، تناقل المفسرون أقواله، توفي سنة ١٢٧هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (١/٣١٣) السير (٥/٢٦٤-٢٦٥) .

(٦) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، شيخ القراء والمفسرين ، توفي سنة ١٠٤هـ، ينظر: السير (٤/٤٤٩-٤٥٧) البداية والنهاية (٩/٢٣٢) .

(٧) جامع البيان (٤/١٥١) .

(٨) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧/٢٦٦) ومنهج الاستدلال (٢/٥٣٨) .

٢ـ قوله تعالى:﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون۝ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾[١].

فقد فسر السلف (التأويل) في الآية بما وعدوا به من العذاب والنكال ، كما قال قتادة والسدي (هل ينظرون إلا تأويله) أي عاقبته ، وفي رواية عن قتادة (ثوابه)[٢].

وقال ابن جرير –رحمه الله– في معنى التأويل في الآية (أي ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه)[٣].

والتأويل بهذا المعنى هو الغالب في إطلاق هذا اللفظ في القرآن الكريم[٤] بل ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنه لم يرد لفظ التأويل في القرآن الكريم إلا بهذا المعنى فقال ـ رحمه الله ـ (وأما لفظ التأويل في التنزيل فمعناه : الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها ...) [٥].

٣ـ قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفرلي يتأول القرآن»[٦].

وقال ابن حجر[٧] ـ رحمه الله ـ : (يتأول القرآن : أي يفعل ما أمر الله به

---

(١) سورة الأعراف ، آية (٥٢-٥٣) .

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (١٨٧/٢) تحقيق ياسر بن إبراهيم ط/دار الوطن الطبعة الأولى ١٤١٨هـ وانظر: تفسير ابن كثير (٢٤٦/٢) .

(٣) جامع البيان (٢٠٣/٥) .

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام محمد الأمين الشنقيطي (٢٣٣/١) ط/مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤٠٨هـ.

(٥) درء التعارض (٣٨٢/٥) .

(٦) أخرجه البخاري الفتح (٢٩٩/٢ح٨١٧) كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود ، ومسلم (٣٥٠/١ح٢١٧) كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود .

(٧) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المصري الإمام الحافظ المحدث . توفي سنة ٨٥٢هـ.

=

فيه)[١]، وهو قوله تعالى ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً**﴾[٢].

ب – أمثلة استعمال التأويل بمعنى التفسير والبيان :

١ـ قوله تعالى ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾[٣] على القول بالوصل، فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ (أنا ممن يعلم تأويله)، وقال مجاهد (والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به)[٤].

فمراد ابن عباس ومجاهد بالتأويل أي التفسير، إذ لايمكن أن يعلم ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ولاغيره من العلماء حقائق تأويل القرآن الخارجية، لأن ذلك من الغيب الذي لايعلمه إلا الله تعالى[٥].

٢ـ قوله ﷺ في دعائه لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ :«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٦]، فالتأويل هنا هو التفسير .

٣ـ قول جابر ـ رضي الله عنه ـ في حجة النبي ﷺ :(... ورسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرنا . وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به)[٧].

قال ابن القيم –رحمه الله– (فعلمه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بتأويله هو علمه

=

انظر: شذرات الذهب (٢٧٠/٧) ، الأعلام (١٧٨/١) .

(١) فتح الباري (٢٩٩/٢)

(٢) سورة النصر آية (٣) .

(٣) سورة آل عمران آية (٧) .

(٤) جامع البيان (١٨٣/٣) .

(٥) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣١٦/١) ط/دار الفكر ١٤٠٣هـ ، وموقف ابن تيمية من قضية التأويل ص٤١.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٧/٤ح٢٣٩٧) بتحقيق أحمد شاكر ط/دار المعارف ١٣٦٩هـ واسناده صحيح كما قال أحمد شاكر .

(٧) أخرجه مسلم (٧٢٤/٢ح١٢١٨) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ .

بتفسيره وما يدل عليه ، وعلمه به هو تأويل ما أمر به ونهى عنه)[١].

والتأويل بهذا المعنى هو المشهور عند كثير من أهل التفسير والحديث، يعبرون بالتأويل ويريدون به معنى التفسير والبيان ، ومنه قول ابن جرير وغيره :(القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) ومنه قو ل الإمام أحمد في رده على الجهمية بعد إبطاله لما تأولوه من آيات القرآن (فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة) فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها وذكر تفسيرها المراد بها[٢].

والأمثلة على استعمال السلف للتأويل بهذين المعنيين كثيرة جداً[٣]، ولعل ما ذكرته من الأمثلة كاف في ذلك وا لله اعلم .

ثالثا : التأويل في اصطلاح المتأخرين :

لقد شاع في عرف المتكلمين ومن تبعهم من الأصوليين ، استعمال لفظ (التأويل) بمعنى لم يكن معروفاً عند السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، بل لم يكن معروفاً في معاجم اللغة المتقدمة .

فقالوا : التأويل : هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يقترن به[٤].

ولهم عبارات أخرى حول صياغة هذا التعريف أو دعوها مصنفاتهم، كما في تعريف الغزالي حيث يقول :

---

(١) الصواعق المرسلة (١٨١/١) .

(٢) انظر: مختصر الصواعق ص(١٢) .

(٣) انظر في ذلك: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦/٣، ٥٧) و(٢٨٤/١٣-٢٩٢) و(٣٦٤/١٧-٣٦٩) والصواعق المرسلة (١٧٦/١-١٧٨) ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة لعثمان علي حسن (٥٣٧/٢-٥٤٣) ط/مكتبة الرشد الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ ، وموقف المتكلمين من نصوص الكتاب والسنة د/سليمان الغصن (٤٨٨/١-٤٩٦) ط/دار العاصمة الطبعة الأولى١٤١٦هـ

(٤) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/٥ .

(التأويل : عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر)[١] .

وعرفه ابن قدامة[٢] رحمه الله بقوله:

(التأويل : صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح ، لاعتضاده بدليل يصير به أغلب الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر)[٣].

وقد تأثرت بعض المعاجم اللغوية المتأخرة بما شاع عند المتكلمين من تعريف التأويل.

فهذا ابن منظور ينقل عن ابن الأثير[٤] قوله في معنى (التأويل) فيقول :(إنه نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ)[٥].

وهذا التعريف لم يكن موجوداً في المعاجم المتقدمة ، إضافة إلى مجيئه مجرداً عن الأمثلة والشواهد .

.فإن معاجم اللغة المتقدمة كتهذيب اللغة للأزهري والصحاح للجوهري وغيرهما من المعاجم المتقدمة لم تذكر هذا المعنى الذي ذكره ابن منظور ، وإنما ذكرت المعنيين المتقدمين اللذين أخذ بهما السلف ـ رحمهم الله ـ كما تقدم .

وابن منظور -رحمه الله-إنما ذكر ذلك المعنى الذي قال به المتكلمون لتأثره بهم في ذلك ، وقد أورد هذا المعنى من غير أن يستشهد عليه، بخلاف ماعرف عنه من ذكر

---

(١) المستصفى للغزالي (٣٨٧/١)

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة ، الجماعيلي ، المقدسي ، الحنبلي ، إمام في الفقه ، وعالم بالحديث توفي سنة ٦٢٠هـ ، انظر: البداية والنهاية (١٠٧/١٣) شذرات الذهب (٨٨/٥) .

(٣) شرح مختصر الروضة للطوفي (٥٥٨/١) تحقيق د/عبدالله التركي ط/موسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

(٤) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ، مجد الدين ، المحدث اللغوي ، الأصولي، توفي سنة ٦٠٦هـ، انظر : وفيات الأعيان (٤٤١/١) السير (٤٨٨/٢١) .

(٥) لسان العرب (٣٣/١١) .

الشواهد على مايورده من المعاني اللغوية[١].

والحاصل أن التأويل بهذا المعنى هو المشهور عند جمهور المتكلمين ومن تبعهم من الأصوليين، فإذا أطلقوا لفظ (التأويل) في كتبهم نفياً أو إثباتاً فإنما يقصدون به هذا المعنى المتعارف عليه عندهم .

قال ابن القيم -رحمه الله- (وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره ، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول، والتأويل يحتاج إلى دليل ، وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وإبطاله من الجانبين، فممن صنف في إبطال التأويل على رأي المتكلمين القاضي أبو يعلى والشيخ موفق الدين ابن قدامة ، وقد حكى غير واحد إجماع السلف على عدم القول به)[٢].

ومعلوم أن غالب استعمال المتكلمين لهذا اللفظ في مسائل الإلهيات هو من هذا الباب، حتى توصلوا بذلك إلى إنكار كثير من الصفات الثابتة بنصوص الكتاب والسنة. كما سيتبين ذلك في الباب الثالث إن شاء الله تعالى[٣].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من قضية التأويل ص(٣٣-٣٤) .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص (١٢) .

(٣) انظر: ص ٣٠٩ ومابعدها.

المطلب الثاني

التأويل عند ابن العربي

أن المتتبع لكلام ابن العربي -رحمه الله- يجد أنه يطلق لفظ (التأويل) ويريد به أحد معنيين:

١ - أولاً : المعنى الأول : استعماله بمعنى التفسير :

وقد أطلقه ابن العربي بهذا المعنى في كتابة (أحكام القرآن)، عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية فمن ذلك :

١- قوله تعالى ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾(١) .

قال ابن العربي في معرض كلامه عن الآية الكريمة :

(المسألة العاشرة : في تأويله ثلاثة أقوال ...) ثم ذكر تلك الأقوال(٢).

وقوله تعالى ﴿**واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعملوا أن الله شديد العقاب**﴾(٣) .

قال ابن العربي عند تفسيره لهذه الآية :

(المسألة الأولى : في تأويل الفتنة : فيها ثلاثة أقوال ...) ثم ذكر تلك الأقوال(٤).

والأمثلة على إطلاق ابن العربي لفظ (التأويل) بهذا المعنى كثيرة، يعرف ذلك من قرأ في كتابه أحكام القرآن(٥).

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٩)

(٢) أحكام القرآن (١٠١/١)

(٣) سورة الأنفال / آية (٢٥)

(٤) أحكام القرآن (٨٤٦/٢)

(٥) انظر: أحكام القرآن (٤١٠،٣٥٥،٢٦٣،٢١٩،١٣١،١٢١/١) .

وإطلاق لفظ التأويل بهذا المعنى لا إشكال فيه ، فهو سائغ من جهة اللغة كما تقدم[١]، كما أنه قد اشتهر استعمال ذلك عند بعض المفسرين، كابن جرير الطبري[٢] وغيره .

٢ – المعنى الثاني : استعماله بالمعنى الذي عرفه به المتكلمون :

وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

وهذا المعنى يستعمله غالباً في توجيه ظواهر النصوص المنافية للعقل ـ على حد زعمه ـ وذلك لاستحالة حملها عنده على ظاهرها، وقد صرح ابن العربي بذلك في قوله (فإذا جاء ماينفي العقل ظاهره فلابد أيضاً من تأويله، لأن حمله على ظاهره محال غير مفهوم ، والشرع لايأتي به فلابد من تأويله)[٣] .

وفي موطن آخر قال في معرض كلامه عن التأويل :

(اسرد الأقوال في ذلك بقدر حفظك، وأبطل المستحيل عقلاً بأدلة العقل، والممتنع لغة بأدلة اللغة والممتنع شرعاً بأدلة الشرع ، وأبق الجائز من ذلك كله بأدلته المذكورة . ورجح بين الجائزات من ذلك كله، إن لم يمكن اجتماعها في التأويل، ولاتخرج ذلك عن منهاج العلماء، فقد اهتدى من اقتدى، ولن يأتي أحد بأحسن مما أتى به من سبقه أبداً)[٤].

فابن العربي بهذا الكلام يقرر قاعدة عامة تدل على أن التأويل يعمل في جميع النصوص التي يوهم ظاهرها ـ عنده ـ التشبيه ، فتتنافى مع العقل ، فلذلك يجب العدول بها ـ عنده ـ عن الظاهر إلى أي معنى من معاني اللغة أو غيرها .

---

(١) انظر: ص ٩٢.

(٢) انظر: جامع البيان ، تجده يقول عند كل آية (القول في التأويل كذا وكذا) (واختلف في تأويل كذا) . وعلى سبيل المثال انظر: (١/٥٩،٦٧،٦٩،٧٣) .

(٣) العواصم لابن العربي ص (٢٣١) .

(٤) قانون التأويل لابن العربي ص (٥٧٦) .

وقد بين ابن العربي أن هذه الطريقة هي طريقة العلماء ـ يعني: علماء الأشاعرة ـ ثم حذر من العدول عن منهاجهم الذي التزموه وساروا عليه، وهو الآخذ بطريقة التأويل.

وقد التزم ابن العربي بهذه الطريقة ـ وهي طريقة التأويل ـ في جميع نصوص الصفات التي يرى أنها توهم التشبيه، فنراه مثلاً يقول عن صفتي الضحك والفرح :

(وأما الضحك والفرح فحديث صحيح ، لكن أجمعت الأمة على أنها ليست بصفات[1]، وإنما الضحك عبارة عما يكون من فضله ، ويفيض من عطائه ، كما يقال: ضحكت الأرض إذا أبرزت زينتها ... والفرح عبارة عما يظهر عنده من الجود والسخاء والبشر والقبول)[2].

هكذا حمل ابن العربي هاتين الصفتين على خلاف ظاهرهما التي وردت به النصوص، وهو تأويل باطل مبنى على ما قرره من وجوب التأويل في كل نص يوهم -عنده- التشبيه، وقد ادعى ابن العربي إجماع الأمة على أن الضحك والفرح ليست بصفات ، وذلك لأنه يرى أن الأمة قد اتفقت على وجوب تنزيه الرب عما يقتضيه ظاهر نصوص الصفات التي توهم ـ بزعمه ـ مشابهة المخلوقات ، وحينئذ فلا بد من التأويل ـ عنده ـ لهذه النصوص .

وأما الأسباب التي جعلت ابن العربي يجنح إلى الأخذ بالتأويل في كثير من نصوص الصفات، فيمكن تلخيصها في سببين :

١ـ قوله بتقديم العقل على الشرع ، فكل ماعارض العقل عنده أوجب تأويله حتى يتفق مع العقل ، وذلك لاستحالة إبقائه عنده على ظاهره لما يوهمه من التشبيه ،

---

(١) مانقله ابن العربي من حكاية إجماع الأمة على أن الضحك والفرح ليستا بصفات ليس بصواب ، بل ذلك تساهل منه ، وإلا فالسلف وأتباعهم على خلاف ذلك ، كما سيأتي عند الكلام على هاتين الصفتين في الباب الثالث إن شاء الله انظر: ص ٣٧٠.

(٢) العواصم لابن العربي ص٢٢٤ .

وقد تقدم الكلام على ذلك في الرد عليه في الفصل الأول[١] .

٢ـ تأثر ابن العربي بمشائخه الذين تلقى عنهم ، ممن جعلوا التأويل منهجاً لهم ، فلذلك أمر ابن العربي بلزوم طريقتهم ، والإقتداء بهم ، بل اعتذر عن إفراطهم في جانب العقل ـ كما تقدم.

فقد قال ابن العربي بعد كلامه له في كيفية التأويل :

(ولا تخرج من ذلك عن منهاج العلماء، فقد اهتدى من اقتدى، ولن يأتي أحد بأحسن مما أتى به من سبقه أبداً)[٢].

ولذلك التزم ابن العربي بمنهاج مشائخه ـ علماء الأشاعرة ـ ولم يخرج عن طريقتهم التي قرروها، وهي طريقة التأويل .

وإن أعظم من تأثر به ابن العربي في ذلك شيخه أبي حامد الغزالي ، الذي يعتبر أول من تكلم من الأشاعرة عن التأويل بشكل منظم، كما في كتابه قانون التأويل[٣].

فقد قسم الغزالي الخائضين في العقل والنقل إلى خمس فرق ، ثم قرر أن الفرقة الخامسة هي التي أصابت الحق ، وهي التي جمعت بين المعقول والمنقول ، ولكنه في النهاية يقرر تقديم العقل ـ كما تقدم ـ وتأويل كل ما خالفه فيقول :

(وإذا لم يكن بد من تصديق العقل لم يمكن أن تتمارى في نفي الجهة عن الله ، ونفي الصورة ، إذا قيل لك إن الأعمال توزن ، علمت أن الأعمال عرض لايوزن فلابد من التأويل)[٤]، وقال أيضاً :(وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما

---

(١) انظر ص ٨٣-٨٦. .

(٢) قانون التأويل ص٥٧٦ .

(٣) انظر: الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص٢٥١ .

(٤) قانون التأويل للغزالي ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (١٢٧/٧) ط/دار الكتب العلمية الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

ورد السمع به)[1].

هكذا يصرح الغزالي بوجوب تأويل كل ما تعارض مع مقتضى العقل.

ومما تقدم يتضح أن ابن العربي قد قال بالتأويل على طريقة المتكلمين متأثراً في ذلك بعلماء الأشاعرة ، وخاصة شيخه أبا حامد الغزالي .

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص١٣٣ .

المطلب الثالث

موقف أهل السنة من التأويل

لقد حرص أهل السنة والجماعة على الاعتصام بالكتاب والسنة ، والوقوف عند حدودهما، والابتعاد عن سلوك الطرق المنحرفة والمناهج المضللة ، والتحذير منها لاسيما ما أحدثه أهل الكلام من طريقة التأويل، التي ردوا بسببها كثيراً من نصوص الكتاب والسنة وصرفوها عن ظواهرها الحقيقية إلى معاني باطلة .

وقد عرفنا ـ فيما سبق ـ أن ابن العربي قد سار على منهج المتكلمين في الأخذ بتلك الطريقة المبتدعة المخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين. من وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها اللائق بالله ﷻ ، وعدم التعرض لها بتأويل أو غيره .

ولذلك لم ينقل عن أحد من السلف أنه تأول آية من كتاب الله ، أو حديثاً عن رسول الله ﷺ على خلاف مادل عليه الظاهر المعروف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

(وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ماشاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد ـ إلى ساعتي هذه ـ عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف)[1].

ونحن إذا نظرنا في كلام أئمة السلف نجد المنقول عنهم خلاف ماعليه أهل الكلام من التأويل الباطل ، فنجدهم يصرحون بإثبات مانطق بهما القرآن والسنة من صفات الله، مع اجتناب التأويل وترك التمثيل، وفي ذلك يقول الإمام ابن خزيمة[2] –

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة (٣٩٤/٦) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ، الحافظ الحجة ، إمام الأئمة ، الفقيه الشافعي . كان له جلالة في القلوب لعلمه ودينه ، ولد بنيسابور سنة ٢٣٣هـ وتوفي سنة ٣١١هـ. ينظر: سير أعلام

=

رحمه الله-: (إن الأخبار في صفات الله موافقةٌ لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه ، مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف)[1].

ويقول الإمام ابن عبدالبر[2] -رحمه الله- :

(أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئاً من ذلك ولايحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع من الجهمية[3] والمعتزلة والخوارج[4] فينكرونها ولايحملونها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّبها مشبه ، وهم عند من أقرّ بها نافون للمعبود لامثبتون ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة)[5].

ويقول الإمام أبو عثمان الصابوني[6] -رحمه الله- :

=

النبلاء (١٤/٣٦٥-٣٨٢) شذرات الذهب (٢/٢٦٢-٢٦٣) .

(١) ذم التأويل لابن قدامة المقدسي ص(١٨) بتحقيق بدر البدر ط/الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي الحافظ المحقق، صاحب التصانيف الفائقة ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ، ينظر: البداية والنهاية (١٢/١١١) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣-١٦٣) .

(٣) الجهمية هم أتباع جهم بن صفوان ، الذي أنكر صفات الله تعالى ، وقال بأن العبد مجبور على فعله ، انظر: الملل والنحل (١/٩٧) والفرق بين الفرق ص(٢٠١) .

(٤) الخوارج فرقه خرجت على أمير المؤمنين علي ﷺ ، وصاروا يحكمون بكفر مرتكب الكبيرة ، وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة ، انظر: مقالات الإسلاميين ص (١٢٠) والملل والنحل (١/١٣٢) .

(٥) التمهيد لابن عبدالبر (٧/١٤٥) بتحقيق سعيد أعراب ، ط/١٣٣٩ .

(٦) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري الشافعي الواعظ المفسر المصنف أحد أئمة

=

(إن أصحاب الحديث المتكلمين بالكتاب والسنة ... يعرفون ربهم ـ عز وجل ـ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ـ ﷺ ـ على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون له ـ جل جلاله ـ منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ـ ﷺ ـ ... وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه)(١).

وقال الإمام ابن قدامة -رحمه الله- :

(ومذهب السلف ـ رحمة الله عليهم ـ الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله ، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولانقص منها، ولاتجاوز لها ، ولاتفسير لها ، ولاتأويل لها بما يخالف ظاهرها..)(٢).

وقد استدل أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من إجراء النصوص على ظواهرها مع إثبات حقيقتها ، بدلالة السمع والعقل :

أ – أما دلالة السمع فمن عدة وجوه منها:

١ـ أن الله تعالى وصف القرآن الكريم بأنه موعظة وشفاء وهدى ورحمة ، مما يستلزم أن ألفاظه مطابقة لمراد الشارع الحكيم العليم(٣)، قال الله تعالى﴿**ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ۞ قل**

=

السنة ولد سنة ٣٧٣هـ وتوفي سنة ٤٤٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٤٠-٤٤) شذرات الذهب (٣/٢٨٢-٢٨٣) .

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص(١٦٠-١٦٣) .

(٢) ذم التأويل لابن قدامة ص(١١) .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٤٦١) .

بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾(١)

٢ـ أن الله ﷻ مدح العلماء الذين عرفوا الحق من طريق الوحي وشهدوا به ، فلو كانت ظواهره لاتدل على مراد الشارع لما استحقوا هذا المدح والتكريم قال الله تعالى **﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾**(٢)، وقال تعالى **﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾**(٣).

٣ـ أن النبي ﷺ قد ترك أمته على الأمر الواضح والنهج البين الذي لا التباس فيه ولا إلغاز، ظاهره وباطنه سواء، فلا باطن يخالف ظاهراً، ولالفظ يدل على غير معناه، من حاد عنه فهو الهالك(٤)، كما قال ﷺ «لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها. لايزيغ بعدي عنها إلا هالك»(٥).

٤ – وقال ﷺ «... إنه لاينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»(٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (وهذا مبالغة في استواء ظاهره وباطنه، وسره وعلانيته ، وأنه لايبطن خلاف مايظهر، على عادة الماكرين المنافقين)(٧).

---

(١) سورة يونس ، آية (٥٧ – ٥٨) .

(٢) سورة سبأ ، آية (٦)

(٣) سورة الرعد ، آية (١٩) .

(٤) انظر: منهج الاستدلال (٤٢٥/١،٤٢٧) .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤/١ح٥) باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، ط/دار الفكر ، بيروت ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٨/٢ح٦٨٨) . ط/المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

(٦) أخرجه أبو داود (٦٠/٢) ، كتاب الجهاد ، باب قتل الاسير ولا يعرض عليه الإسلام ، ط/مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥١٠/٢ح٢٣٣) . ط/مكتب التربية لدول الخليج الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

(٧) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٩/١٣) .

وهذا الحديث واضح في موافقة الباطن للظاهر ، بخلاف قول المتكلمين الذين يزعمون أن الظاهر غير مراد .

ب – أما دلالة العقل على ذلك فمن وجهين :

أحدهما : أن كل متكلم أعلم بمراده من غيره ، وقد عُلم ـ ضرورة ـ أن المتكلم بنصوص الوحي أكمل علماً وأفصح لساناً ، وأتم بياناً ، وقد تكلم بكلام مفهوم لدى المخاطبين ، فوجب قبول كلامه على ظاهره ، وإلا اختلفت الآراء وتفرقت الأمة .

الثاني : أن الله ﷻ وصف رسوله ﷺ بأنه قد بلغ البلاغ المبين، وقبل وفاته نزل عليه قوله تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾(١) .

فإذا كان حقاً ماذهب إليه المتأولون فأين كمال الدين وتمام النعمة؟ بل أين البلاغ وأين الهدى والبيان؟ فيستحيل عقلاً الجمع بين نصوص البلاغ والكمال ، وبين ماذهب إليه المتكلمون ، من العدول عن ظواهر النصوص(٢) .

وبهذا يتضح موقف أهل السنة والجماعة من قضية التأويل، وأنهم قد التزموا إجراء النصوص على ظواهرها كما وردت ، وحذروا من العدول عن ذلك إلى تأويلها أو تحريفها عن حقيقتها الواردة في نصوص الشرع .

الرد على ابن العربي وغيره من المؤولة :

١ـ إن تيسير القرآن للذكر ينافي حمله على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره .

فقد انزل الله ﷻ كتابه العزيز شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين. ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني ، وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها ، وأعظمها مطابقة

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٥/٥) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد العثيمين ص(٣٣) ط/دار الأرقم الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، وموقف ابن تيمية من قضية التأويل ص(١٨٣) ومنهج الاستدلال (٤٣٠/١) .

لمعانيها المرادة منها ، كما وصفه تعالى بقوله :﴿**ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾[١] فالحق هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب ، والتفسير الحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق، فهو تفسيره وبيانه.

فلا تجد كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتم بياناً من كلام الله ﷻ ، ولهذا سماه الله بياناً، وأخبر أنه يسره للذكر ويسر ألفاظه للحفظ ، ومعانيه للفهم وأوامره ونواهيه للامتثال ، ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لايفهمها المخاطب لم يكن ميسراً له، بل كان معسراً عليه ، وإذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه مالا يدل عليه من المعاني أو يدل على خلافه فهذا من أشد التعسير ، فتيسير القرآن مناف لطريقة أولئك المؤولة، وهذا يدل على بطلان قولهم بأن الظاهر غير مراد[٢] .

٢- أن النبي ـ ﷺ ـ قد بلغ كل ما أوحي إليه من صلاح العباد في معاشهم ومعادهم، ومن المحال أن يكون ﷺ قد علمهم آداب الغائط وآداب الطعام والشراب، ويترك أن يعلمهم مايقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم ، بل يخبرهم بما ظاهره ضلال وإلحاد، ويحيلهم في فهم ما أخبره به الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله على مستكرهات التأويل وما تحكم به عقولهم، هذا وهو القائل«تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك»[٣] .

فكيف يتوهم مَنْ في قلبه وقار أن يعتقد أن رسول الله ﷺ قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم و لم يتكلم فيه بالصواب؟ معاذ الله ، بل لايتم الإيمان إلا بأن يعتقد أن رسول الله ﷺ قد بين ذلك أتم البيان وأوضحه غاية الإيضاح، و لم يدع بعده لقائل مقالاً ولا لمتأول تأويلاً[٤] .

٣- أن القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف بين أمرين كليهما باطل :

أ - أن الصحابة والسلف لم يفهموا الحق في ذلك ، وأن ظواهر هذه النصوص

---

(١) سورة الفرقان ، آية (٣٣) .

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص (٤٠-٤١) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) انظر: مختصر الصواعق ص (٩) .

باطلة، ومن المعلوم ضرورة أن الله ـ تعالى ـ رضي عن الصحابة . وذلك لموافقتهم مراد الله قولاً وعملاً واعتقاداً .

ب ـ أنهم قد علموا الحق وفهموه ولكنهم كتموه، ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين بل تركوهم يأخذون بهذه الظواهر الباطلة، حتى جاء أولئك المتكلمون فنطقوا بالبيان وصدعوا بالحق وقاموا بواجب النصح[1] .

٤ـ أن القول بمذهب التأويل يؤول إلى الحيرة والشك ، وذلك أن أولئك المتكلمين لايمكن أن يقروا بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى يبحثوا قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدّعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر إلى الحيرة[2] .

٥ـ أنه يلزم من القول بالتأويل أن ترك الناس من إنزال النصوص كان أنفع لهم ، وأقرب إلى الصواب، فإنهم لم يستفيدوا بنزولها غير التعرض للضلال ، ولم يستفيدوا منها يقيناً ولاعلماً لما يجب لله ويمتنع عليه، بل ذاك إنما يستفاد من عقول الرجال[3].

٦ـ أن المؤولة قد فتحوا باباً لأنواع المشركين والمبتدعين ، من القرامطة والباطنية والفلاسفة ونحوهم ، إذ سوغوا صرف النصوص عن دلالتها المفهومة بغير دليل شرعي. حتى أدى ذلك إلى إنكار الشرائع وإنكار المعاد والحشر والجنة والنار ، فهذا من شؤم جناية التأويل على الإيمان والإسلام[4] .

ومما تقدم يتضح بطلان ماذهب إليه ابن العربي وغيره من المتكلمين من تأويل النصوص عن ظواهرها ، وأن الحق هو ما عليه أهل السنة والجماعة من إجراء النصوص على ظواهرها كما وردت والإيمان بما دلت عليه ، من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل .

---

(١) انظر: المرجع السابق (٣٦) ومنهج الاستدلال (٥٦١/٢) .

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص(١٨٧) .

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٣١٦/١) .

(٤) انظر: مختصر الصواعق ص(٤٣) وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢٥٠/٤-٢٥٢) ط/دار الباز . مكة المكرمة .

المبحث الثاني

التفويض

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حقيقة التفويض .

المطلب الثاني : التفويض عند ابن العربي .

المطلب الثالث: موقف أهل السنة من قضية التفويض .

المطلب الأول

حقيقة التفويض

أولاً : التفويض في اللغة :

يطلق التفويض في اللغة ويراد به : الرد إلى الشيء والتحكيم فيه ، ويقال: فوض إليه الأمر ، إذا صيره إليه ، وجعله الحاكم فيه[١].

قال ابن فارس :(الفاء والواو والضاد ، أصل صحيح يدل على الاتكال في الأمر على آخر ورده عليه)[٢].

وقال الجوهري :(فوض إليه الأمر : أي رده إليه ، والتفويض في النكاح: التزويج بلا مهر)[٣].

ومنه قوله تعالى ﴿**وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد**﴾[٤] ، وفي حديث البراء بن عازب في دعاء النوم « اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، وفوضت أمري إليك»[٥].

قال ابن كثير :(«وفوضت أمري إليك» أي رددته ، يقال : فوض إليه الأمر تفويضاً إذا رده إليه وجعله الحاكم فيه)[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب (٢١٠/٧) والصحاح للجوهري (١٠٩٩/٣) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٦٠/٤) .

(٣) الصحاح (١٠٩٩/٣) .

(٤) سورة غافر ، أية (٤٤) .

(٥) أخرجه البخاري : الفتح (٣٥٧/١ح٢٤٧) كتاب الوضوء ، باب فضل من بات على الوضوء، وأخرجه مسلم (٢٠٨١/٤ح٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم .

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٦٩/٣) .

ثانيا : معنى التفويض في الاصطلاح :

يقصد بالتفويض في اصطلاح القائلين به من أهل الكلام :(صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد به ، بأن يترك ويقال : الله أعلم بمراده)[1].

فالتفويض بهذا المعنى هو المراد في كلام المتكلمين عند إطلاقهم لهذا اللفظ . وخاصة ما يتعلق بنصوص الصفات .

ولذلك اعتقد المتكلمون أن الظاهر من النصوص غير مراد ، وتركوا الكلام في تفسيرها ، وجعلوا ذلك إلى الله تعالى .

وقد اعتبر المتكلمون أن الأخذ بمذهب التفويض هو الأسلم ، بل زعم الكثير منهم أن ذلك هو مذهب السلف[2]، فنسبوا ذلك المذهب إليهم، كما فعل إمام الحرمين الجويني في العقيدة النظامية حيث قال :

(وقد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها وإجراؤها على موجب ماتبتدره أفهام أرباب اللسان منها ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم هذا المنهج في آي الكتاب ومايصح من سنن الرسول ﷺ، وذهب أئمة السلف إلى الإنكاف عن التأويل ، وإجراء الظاهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى .

والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقلاً ، اتباع سلف الأمة ، فالأولى الاتباع وترك الابتداع)[3].

فإمام الحرمين قد كان على مذهب التأويل ، ثم رجع عن ذلك إلى مذهب

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي (٢٥/١) ط/دار الفكر ، وانظر: أساس التقديس للرازي ص(١٣٣) وهداية المريد إلى جوهرة التوحيد لبكري رجب ص(٤٨) ط/دار الخير ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(١٣) .

(٣) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية لأبي المعالي الجويني ص (٣٢).

التفويض، ظناً منه أنه ذلك المذهب هو مذهب السلف[١].

وكذلك فعل الإمام النووى[٢] حيث قرر نسبة مذهب التفويض إلى السلف فقال : (اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين :

أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم، أنه لايتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله وعظمته، مع اعتقادنا الجازم بأن الله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء ، وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة ، وعن سائر صفات المخلوق ، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم ...)[٣] ثم ذكر القول الثاني وهو التأويل .

وممن قرر نسبة ذلك المذهب إلى السلف الغزالي شيخ ابن العربي ، فقد صرح بذلك في كتابه [إلجام العوام عن علم الكلام] فقال (اعلم أن الحق الصريح الذي لا لا مراء فيه عن أهل البصائر هو مذهب السلف ، أعني: مذهب الصحابة والتابعين...)[٤].

وفي موطن آخر قال: (طريق السلف في الكف والسكوت والعدول إلى الدرة والسوط ...)[٥].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية (فأول قولي أبي المعالي التأويل كما ذكره في الارشاد، وآخرهما التفويض كما في الرسالة النظامية) درء التعارض (٣/٣٨١) .

(٢) هو أبو زكريا يحي بن شرف بن مري الخرامي النووي ، الإمام المشهور صاحب التصانيف النافعة ، ولد بنوى من قرى حوران بسورية سنة ٦٣١ وتوفي سنة ٦٧٦ ، ينظر: شذرات الذهب ٥/٣٥٤ ، الأعلام ١٤٩/٨ .

(٣) شرح صحيح مسلم اللإمام النووي (١٩/٣) ط/دار احياء التراث ، بيروت .

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام ، ضمن مجموعة رسائل الغزالي ص(٤٢) ط/دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

(٥) المرجع السابق ص(٦١) .

المطلب الأول

التفويض عند ابن العربي

لقد تأثر ابن العربي بما اشتهر عند المتكلمين من نسبة القول بالتفويض إلى السلف ، فقرر : أن مذهب السلف في نصوص الصفات هو التزام مذهب التفويض. وذلك بالوقوف على الإيمان والتسليم ، والعدول عن تفسير تلك النصوص ، وجعل ذلك إلى الله ﷻ .

يقول ابن العربي - رحمه الله - في تقرير ذلك بعد كلامٍ له عن التأويل: (وإن عجزت أو خفت وعر الطريق وخطر المشي ، وما يحدث في المفارات من الآفات... فقف على الإيمان والتسليم بما ورد له ، واعتقد التقديس لمن قال وصمم على أنه ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[١] ، فأنها مهيع نجاة، إليها لجأ السلف لوجهين :

أحدهما : تقيه التقرير بالعامة .

الثاني : خطر الطريق ومعاينتهم لما جرى فيها من الابتداع لمن سلكها نضواً[٢] بغير زادٍ ، فأفضوا إلى البدعة)[٣].

وفي موطن آخر نسب ابن العربي هذه الطريقة إلى أبي عيسى الترمذي[٤]. باعتباره أحد أئمة السلف، فقال بعد ذكر طريقة التأويل :

(وإن شئت أن تقف على طريقة أبي عيسى في الإيمان والتسليم مع التنزيه عن

---

(١) سورة الشورى ، أية (١١) .

(٢) النِّضو بالكسر: حديد اللجام ، والمهزول من الابل وغيرها ، انظر: القاموس المحيط (١٧٢٦) .

(٣) قانون التأويل لإبن العربي ص٥٧٨ .

(٤) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي ، الحافظ المشهور ، كان آية في الحفظ والإتقان . ولد في حدود سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة ٢٧٩هـ ، ينظر: سير أعلام البنلاء (٢٧٠/١٣) ، شذرات الذهب (١٧٤/٢) .

التكييف والتعظيم ، قياماً أحسنهما جميعاً طريقة ...)[١].

فقد صرح ابن العربي بنسبة مذهب التفويض إلى السلف بما فيهم الإمام الترمذي ، وأن السلف لم يتجاوزوا الإيمان والتسليم، بل وقفوا عند ذلك واعتقدوا تقديس الرب ﷻ .

ويرى ابن العربي أن السلف لجأوا إلى الأخذ بمذهب التفويض لسببين :

١ـ خوف السلف على عقائد العوام ، إذا خاضوا في تلك التأويلات التي اخذ بها المتكلمون ، فإن عقول العوام لاتتسع لقبول ذلك ، فلذلك التزم السلف بمذهب التفويض لما فيه من السلامة والنجاة .

٢ـ خطورة الأخذ بطريق التأويل ، لمن اشتغل به من غير أن يكون ذا أهلية لذلك. فقد هال السلف ماشاهدوه من تخبط أولئك في التأويلات، حتى أفضى ذلك بهم إلى الابتداع.

وأما حجة ابن العربي ـ رحمه الله ـ على نسبته ذلك المذهب إلى السلف فلم أجده صرح بذلك ، إلا أن يكون أخذ ذلك من قول الترمذي في سننه عند حديث «يمين الرحمن ملأى ...»[٢] فقد قال الترمذي رحمه الله بعد رواية هذا الحديث : (هذا حديث قد روته الأئمة نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم. هكذا قال غير واحد من الأئمة الثوري[٣] ومالك بن أنس وابن عيينه[٤] وابن المبارك[٥] .

---

(١) عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي (١٤٧/١١) ط/دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) أخرجه البخاري الفتح (٣٩٣/١٣ح٧٤١١) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾. وأخرجه الترمذي (٢٥١/٥ح٣٠٤٥) كتاب تفسير القرآن ، باب [ومن سورة المائدة] تحقيق إبرهيم عطوة ، ط/مطبعة مصطفى البأبي الحلبى ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

(٣) هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، أحد أئمة الإسلام وعبادهم ، فقيه محدث مشهور ولد سنة٩٥هـ وتوفي سنة ١٦١هـ ، ينظر: البداية والنهاية (١٣٧/١٠) ، شذرات الذهب (٢٥٠/١-٢٥١) .

(٤) هو أبو محمد سفيان بن عيينه بن أبي عمران الهلالي الكوفي ، إمام في التفسير والحديث ، وتوفي سنة١٩٨هـ. ينظر: الجرح والتعديل (٣٢/١-٥٤) وتهذيب التهذيب (١١٧/٤-١٢٢) .

(٥) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم المروزي، الإمام الحافظ الزاهد الفقيه ، ولد =

أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها فلا يقال كيف)[١].

فلعل ابن العربي فهم من كلام الترمذي على هذا الحديث ، أن مراده ومراد هؤلاء الأئمة هو تفويض معاني تلك النصوص وعدم الخوض في تفسيرها.

ولذلك جزم بنسبة هذا المذهب إلى السلف عامة ، والترمذي خاصة ، كما تقدم ذلك في سياق كلامه .

وسيأتي في المطلب الثالث بإذن الله توضيح مراد الترمذي وغيره من السلف بتلك العبارات المنقولة عنهم، عند بعض نصوص الصفات[٢].

وابن العربي ـ رحمه الله ـ وإن كان قد جزم بأن مذهب التفويض هو مذهب السلف، إلا أنه لم يرتض لنفسه سلوك هذا المذهب ، وإنما سار على مذهب التأويل ـ كما تقدم في المبحث الأول[٣].

وإن كان ظاهر ـ كلامه استحسان كلٍ من المذهبين ـ التأويل والتفويض ـ واعتبار الأخذ بأي منهما طريق من طرق النجاة، فقد قال بعد ذكر طريقة التأويل وطريقة التفويض ـ كما تقدم ـ (وياما أحسنهما جميعاً طريقة)[٤].

يعني: بذلك طريقة التأويل وطريقة التفويض ، فاستحسن الطريقين جميعاً .

إلا أنه رجح للعلماء لزوم طريقة التأويل ، وذلك لأنهم ـ عنده ـ هم الذين يستطيعون فهم النصوص ، ويقدّرون علة توجيه مايوهم التشبيه منها .

ومع ترجيح ابن العربي لمذهب التأويل في حق العلماء إلا أنه قد رخص لهم في

=

سنة١١٨هـ ، وتوفي سنة١٨١هـ، ينظر: تذكره الحفاظ (١/٢٧٤-٢٧٩) وشذرات الذهب (١/٢٩٥-٢٩٦) .

(١) سنن الترمذي (٥/٢٥١) .

(٢) انظر: ص ١٢٣.

(٣) انظر: ص ١٠١.

(٤) عارضة الاحوذي (١١/١٤٧) .

الأخذ بطريقة التفويض، والتسليم في المسائل التي قصر نظرهم فيها عن معرفة التأويل فلم يهتدوا إلى سبيل تأويلها ، يتضح ذلك بقوله في معرض رده على أبي يعلى الفراء[١] : (فإذا بلغتم إلى هذا المقام فأحمدوا الله على ما وهبكم من العصمة عن هذه البدعة ، بل الكفر الصراح ، ومن استطاع على التأويل وفهم المعنى فيها ونعمت ، ومن قصر نظره التزم الإيمان ونفي التشبيه ، اعتقد تقديس الرب عن الآفات والنظير)[٢].

وأما العامة عند ابن العربي فقد رجح أن طريقة التفويض هي الأسلم في حقهم، وذلك لقصور نظرهم وقله علمهم ، وحرصاً على سلامة عقائدهم من الوقوع في التشبيه ، قال ابن العربي بعد ذكره طريقتي التأويل والتفويض (وياما أحسنهما جميعاً طريقة وياما أسلم الثانية للعامة)[٣].

وقد اعتبر ابن العربي ـ كما تقدم ـ أن من الأسباب التي جعلت السلف يلجأون إلى القول بالتفويض : خشيتهم التغرير بالعامة[٤].

ولذلك رأى أن الأسلم في حق عوام الناس هو لزوم مذهب التفويض الذي لجأ إليه السلف ـ كما زعم ابن العربي ـ وذلك للحفاظ على عقائد العامة من الانحراف .

والحاصل: أن ابن العربي لايرى الالتزام بطريقة التفويض إلا لعوام الناس، وأما العلماء فلم يرخص لهم في ذلك، إلا مع قصور نظرهم وعجزهم عن التأويل في بعض المسائل.

---

(١) هو أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي ، ابن الفراء ، شيخ الحنابلة ، كان ذا عبادة وتهجد وملازمة للتصنيف ولد سنة٣٨٠هـ وتوفي سنة٤٥٨هـ ، ينظر: البداية والنهاية (١٠١/١٢) السير (٨٩/١٨-٩٢) .

(٢) العواصم من القواصم ص(٢٢٧) .

(٣) عارضة الاحوذي (١٤٧/١١) .

(٤) انظر: قانون التأويل ص(٥٧٨) وانظر: ص١١٧ من هذا البحث .

ولعل ابن العربي قد تأثر في ذلك بشيخه أبي حامد الغزالي ، الذي رجح طريقة التفويض ـ كما تقدم ـ وبرهن عليها، ثم اتضح أنه يقصد بذلك إلزام العوام بها دون العلماء، يتضح ذلك بقوله :(والذي نراه اللائق بعوام الخلق أن لايخاض بهم في هذه التأويلات، بل ننزع عن عقائدهم كل مايوجب التشبيه ويدل على الحدوث ، ويحقق عندهم أنه موجود ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾[١].

وإذا سألوا عن معاني هذه الآيات زجروا عنها ... وهذا لأن عقول العوام لاتتسع لقبول المعقولات ولإحاطتهم باللغات ، ولاتتسع لفهم توسعات العرب في الاستعارات. وأما العلماء فاللائق بهم تعرف ذلك وتفهمه)[٢].

---

(١) سورة الشورى آية (١١) .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص(٣٦) وانظر: إلجام العوام ص٥٤ .

المطلب الثالث

موقف أهل السنة من قضية التفويض

يعتقد أهل السنة والجماعة أن مذهب التفويض من المذاهب الكلامية المنحرفة. وذلك لما يشتمل عليه من نفي لظواهر نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة وإلغاء لمعانيها ، والتي جرى أهل السنة على إثباتها والإيمان بها، واعتقاد معناها على مايليق با لله ﷻ من غير تكييف ولاتمثيل، ومن غير تشبيه ولاتعطيل .

قال الإمام أحمد ـ رحمه ا لله ـ : (إنا لانعلم كيفية ما أخبر ا لله به عن نفسه، وإن علمنا تفسيره ومعناه)[١].

فهذا الكلام من إمام أهل السنة والجماعة يبين موقف أهل السنة من نصوص الصفات ، وأنهم يؤمنون بها ويفسرونها ويعلمون معناها ، ولم يكونوا ـ رحمهم ا لله ـ يتوقفون في بيان معاني تلك النصوص ، سواء في ذلك آيات الصفات أو أحاديثها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه ا لله ـ :(وقد فسر الإمام أحمد النصوص التي تسميها الجهمية متشابهات فبين معانيها آية آية وحديثاً حديثاً، ولم يتوقف في شي منها هو والأئمة قبله، مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهباً لأئمة السنة، وهم أعرف بمذهب السلف، وإنما مذهب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظواهرها بإثبات الصفات له حقيقة)[٢].

فالسلف ـ رحمهم ا لله ـ لم يكونوا على مذهب التفويض كما نسب ذلك إليهم ابن العربي وغيره من المتكلمين ، بل كانوا يؤمنون بالنصوص ويفسرونها

---

(١) درء التعارض (١/٢٠٧) .

(٢) الاكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى (١٣/٢٩٥) بتصرف ، وانظر: علاقة الإثبات والتفويض ص(١١٩) .

ويعلمون معناها، كما قال ابن مسعود ـ ﷺ ـ (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[١].

وقد تكلم السلف من الصحابة والتابعين في نصوص القرآن كلها آيات الصفات وغيرها ، وفسروها بما يوافق دلالتها[٢].

قال ابن أبي مليكة[٣]:(رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس ـ ﷺ ـ عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فيقول ابن عباس : اكتب : حتى سأله عن تفسيره كله)، وقال مجاهد (عرضت المصحف على ابن عباس ـ ﷺ ـ ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية أسأله عنها)[٤].

فلو كان مذهب السلف هو التفويض كما زعم أولئك المتكلمون، لم يفسر أئمة السلف جميع آيات القرآن، بما في ذلك آيات الصفات .

وكما ورد عن السلف أنهم فسروا جميع آيات القرآن وبينوا معانيها، و لم يتوقفوا في شيء منها ، فقد ورد عنهم أيضاً تفسير كثير من نصوص الصفات كقوله تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[٥]، وقوله تعالى ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾[٦]، وقوله تعالى ﴿**ولتصنع على عيني**﴾[٧]، وقوله ﷺ «ينزل ربنا...»[٨]، وغير ذلك

---

(١) جامع البيان (٣٥/١) .

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٧/١٣) .

(٣) هو أبو بكر عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان القرشي التيمي ، قاضي مكة وإمام الحرم ، توفي سنة ١١٧هـ، انظر: السير (٨٨/٥-٩٠) شذرات الذهب (١٥٣/١) .

(٤) جامع البيان (٤٠/١) .

(٥) سورة طه آية (٥) .

(٦) سورة الفتح آية (١٠) .

(٧) سورة طه آية (٣٩) .

(٨) أخرجه البخاري الفتح (٢٩/٣ح١١٤٥) كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، وأخرجه مسلم (٥٢١/٤ح١٦٨) كتاب صلاة المسافرين .

من النصوص الكثيرة ، والتي سنبين كلام السلف عليها بشيء من التفصيل في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

وأما ماحتج به ابن العربي وغيره من المتكلمين على نسبتهم التفويض إلى السلف، بما ورد عن بعضهم من القول عند بعض نصوص الصفات (نؤمن به كما جاء، من غير أن يفسر أو يتوهم) ونحو ذلك من العبارات ، فذلك الاحتجاج مردود من وجهين :

الوجه الأول :

أن قول السلف ـ رحمهم الله ـ (نؤمن به كما جاء، أو أمروها كما جاءت) هو الإثبات بعينه، لأن هذه النصوص جاءت بالإثبات ، فإن قوله تعالى﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1]، فيه إثبات استواء الله على عرشه[2]، وكذلك بقيه النصوص الواردة في الصفات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:(فقولهم ـ أي السلف ـ أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ماهي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منفية، لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لايوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولايقال حينئذ بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول)[3].

---

(١) سورة طه آية (٥) .

(٢) انظر: علاقة الإثبات والتفويض ص(١١٧) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٤١-٤٢) بتصرف يسير .

الوجه الثاني :

أن مراد السلف بمثل هذه العبارات إنما هو ترك الكلام في معنى الكيفية لأن معرفة الكيفية لاسبيل إليها .

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام[١]، بعد ذكر بعض أحاديث الصفات: (هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهي عندنا حق لاشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف وضع قدمه؟ وكيف يضحك؟ قلنا: لانفسرْ هذا ولاسمعنا أحداً يفسره)[٢] .

فقد بين أبو عبيد أن المقصود من نفي السلف للتفسير هو تفسير الكيفية والخوض فيها ، لا أنهم لايتكلمون في معاني الصفات وتفسيرها. فالسلف ـ رحمهم الله ـ أرادوا بتلك العبارات الرد على أهل التعطيل الذين حرفوا النصوص وصرفوها عن ظواهرها .

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفي للتأويل، فأنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل ، فأنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير ، نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها الله تعالى لنفسه، فأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول : كيفيته كذا وكذا ، حتى يكون قول السلف بلا كيف رداً عليهم ، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه)[٣] .

وبهذا يتضح أن السلف ـ رحمهم الله ـ لم يكونوا على مذهب التفويض، وأن

---

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الازدي ، كان رأساً في اللغة ، عارفاً بالفقه والاختلاف ، ولد سنة١٥٧هـ وتوفي سنة٢٢٤هـ ، ينظر: تذكرة الحفاظ (٤١٧/٢) الأعلام (١٧٦/٥) .

(٢) كتاب الصفات للدارقطني ص٤٠ تحقيق د/عبد الله الغنيمان ، ط/مكتبة الدار ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ١٢٢ ط/ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

ابن العربي وغيره من المتكلمين قد أخطؤوا في نسبتهم ذلك المذهب إلى السلف.

الرد على ابن العربي وغيره من المتكلمين في قولهم بالتفويض :

عرفنا فيما سبق أنه قد قال بالتفويض جملة من الأشاعرة ، وأن ابن العربي قد اختار ذلك المذهب لعوام الناس، ورأى أنه هو الأسلم في حقهم ، وبالنظر في هذا المذهب وما يلزم من القول به يتضح أنه مذهب باطل لايجوز القول به، سواء قيل ذلك في حق العوام أو غيرهم، وذلك للأمور التالية :

١ـ ما ورد في كتاب الله ـ ﷻ ـ من الأمر بتدبر القرآن كله وتعقل معانيه، كقوله تعالى﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾(١). وقوله ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**﴾(٢)، والمفوضة قد خالفوا ذلك ، وتركوا التدبر والتعقل الذي أمر الله به، وآمنوا بألفاظ مجردة عن معانيها(٣) .

٢ـ أنه لم ينقل عن النبي ﷺ ، أنه حذر من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفات الرب ﷻ ، مع ما كان يحضر مجلسه من مختلف أنواع الناس العالم والجاهل والحضري والأعرابي ، مما يدل على أنها على ظاهرها وأنها مفهومة عندهم(٤) .

٣ـ أن هذا القول مخالف لمذهب السلف ـ كما تقدم ـ في تفسير النصوص، وإثبات معانيها الظاهرة على مايليق بالله ﷻ .

٤ـ تناقض مذهب المفوضة ، حيث ذكروا أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها ويتوقف في معانيها، ثم يقولون: الظاهر من تلك النصوص غير مراد. فكيف يقولون يتوقف في معانيها ثم يجزمون بنفي ظاهرها ، هذا تناقض، وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم ـ رحمهما الله ـ على جملة من تناقض مقالات

---

(١) سورة محمد آية (٢٤) .

(٢) سورة ص آية (٢٩) .

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٧/٥ ، ٣٠٧/١٣) .

(٤) انظر: منهاج الاستدلال (٥٩٤/٢) .

أولئك المفوضة[١] .

٥- اللوازم الباطلة التي تلزم من القول بالتفويض، ومن ذلك :

أ - القدح في حكمة الرب - تبارك وتعالى - وفي القرآن الكريم ، وذلك بأن يكون الله - تبارك وتعالى - خاطب الناس بكلام لايفهم ، وأمر بتدبر ما لا يعرف معناه، وأن يكون القرآن الكريم الذي أنزله الله هدىً وشفاء سبب حيرة وضلال وانحراف[٢] .

ب - الطعن في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وذلك بكونهم لايعلمون ما أنزل الله عليهم من النصوص، بل يقولون كلاماً لايعقلون معناه ولايفهمون المراد به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ... وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن ، أو كثير مما وصف به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لايعقلون معناه.. فتبين أن قول أهل التفويض الذي يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد)[٣] .

ج - تجهيل السلف واتهامهم بقلة العلم ، بل مساواتهم بالعوام ، وذلك بقولهم: (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم)، فنصيب السلف عندهم السلامة دون العلم والحكمة ، بخلاف الخلف الذين هم عندهم أعلم وأحكم، وهذه المقولة لاشك في بطلانها، فإن طريق السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم[٤] .

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٣٥/٥) ، والصواعق المرسلة (٣٢٣/٢) .

(٢) انظر: درء التعارض (٢٠٤/١) .

(٣) المرجع السابق (٢٠٤/١ - ٢٠٥) .

(٤) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص (١٣) .

ومما تقدم يتضح بطلان مذهب التفويض، وخطأ ابن العربي وغيره من القائلين به، وأنه لايجوز الأخذ به مطلقاً من غير فرق في ذلك بين العلماء والعامة. وأن الصواب هو ما ذهب إليه السلف - رحمهم الله - من إثبات نصوص الكتاب والسنة واعتقاد معانيها واجراؤها على ظاهرها كما يليق بالله ﷻ ، مع نفي التكييف والتمثيل .

الفصل الثالث

موقف ابن العربي من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حجية خبر الآحاد في العقيدة عند ابن العربي .

المبحث الثاني : حكم من رد خبر الآحاد عند ابن العربي .

الفصل الثالث

موقف ابن العربي من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة

تمهيد:.

التعريف بخبر الآحاد :

خبر الآحاد هو قسيم المتواتر عند المحدثين والأصوليين .

وهو في اللغة : جمع أحد بمعنى الواحد ، وخبر الواحد هو :ما يرويه شخص واحد.

وفي الاصطلاح : هو ما لم يجمع شروط المتواتر[١] .

والمراد بالمتواتر الذي هو قسيم الآحاد : ماروواه جمع يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب أو صدوره منهم اتفاقاً عن مثلهم، واستندوا إلى شيء محسوس[٢] .

وخبر الآحاد له أقسام كثيرة منها المقبول ومنها المردود .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر أنواع الأخبار ـ المتواتر ، والمشهور والعزيز والغريب ـ قال :(وكلها سوى الأول آحاد وفيها المقبول والمردود، لتوقف الاستدلال بها على البحث عن أحوال رواتها دون الأول)[٣] .

وقد ذكر ابن العربي رحمه الله نحو هذا التقسيم ، إلا أنه جعلها ثلاثة أقسام.

---

(١) انظر: النكت على نزهة النظر لعلي حسن عبد الحميد ص (٧٠ - ٧١)ط/دار ابن الجوزي. الطبعة الأولى١٤١٣هـ. وانظر: تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ٢٢ ط/مكتبة المعارف ، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ .

(٢) انظر: النكت ص (٥٨ - ٥٩) ، وانظر: تيسير مصطلح الحديث ص (١٩) .

(٣) انظر: النكت على نزهة النظر ص (٧١ - ٧٢) .

قال ابن العربي رحمه الله والأخبار على ثلاثة أقسام :

١ـ متواتر ، وهو قليل بل عزيز .

٢ـ مستفيض ، وهو كثير .

٣ـ آحاد ، وهو جملة أخبار الشرع[١] .

وقد اهتم ابن العربي رحمه الله بقضية خبر الآحاد ، وصنف في ذلك جزءاً مستقلاً إضافة إلى ما ذكره في ثنايا كتبه عند مناسبة ذلك .

قال ابن العربي رحمه الله :

(خبر الواحد أصل عظيم لاينكره إلا زائغ ، وقد أجمعت الصحابة على الرجوع إليه، وقد جمعناه في جزء[٢]) [٣] .

---

(١) انظر: العواصم ص (٢٣١) .

(٢) أحكام القرآن (٧٣/٢) .

(٣) هذا الجزء الذي أشار إليه إبن العربي رحمه الله – لم أجده فيما اطلعت عليه لامطبوعاً ولا مخطوطاً .

المبحث الأول
حجية خبر الآحاد في العقيدة عند ابن العربي

قبل أن نتكلم عن موقف ابن العربي من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد، ننبه إلى أن ابن العربي رحمه الله قد أطلق القول بقبول خبر الآحاد في عدة مواطن منها :

١- قوله رحمه الله في معرض كلامه عن قوله تعالى﴿**واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة...**﴾(١) الآية قال: المسألة الثالثة : أمر الله أزواج رسوله بأن يخبرن بما أنزل الله من القرآن في بيوتهن، ومايرين من أفعال النبي ﷺ وأقواله فيهن، حتى يبلغ ذلك إلى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به ... وهذا يدل على جواز خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين)(٢) .

٢- وقوله رحمه الله في معرض كلامه على قول عمر ﷺ (فينزل - يعني الأنصاري -يوما يأتيني بخبر الوحي وغيره وأنزل يوماً فآتيه بمثل ذلك...)(٣): (قال دليل على جواز قبول خبر الواحد ولاخلاف فيه عند الأكثر في حياة النبي ﷺ ، والخلاف الأظهر في غير ذلك والصحيح قبوله على العموم بدليل هذا الخبر وغيره)(٤) .

٣- قوله - رحمه الله - في معرض تقريره لمسألة المسح على الخفين ورده على المنكرين

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٤) .

(٢) أحكام القرآن (٣/٥٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري: الفتح (١/١٨٥ح٨٩) كتاب العلم ، باب التناوب في الطلب . والترمذي (٥/٤٢٠ح٣٣١٨) كتاب تفسير القرآن ، باب (ومن سورة التحريم) .

(٤) العارضة (١٢/٢١١) .

لأخبارها:

(فإن قيل: هي أخبار آحاد ـ أي أحاديث المسح على الخفين ـ، وخبر الواحد عند المبتدعة باطل ، قلنا : خبر الواحد اصل عظيم لاينكره إلا زائغ ، وقد أجمعت الصحابة على الرجوع إليه)[١] .

فهذا الكلام من ابن العربي رحمه الله ظاهره قبول خبر الواحد من غير تفريق بين الأحكام والعقائد، ولكن بتتبع كلام ابن العربي في هذه المسألة من خلال كتبه يتبين مايلي :

أولاً : المواطن التي أطلق فيها القول بجواز قبول خبر الواحد ، هي في الجملة مما يتعلق بالأحكام والحلال والحرام كما تقدم[٢] .

ثانياً : يصرح أحياناً بقبول خبر الواحد في الأحكام خاصة ، كما قرر ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى :﴿**ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً** ...﴾[٣] الآية .

فقد ذكر ـ رحمه الله ـ قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع بني إسرائيل وبعثه النقباء ليختبروا حال الناس ثم يعلموه بذلك. ثم استدل بذلك على قبول خبر الواحد فقال رحمه الله: (المسألة الثانية : في هذا دليل على أنه يقبل خبر الواحد فيما يفتقر إليه المرء ويحتاج إلى اطلاعه من حاجاته الدينية والدنيوية، فيركب عليه الأحكام ويربط به الحلال والحرام)[٤] .

---

(١) أحكام القرآن (٢/٧٣) .

(٢) انظر في هذا: أحكام القرآن (٣/٧٣) ، (٣/٥٧٢) . وانظر: عارضة الأحوذي (١٠/١٦٥ - ١٢/٢١١) وغيرها .

(٣) سورة المائدة آية (١٢) .

(٤) أحكام القرآن (٢/٨٢) .

ومسألة قبول خبر الواحد في الأحكام مما أجمع عليه جمهور المسلمين و لم يخالف في ذلك من يعتد بخلافه، وهو الذي قرره أهل السنة والجماعة ووافقهم على ذلك عامة المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة ، على خلاف بينهم في إفادة خبر الواحد العلم أم الظن كما سيأتي .

قال الإمام ابن عبد البر- رحمه الله - (أجمع أهل العلم من أهل الفقه و والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل إذا ثبت و لم ينسخه غيره من أثرٍ أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا)[1] .

وقال القاضي عبد الجبار : (وأما ما لا يعلم كونه صدقاً وكذباً ، فهو كأخبار الآحاد ، وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه)[2] .

وقال إمام الحرمين الجويني في معرض إنكاره على من لايرى حجية خبر الواحد في العمليات، قال (وذهب طوائف من الروافض إلى أن خبر الواحد لاينـاط به وجوب العمل ، وهؤلاء أنكروا الإجماع)[3] .

ثالثاً : موقف ابن العربي من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد :

بتتبع كلام ابن العربي على أحاديث الآحاد الواردة في العقائد نجد أنه يسلك في ذلك ثلاثة مسالك :

أ – **المسلك الأول :** قبول خبر الآحاد إذا جاء بما يوافق العقل ورد ماخالفه، ويتضح ذلك بما يلي :

١ـ قوله عند حديث عمر ﷺ في خروجه إلى الشام ،وذكر الطاعون :

---

(١) التمهيد لابن عبد البر(١/٢) تحقيق سعيد أحمد أعرب .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص (٧٦٩) .

(٣) البرهان في أصول الفقة ، لإمام الحرمين الجويني (١/٥٩٩) . تحقيق د / عبد العظيم الديب .

ومن الفوائد (العمل بخبر الواحد في الأمور العظام ، فكيف في الأمور الصغار)[١] .

٢ـ نسبته ذلك إلى بعض الطوائف مع تقريره لشبهتهم دون التعرض لرد ذلك.

قال رحمه الله ، عند حديث ذبح الموت :

(لما سمع الناس هذا الحديث ، مع ذهاب الصدر الأول ، قالت طائفة لا نقبله فإنه خبر واحد ، وأيضاً جاء بما يناقض العقل ، فإن الموت عرض ، والعرض لاينقلب جسماً ، ولايعقل فيه ذبحٌ ، ولما استحال ذلك عقلاً ، وجب أن يمنح الحديث رداً)[٢].

ب – المسلك الثاني : قبول خبر الواحد مع تأويل ماثبت به ، إذا كان يخالف العقل عنده، ويتضح ذلك بما يلي :

١– قوله في معرض كلامه عن بعض الصفات :

(وأما ذكر الكف فلم يرد في القرآن ، ولكنه ورد في الحديث الصحيح ولعلمائنا نكته بديعة ، وذلك أنه ماجاء في القرآن من أصول الصفات الثابتة نقلاً قطعاً قالوا: إنها صفات لاتتأول، وما جاء في أخبار الآحاد أولوها و لم يوجبوا لله منها صفة)[٣].

٢ – وقال رحمه الله عند حديث ذبح الموت :

(وقالت طائفة أخرى : إن كان ظاهره محالاً فإن تأويله جائز، واختلفوا في وجه تأويله : أ– أن هذا مثل ب – أن الذي يؤتي به متولي الموت، وكل ميت يعرفه، ثم قال بعد ذلك: والذي يعضد هذا التأويل ويحققه قوله تعالى﴿**والذين كفروا أعمالهم**

---

(١) كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي (١٠٩١/٣) بتحقيق د/محمد عبدالله ولد كريم . ط.دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

(٢) العواصم من القواصم ص (٢٣٦) .

(٣) المرجع السابق ص (٢٢٠) .

كسراب بقيعة ...﴾[١])[٢].

ج – **المسلك الثالث** : عدم قبول خبر الآحاد بحجة أنه لايوجب علماً، يتضح ذلك بما يلي :

١– قوله في حديث الدجال (وإن ربكم ليس بأعور ..)[٣] قال رحمه الله :

(فالجواب عنه من وجهين :

الأول : أن هذا خبر واحد لايوجب علماً.

الثاني : أن هذه الإشارة في النفي لافي الإثبات)[٤] .

٢– قوله في حديث نزول النبي ﷺ بلدح[٥]، وقول زيد بن عمرو بن نفيل حينما قدّم النبي ﷺ سفرة فيها لحم ، قال زيد : أراني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم)[٦] .

قال ابن العربي :(فقيل في السؤال :كيف تنزه زيد عما يذبح للأنصاب واحتمله النبي ﷺ للزاد، وهما مما اتفقت الملل على تحريمه ... أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرة، لبابها أربعة :

---

(١) سورة النور آية (٣٩) .

(٢) العواصم ص (٢٣٦ – ٢٣٧) .

(٣) أخرجه البخاري: الفتح (١٣/٣٨٩ح٧٤٠٧) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿**ولتصنع على عيني**﴾. ومسلم (٤/١٧٨٠ح١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال ، كلاهما من حديث ابن عمر ﷺ، ولفظه «إن الله تعالى ليس بأعور . ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية » .

(٤) أحكام القرآن (٤/١٧٧ – ١٧٨) .

(٥) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، في طريق التنعيم إلى مكة ، انظر: معجم البلدان (١/٥٧٠) وفتح الباري (٧/١٤٣) .

(٦) أخرجه البخاري . الفتح(٧/١٤٢ح٣٨٢٦) كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل (٥/٥٠) وفي الصيد والذبائح، باب ماذبح على النصب والأصنام (٧/٧٩) وأحمد في المسند (٢/٨٩ ، ١٢٧) كلاهما عن عمر ﷺ .

وذكر منها (أن هذا خبر واحد، وخبر الآحاد فيما طريقه العلم لا العمل لايوجب شيئاً)[١].

بل بلغ الأمر بأبي بكر ابن العربي – وهو المحدث الحافظ – أن صرح بأنه إذا درست وفقدت أحاديث الآحاد ، فإن ذلك لايؤثر في الشريعة .

قال ابن العربي في معرض رده على ابن حزم في أخذه بظاهر النصوص:

(فلو درس مادرس من الحديث الواحد لما أثر في الشريعة. فإن كان يبقى مسكوتاً عنه ، فيكون عفواً ، وما ضمن الله الحفظ لحديث النبي ﷺ وإنما ضمنه للقرآن) [٢] .

ومما يدل على ذلك في نظره : أن عمر ﷺ سجن مَنْ أكثر مِنْ رواية الحديث من الصحابة أنفسهم .

وأن الصحابة ﷺ اجتهدوا في جمع القرآن . ولم يجتهدوا في جمع الحديث[٣].

وبالنظر في هذه المسالك التي ذهب إليها ابن العربي – رحمه الله – تجاه أحاديث الآحاد الواردة في العقائد . يتضح مخالفته في ذلك لمنهج أهل السنة والجماعة، في احتجاجهم بأحاديث الآحاد وإفادتها العلم اليقيني إذا صح سندها. من غير تفريق في ذلك بين العقائد والأحكام .

الرد على ابن العربي رحمه الله فيما ذهب إليه :

أولاً : قبوله خبر الآحاد الوارد في العقيدة إذا جاء بما يوافق العقل ، ورد ما خالف ذلك.

وهذا المسلك الذي سلكه ابن العربي تجاه خبر الآحاد الوارد في العقيدة

---

(١) نفس (٢/٦٢٨ - ٦٢٩) .

(٢) العواصم ص (٢٥٥ - ٢٥٦) .

(٣) انظر: العواصم ص (٢٥٥) ، وانظر: اراء أبي بكر بن العربي الكلامية لعمار الطالبي(١/١٥٦ - ١٥٧) ط/الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر .

هو عام في جميع النصوص إذا كانت تخالف العقل عنده وقد تبع فيه جمهور المتكلمين، وقد تقدم كلامه في ذلك والرد عليه في الفصل الأول في سياق موقفة عند تعارض العقل والشرع[١]، فليرجع إليه ففيه ما يكفي ويغني عن الإعادة.

ثانياً : قبوله خبر الآحاد الوارد في العقيدة مع تأويله ماثبت به ، إذا كان يخالف العقل .

وهذا المسلك الذي سلكه ابن العربي هو عام أيضاً في جميع النصوص المخالفة عنده للعقل، وعليه أيضاً جمهور المتكلمين .

وقد تقدم الكلام على ذلك ، والرد عليه في الفصل الثاني ، في الكلام عن موقفه من نصوص الصفات ، في مبحث التأويل[٢] .

ثالثا : عدم قبول خبر الآحاد بحجة أنه لايوجب علماً:

وهذا المسلك الذي سلكه ابن العربي رحمه الله ، وعليه عامة المتكلمين هو خاص بخبر الآحاد عندهم دون بقية النصوص السمعية .

وهذه الدعوى هي عمدة عامة من يرد أخبار الآحاد ، فيحتج بأنها لاتفيد العلم اليقيني، وإنما هي على سبيل الظن، والعقائد إنما تبنى على اليقين والقطع، فلا تكون حجة على ذلك .

وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على ثلاثة أقوال:

القول الأول : أن خبر الواحد يفيد العلم مطلقاً

وهذا القول نسبه الأمدي[٣] إلى بعض أهل الظاهر وإلى أحمد بن حنبل[٤] في

---

(١) انظر: ص ٧٦.

(٢) انظر: ص ١٠١ وما بعدها.

(٣) هو أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم التغلبي - سيف الدين الآمدى ، أصولي متكلم له تصانيف عدة من اشهرها الأحكام في أصول الأحكام ، توفي سنة ٦٣١ هـ انظر: البداية والنهاية (١٣/١٤٠) شذرات الذهب (٥/١٤٤) .

(٤) هو أبو عبدالله أحمد بن حنبل ، الشيباني إمام أهل السنة ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ رحل في سبيل طلب العلم وطوف البلاد ، وانتهت إليه الإمامه في السنة والحديث ، امتحن في القول بخلق القرآن فصبر ، توفي =

إحدى الروايتين عنه[١][٢] .

ولكن بالنظر إلى هذا القول يتبين تعذر القول به ، إذ لايعقل قبول خبر كل واحد على الإطلاق، فمما لاشك فيه أن الناس يتفاوتون من جهة الصدق والكذب والعدالة والفسق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(فإن أحداً من العقلاء لم يقل إن خبر كل واحد يفيد العلم، وبحث كثير من الناس، إنما هو في رد هذا القول)[٣] .

وبهذا يعلم أن مراد أصحاب هذا القول ، ليس قبول خبر كل أحد مجرداً، بغض النظر عن عدالته أو فسقه ، وإنما هو مشروط بوجود قرينة تدل على الصدق ، فيرجع هذا القول إلى القول الثاني ، وهو:

القول الثاني : أن خبر الآحاد يفيد العلم بشروط :

والمراد بالشروط هنا ، أن يحتف بالخبر قرينة تدل على صحته و القرائن كثيرة، منها ما يتعلق بالخبر، ومنها ما يتعلق بالمخبر ، أو بهما جميعاً ، ومن هذه القرائن ، خبر الآحاد المتلقى بالقبول عند العلماء، أو ما كان في الصحيحين أو أحدهما أو غير ذلك.

وقد ذهب إلى هذا القول عامة أهل السنة والجماعة من أتباع المذاهب الأربعة وغيرهم[٤]، وقرره كثير من المحققين كالآمدي وابن حزم والقاضي أبي يعلى وابن

=

سنة٢٤١هـ، ينظر: البداية (١٠/٣٤٠) ، السير (١١/١٧٧) .

(١) هذه الرواية لم تصح عن الإمام أحمد رحمه الله ، انظر: مختصر الصواعق ص(٤٦٢-٤٦٣) .

(٢) الأحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/٣٢) الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ .

(٣) انظر: المسودة لآل تيمية ص (٢٣٢) .

(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية (٨/٤١) وانظر: منهج الاستدلال (١/١١٦) .

حجر، وهو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة[٢] ومالك والشافعي وأحمد ، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري[٣] كالاسفراييني وابن فورك[٤]، فأنه وإن كان في نفسه لايفيد إلا الظن، لكن لما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم، مستندين في ذلك إلى ظاهر أوقياس أو خبر آحاد، فإن ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور)[٥] .

وقال ابن أبي العز الحنفي :

(وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة)[٦].

وهذا القول الذي ذهب إليه عامة أهل السنة والجماعة هو الذي تدل عليه النصوص الصحيحة، كما سيأتي.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق ص٤٦٨ وحجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد لامين الحاج محمد أحمد ص (٦٣) ط/دار المطبوعات الحديثة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

(٢) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي ، أحد الأئمة الاربعة فقيه مجتهد ، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي ١٥٠هـ، ينظر: البداية والنهاية (١٠٧/١٠) ، الأعلام (٣٦/٨) .

(٣) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ، أحد أئمة المتكلمين ، وإليه تنسب فرقة الأشاعرة برع في مذهب الاعتزال ثم تاب منه ورجع عنه ، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٨٥/٥-٩٠) الأعلام (٢٦٣/٤) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن فُورَك (بضم الفاء وفتح الراء) الأنصاري الاصبهاني ، فقيه شافعي عالم بالأصول والكلام ، توفي سنة ٤٠٦هـ ، ينظر: السير (٢١٤/١٧) شذرات الذهب (١٨١/٣/٣-١٨٢).

(٥) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤١/٨) .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص(٣٩٨-٤٠٠) .

٣- قوله تعالى :﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾[١] فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر ، وهم أولوا الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم لم يأمر بسؤال من لايفيد خبره علماً ، والله سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر ، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً، فلو كان واحداً لكان سؤاله وجوابه كافياً[٢] .

٤- أن الرسول ﷺ كان يبعث الآحاد من أصحابه إلى الملوك والولاة ليبلغوا عنه رسالة ربه، فلو كان خبرهم لايفيد العلم لما أرسلهم، فإن ذلك عبث يتنزه عنه صاحب الرسالة[٣] .

القول الثالث : أن خبر الواحد لايفيد العلم مطلقاً ، سواء اختفت به قرينة أم لا:

وإلى هذا القول ذهب بعض المتكلمين والأصوليين كالباقلاني[٤] والقاضي عبد الجبار وأبي حامد الغزالي والرازى وابن الجوزى[٥] وغيرهم .

وهذا القول هو الذي قرره ابن العربي رحمه الله كما تقدم .

ولذلك قالوا بقبول خبر الواحد فيما طريقه العمل لا العلم ، ففرقوا بين العمليات والعقائد .

قال القاضي عبد الجبار (وأما ما لا يعلم كونه صدقاً وكذباً ، فهو كأخبار

---

(١) سورة النحل (٤٣) .

(٢) انظر: مختصر الصواعق ص (٤٧٩) .

(٣) انظر: المرجع السابق ص (٤٨٠) ، المسودة ص (٢٤٧) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني ، من كبار علماء الكلام ، له عدة مصنفات . ولد بالبصرة سنة٣٣٨هـ ، وتوفي٤٠٣هـ، ينظر: وفيات الأعيان (٤٨١/١) ، الأعلام (١٧٦/٦) .

(٥) هو أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي ، واعظ عصره ، ابدع في علوم كثيرة ، ولد سنة٥٠٨هـ وتوفي سنة٥٩٧هـ ، ينظر: البداية والنهاية (٣١/١٣-٣٢) ، شذرات الذهب (٣٢٩/٤) .

الآحاد، وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقاد فلا)[١].

ويقول إمام الحرمين في تعريفه لخبر الآحاد (وهو الذي يوجب العمل ولايوجب العلم لاحتمال الخطأ فيه)[٢] .

شبهات أصحاب هذا القول والجواب عنها :

١- الشبة الأولى :

لو كان خبر الواحد مفيداً للعلم لأفاده خبر كل واحد ، كما أن خبر التواتر لما كان موجباً للعلم ، كان كل خبر متواتر كذلك[٣] .

الجواب عن ذلك أن يقال : نحن لانوافق على قبول خبر كل واحد . ولكن لايلزم من ذلك تكذيب كل خبر ، ولا التوقف في جميع الأخبار. فنحن نصدق البعض يقيناً، ونجزم بكذب البعض ، فلا يلزم من رد البعض رد الكل .

أما حصول العلم بكل متواتر فإنما ذلك نظراً لتوافر شروطه التي صدق عليه لأجلها اسم التواتر ، وحصل به العلم الضروري ، بخلاف الآحاد فإن افراده تختلف. فلا يحصل العلم بكل آحاد[٤] .

٢- الشبهة الثانية :

أن تأثيرات الأدلة في النفوس بحسب المؤثر ، ولانجد في أنفسنا من خبر الواحد، وان بلغ الغاية في العدالة ، سوى ترجح صدقه على كذبه من غير قطع،

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص (٧٦٩) .

(٢) الورقات ص (١١) . وانظر: منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة ، د/أحمد آل عبداللطيف ص٣٧٥-٣٧٧ ، ط/مركز الملك فيصل ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

(٣) الأحكام في أصول الأحكام للآمدى (٣٣/٢) .

(٤) أخبار الآحاد في الحديث النبوي، للشيخ ابن جبرين ص (٨٧- ٨٨) ط/دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

وذلك غير موجب للعلم[١] .

والجواب عن ذلك : أن تقابل هذه الحجة بمثلها وهي : أن يقال : وأنا أجد في نفسي العلم بذلك ، وليس أحد الأمرين أولى من الآخر[٢] .

فعدم حصول العلم في نفوسهم ، هذا أمر يخصهم ، لكونهم صرفوا أوقاتهم وعنايتهم في غير ماجاء به الرسول ﷺ، فيقال لهم: اصرفوا عنايتكم إلى الحديث وتتبعه وجمعه ومعرفة أحوال رواته ، وحينئذ تعلموا هل يفيدكم الخبر علماً أم لا[٣].

٣- الشبهة الثالثة :

قولهم : لو علم الله صدق خبر الواحد لم يخلنا من الدليل على ذلك، والجواب عن ذلك ، أن تقابل هذه الحجة بعكسها فيقال : لاشك أن أكثر تفاصيل هذا الدين إنما تؤخذ عن هذه الأخبار ، فلو كانت كذباً في نفس الأمر لأقام الله على ذلك أدلة وبراهين ، كي لايلتبس الحق بالباطل ، فتقع الأمة في الزيغ والضلال، فدل على أنها صدق وحق وأنها صحيحة ثابتة[٤] .

٤- الشبهة الرابعة :

قولهم : لو كان خبر الواحد المجرد موجباً للعلم ، لكان العلم حاصلاً بنبوة من أخبر بكونه نبيا من غير حاجة إلى معجزة دالة على صدقه[٥].

والجواب عن ذلك أن يقال : إن خبر الإنسان عن نبوة نفسه بلا معجزة دعوى شيء غير مألوف في سنة الله مع خلقه فلا تقبل حتى تؤيد بما يجعلها جارية على سنته سبحانه، وما عهده البشر في إرساله رسله، بخلاف إخبار إنسان عدل عن

---

(١) الأحكام للآمدي (٢/٣٣) .

(٢) انظر: مختصر الصواعق ٤٦٥، وانظر: منهج الاستدلال (١/١٢٦)

(٣) انظر: أخبار الآحاد ص (٨٧) ، وانظر: موقف المتكلمين (١/١٧١ - ١٧٢) .

(٤) الأحكام للآمدي (٢/٣٤) ، وانظر: أخبار الآحاد ص (٩١) .

(٥) الأحكام للآمدي (٢/٣٣) .

مثنه[١] .

٥- الشبهة الخامسة :

قولهم : لو أفاد خبر الواحد العلم لما حصل التعارض بين الأخبار ، ونحن نرى الكثير من الأخبار تتعارض ، فإن قيل بإفادة الجميع العلم حصل اجتماع الضدين وهو محال ، وإن قيل بإفادة أحدهما كان ترجيحاً بلا مرجح فوجب التوقف وعدم القطع بأخبار الآحاد[٢] .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن هذا مجرد فرض لما لايمكن وقوعه، كما لايحصل ذلك بين متواترين ، ولأبين خبرين تحف بكل منهما القرائن المنفصلة، فالعادة تمنع من إخبار عدل آخر بضد ما أخبر به الثقة الأول، إلا في مثل الناسخ والمنسوخ، أو تكون رواية شاذة، وقد تكفل العلماء رحمهم الله بالجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التناقض، فخرجوا كل حديث على معنى محتمل، فانتفي وجود التعارض في أخبار الرسولﷺ[٣] .

هذه هي أهم الشبه التي تمسك به من قال بإفادة خبر الواحد الظن، سواء احتفت به قرينة أم لا ، ومن ثم ردوا أحاديث الآحاد الواردة في العقيدة لعدم إفادتها العلم عندهم ، وقد تبين بطلان هذه الشبه والحمد لله .

ومما تقدم يتضح بطلان ما ذهب إليه ابن العربي وغيره من المتكلمين من ردهم لأخبار الآحاد الواردة في العقيدة ، وعدم إفادتها العلم عندهم، وأن الحق فيما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من وجوب الأخذ بأخبار الآحاد . وإفادتها العلم إذا احتفت بالقرائن، من غير فرق في ذلك بين العقائد والأحكام .

---

(١) انظر: تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على الأحكام للآمدي (٢/٣٤ - ٣٥) . وانظر: أخبار الآحاد ص (٩١) .

(٢) أخبار الآحاد ص (٨٨) . وانظر: الأحكام للآمدي (٢/ ٣٣) . موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١/١٧٠) .

(٣) انظر: تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على الأحكام للآمدي (٢/٣٣ - ٣٤) . وانظر: أخبار الآحاد ص (٨٨ - ٨٩) .

المبحث الثاني

حكم من رد خبر الآحاد عند ابن العربي

لقد اهتم ابن العربي رحمه الله بمسألة خبر الآحاد، وبين أنه أصل عظيم في معرفة هذه الشريعة، ونقل رحمه الله إجماع الصحابة على الرجوع إلى أخبار الآحاد. ثم حكم على من أقدم على إنكار خبر الآحاد بأنه زائغ .

قال ابن العربي رحمه الله :

(خبر الآحاد اصل عظيم لاينكره إلا زائغ ، وقد أجمعت الصحابة على الرجوع إليه)(١) .

وقد وضح ابن العربي رحمه الله هذا الزيغ الذي حكم به على من أنكر خبر الآحاد.

فقال رحمه الله في سياق الكلام على أصول رد الحديث :

(الثاني : أن يرده لأنه خبر آحاد فهو مبتدع أو كافر، على التأويل في أحد القولين، وبه أقول، فإن من أنكر خبر الواحد فقد رد الشريعة كلها، ولم يعلم مفهومها ولا اطلع على بابها)(٢) .

وهذا الكلام من ابن العربي رحمه الله يبين أن مراده بالزائغ في كلامه السابق، أي: المبتدع أو الكافر ، بحسب تأويله في ذلك .

وبهذا يمكن معرفة حكم من رد خبر الآحاد عند ابن العربي رحمه الله، وأنه يذهب إلى التفصيل في ذلك : فقد يكون هذا الذي رد خبر الآحاد كافر عنده أو مبتدع وذلك بحسب تأويله .

---

(١) أحكام القرآن (٥٧٩/٢) .

(٢) عارضة الأحوذي (١٣١/١٠) .

والظاهر والله أعلم أن ابن العربي رحمه الله قد يعذر من يرد بعض أخبار الآحاد بحجة أنها لاتوجب علماً عنده، فقد رد ابن العربي نفسه بعض أخبار الآحاد واحتج بهذه الحجة كما تقدم .

وخلاصة القول : أن ابن العربي لا يطلق الحكم مجرداً على من رد خبر الآحاد من غير أن ينظر في حجته وتأويله، وإنما ينظر في ذلك وعلى ضوئه يحكم عليه إما بالكفر أو الابتداع أو غير ذلك ، وقد يعذره ولايحكم عليه بشيء من ذلك.

هذا هو الذي ظهر لي من كلام ابن العربي رحمه الله .

وهذا المسألة أعني حكم من رد خبر الآحاد قد اختلف فيها العلماء على أقوال :

القول الأول: إطلاق الحكم بالكفر على من رد خبر الواحد الصحيح، وهذا القول منقول عن إسحاق بن راهويه[١] رحمه الله ، واختاره ابن حامد الحنبلي[٢]. وذكر أن غالبية أصحابه عليه، واختاره أيضاً السفاريني[٣].

القول الثاني: أن منكر خبر الواحد لا يكفر ، وهذا القول اختاره ابن النجار الحنبلي[٤] في شرح الكوكب المنير[٥] .

---

(١) هو أبويعقوب ، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، المعروف بابن راهويه ، الإمام الحافظ المحدث . ولد سنة١٦١هـ وتوفي سنة٢٣٨هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (٢١٦/١-٢١٩) السير (٣٥٨/١٠-٣٨٣)

(٢) هو أبو عبدالله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، إمام الحنابلة في زمانه ، فقيه أصولي ، متكلم ، توفي سنة٤٠٣هـ ، ينظر: شذات الذهب (١٦٦/٣-١٦٧) معجم المؤلفين (٢١٤/٣) .

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٣٥٣/٢)ط/مكتبة العبيكان١٤١٣هـ ، والمسودة ص (٢٤٥) . ولوامع الأنوار (١٩/١) ، وانظر: حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد ص (٩٥) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي المصري الحنبلي ، الشهير بابن النجار برع في فقه الأصول، ولد سنة٨٩٨هـ وتوفي سنة٩٧٢هـ ، ينظر: الأعلام (٢٣٣/٦) ، معجم المؤلفين (٢٧٦/٨).

(٥) شرح الكوكب المنير (٣٥٢/٢) .

وقد حكى ابن حامد هذين القولين وجهين عن أصحاب الإمام أحمد[١] .

القول الثالث: القول بالتفصيل فيمن رد خبر الآحاد وذلك بحسب اختلاف الأخبار والأشخاص، فإن أخبار الآحاد الثابتة تفاوت في صحتها بحسب مايحتف بها من القرائن .

وكذلك الأشخاص يختلفون، فقد يكون من رد خبر الآحاد يعتقد عدم صحته عن النبي ﷺ، أو يرى أنه منسوخ أو غير ذلك .

وقد يكون رده لذلك اتباعاً لشبهة باطلة أو انتصاراً لمذهب أو غير ذلك[٢] .

وقد ذهب إلى هذا القول جمع من المحققين من العلماء، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وغيرهم .

وما ذهب إليه ابن العربي رحمه الله موافق في الجملة لأصحاب هذا القول، وإن كان رحمه الله قد يختلف معهم في بعض المسائل كمن رد خبر الآحاد بحجة عدم إفادته العلم، كما تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل[٣] .

ولعل هذا القول -وهو القول بالتفصيل- هو الراجح في هذه المسألة، وهو ظاهر فعل الصحابة ﷺ ، فقد كانوا يعظمون السنة ويقبلونها من آحاد كل من حدث بها، ومع ذلك فقد توقف بعض الصحابة ﷺ في قبول بعض أخبار الآحاد، وذلك لمعان خاصة، فتوقف أبو بكرﷺ في خبر المغيرة ﷺ في ميراث الجدة[٤] ، وكذلك توقف عمر ﷺ في خبر أبي موسى في الاستئذان[٥].

---

(١) المرجع السابق (٣٥٢/٢) ، وانظر: لوامع الأنوار (١٩/١) .

(٢) مختصر الصواعق ص (٤٦٢) .

(٣) انظر: ص ١٣٧.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود (١٢١/٢) والترمذي (٤١٩/٤ح٢١٠٠) والحاكم (٣٣٨/٤) وقال الحاكم (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي .

(٥) أخرجه البخاري : الفتح (٢٩٨/٤ح٢٠٦٢) كتاب البيوع ، باب الخروج في التجارة، وأخرجه مسلم =

وردت عائشة رضى الله عنها خبر ابن عمر رضي الله عنه في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه[١]، و لم يكن هذا منهم رداً لحديث النبي ﷺ، بل كان ذلك إما لتعليم الناس التثبت في رواية الحديث كما صرح بذلك عمر رضي الله عنه، أو الاعتقاد غلط الناقل أو غير ذلك. ولذلك لم ينكر على هؤلاء أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، فضلاً عن أن يكفرهم أو يفسقهم[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(ولهذا كان الصواب أن من رد الخبر الصحيح كما كانت ترده الصحابة، اعتقاداً لغلط الناقل أو كذبه لاعتقاد الراد أن الدليل قد دل على أن الرسول لا يقول هذا، فإن هذا لا يكفر ولايفسق، وان لم يكن اعتقاده مطابقاً فقد رد غير واحد من الصحابة غير واحد من الأخبار، التي هي صحيحة عند أهل الحديث)[٣].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله بعض الأمور التي قد يعذر بها من رد خبر الآحاد فقال رحمه الله (أن من رد الخبر الصحيح اعتقاداً لغلط الناقل أو كذبه أو لاعتقاد أن المعصوم لا يقول هذا أو لاعتقاد نسخه ونحوه . فرده اجتهاداً وحرصاً على نصر الحق ، فأنه لا يكفر بذلك ولايفسق ، فقد رد غير واحد من الصحابة بعض أخبار الآحاد الصحيحة ، كما ردت عائشة رضى الله عنها

=

(١٣٥٢/٣ح٢١٥٤) كتاب الآداب ، باب الاستئذان .

(١) الحديث أخرجه البخاري : الفتح (١٥١/٣ح١٢٨٨) كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ «يعذب الميت...»، وأخرجه مسلم (٦٣٤/٢ح٩٢٩) كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

(٢) انظر: شرح مختصر الروضة ، للطوفي (١٢٨/٢-١٣١) تحقيق عبدالله التركي ، ط/موسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

(٣) المسودة في أصول الفقة لآل تيمية ص (٢٤٧) .

حديث ابن عمرﷺ في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه وغير ذلك)[١].

فتبين مما تقدم أن الصحابة ﷺ لم يتوقفوا في بعض أخبار الآحاد لأجل أنها خبر واحد، وإنما ذلك يرجع إلى أسباب أخرى كما تقدم .

وأما ما ذهب إليه الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله وغيره من العلماء ، من إطلاق الحكم بتكفير من رد خبر الآحاد ، فلعلهم أرادوا بذلك من رد الأحاديث المجمع على صحتها أو التي تلقتها الأمة بالقبول[٢]، وذلك لحقد في نفسه أو لإعراضه وعدم تعظيمه لما جاء به الرسول ﷺ .

وكذلك ما ذهب إليه ابن النجار وغيره من العلماء من القول بعدم تكفير من رد خبر الآحاد، لعل مرادهم بذلك من رده لعذر أو تأويل، كالذي حصل من الصحابة رضوان الله عليهم، وأما أن يرد خبر الآحاد لهوى في نفسه أو لعدم تعظيمه وقبوله للسنة فلا يمكن أن يعذره أحد من العلماء في ذلك، والله أعلم.

وبهذا يتبين صحة ما ذهب إليه ابن العربي رحمه الله من القول بالتفصيل فيمن رد خبر الآحاد، وموافقته في الجملة لما عليه المحققون من العلماء رحمهم الله.

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص (٤٦٢) .

(٢) انظر: أصل الاعتقاد دراسة حديثية د/ عمر سليمان الاشقر ص (٨٨) ط/الدار السلفية . طبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

الفصل الرابع

موقف ابن العربي من أهل البدع

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المبتدعة وعقائدهم عند ابن العربي .

المبحث الثاني : موقف ابن العربي من معاملة أهل البدع

الفصل الرابع
موقف ابن العربي من أهل البدع

تمهيد:

تعريف البدعة لغة واصطلاحاً : .

البدعة في اللغة: مأخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى : ﴿**بديع السموات والأرض**﴾[١]، أي مخترعها على غير مثال سابق وقوله تعالى :﴿**قل ما كنت بدعاً من الرسل**﴾[٢] أي: ما كنت أول من أرسل فقد أرسل قبلي رسل كثيرة ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق إليها[٣].

أما تعريفها في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في ذلك، إلا أن مضمونها يرجع إلى معنى واحد ، ومن أجمع تلك التعريفات:

ما ذكره الشاطبي[٤] رحمه الله في كتاب الاعتصام ، حيث قال في تعريفها :

(طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[٥].

وعرفها محيي الدين النووي بقوله :

---

(١) سورة البقرة : الآية (١١٧) .

(٢) سورة الأحقاف : الآية (٩) .

(٣) انظر: لسان العرب (٦-٧) ومعجم مقاييس اللغة (١/٢٠٩ - ٢١٠) .

(٤) هو أبوإسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي ، الشهير بالشاطبي ، محدث فقيه أصولي لغوي ، توفي ٧٩٠هـ ، ينظر: الأعلام (١/٧١) ، معجم المؤلفين (١/١١٨) .

(٥) الاعتصام (١/٣٧) ط/ دار الفكر .

(والبدعة : هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ)(١).

أما شيخ الإسلام ابن تيميه فقد عرفها بقوله :

(البدعة في الدين : هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب والاستحباب ، فأما ما أمر به أمر ايجاب أو استحباب ، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية: فهو من الدين الذي شرعه الله ، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك. وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن)(٢).

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ١٥٤ - ١٥٥) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيميه (٤/١٠٧ - ١٠٨) .

المبحث الأول

المبتدعة وعقائدهم عند ابن العربي

وفيه ما يلي:

أولاً: الشيعة.

ثانياً: المعتزلة.

ثالثاً: الصوفية.

رابعاً: الفلاسفة.

المبحث الأول

المبتدعة وعقائدهم عند ابن العربي

تمهيد:

لقد عاش ابن العربي رحمه الله في فترة زمنية غلب عليها الجهل ، وكثرت فيها الملل والنحل ، فالتقى رحمه الله بكثير من طوائف المبتدعة ، وحصلت بينه وبينهم عدة مناظرات ، فلم يترك فرقة من الفرق إلا ناظرها ، ولانحلة من نحل المبتدعة إلا خاصمها .

قال رحمه الله:(لم يبق باطل إلا سمعته ولاكفر إلا شوفهت به ووعيته ... ونظرت إلى كل طائفة تناظر فناظرتها)[١].

فعرف مذاهب المبتدعة ، والتقى برؤوس الطوائف في مواطنهم ، وساعده على ذلك تلك الرحلات العلمية التي قام بها إلى بلاد المشرق، فرأى بعينيه وسمع بإذنيه.

فحصل له ما لم يحصل لغيره من العلماء من معرفة طوائف المبتدعة وعقائدهم، فلذلك حكى مارآه من تلك الطوائف، وماجرى بينه وبينهم في أثناء رحلاته العلمية.

والمتتبع لكلام ابن العربي في كتبه وخاصة كتاب العواصم ، يجد أنه قد أكثر رحمه الله من ذكر أهل البدع وعقائدهم، فلا تكاد تسمع بفرقة قد وجدت في عصره إلا تجده قد تعرض لها بالمناقشة والرد ، ولاتكاد تمر مناسبة إلا ويذكر فيها بعض المبتدعة وينص على عقائدهم[٢]، ولو تتبعت ما ذكره ابن العربي من طوائف المبتدعة وعقائدهم وأعلامهم وماجرى بينه وبينهم لطال بنا الكلام ، مما لايتسع له المقام .

---

(١) العواصم ص (٤٥) .

(٢) انظر: على سبيل المثال ، العواصم ص (٤٤ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٩٠ ، وغيرها) .

فرأيت أن اقتصر على أشهر الفرق التي تكلم عليها ابن العربي ، ليتبين لنا موقفه منها، ومنهجه في عرض عقيدتها والرد عليها .

ومن خلال تتبع كلامه عن فرق المبتدعة، يتضح أن اشهر الفرق التي تناولها ابن العربي بالبحث والمناقشة أربع فرق هي :

الشيعة ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، والصوفية .

أولاً : الشيعة :

الشيعة في الأصل هم الذين شايعوا الإمام على بن أبي طالب ﷺ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، فإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده[١].

قال أبو الحسن الأشعري (وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه، وقدموه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ)[٢].

والشيعة لهم فرق كثيرة لكن أصول هذه الفرق ترج إلى ثلاث فرق كبيرة هي :

١ـ الغلاة :

وهم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالأدلة وربما شبهوا الإله بالخلق. وقد افترق هؤلاء الغلاة إلى أربع وعشرين[٣] فرقة ، فمنهم السبئية[٤]

---

(١) انظر: الملل والنحل (١٦٩/١) ط/دار المعرفة ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الاشعري ص(٥) ط/فرانز شتايز .

(٣) انظر: الملل والنحل (٢٠٣/١) .

(٤) وهم اتباع عبدالله بن سبأ الذي غلا في على ﷺ حتى زعم أنه هو الإله ، انظر: اعتقادات فرق المسلمين

=

والنصيرية[١] والدروز[٢] وغيرهم[٣].

٢ـ الإمامية أو الرافضة :

وهم القائلون بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ ، ويطلق عليهم أيضاً الاثني عشرية، لقولهم إن الإمامة لا تخرج عن اثني عشر إماماً[٤].

وأما سبب تسميتهم بالرافضة ، فذلك أنه لما خرج زيد بن علي سئل عن أبي بكر وعمر ـ ﷺ ـ فترحم عليهما فرفضه قوم ، فقال لهم رفضتموني ، فسموا رافضه لرفضهم إياه[٥].

٣ـ الزيدية :

وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، وهؤلاء جعلوا الإمامة في غيرهم ، والزيدية هم أخف فرق الشيعة، ويرون تصويب علي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ في حربه وتخطئة من خالفه ، وأن علياً هو أفضل الصحابة بعد النبي ﷺ[٦].

موقف ابن العربي من الشيعة :

لقد حصل لابن العربي مع الشيعة مواقف متعددة مما جعله يكثر من ذكرهم

=

والمشركين للرازي ص(٧١) ط/دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(١) وهم اتباع محمد بن نصير النميري، ويزعمون أن الله يحل في علي في بعض الأحيان ، انظر: المرجع السابق ص(٧٥) .

(٢) وهم أتباع هشتكين الدرزي ، الذي دعى إلى إلهية الحاكم بأمر الله ، انظر: الفتاوى (١٦١/٣٥) .

(٣) انظر: الملل والنحل (٢٢٢-٢٣/١) والفرق بين الفرق للبغدادي ص(٢٣) ، ط/المكتبة العصرية ١٤١٣هـ واعتقادات فرق المسلمين للرازي ص(٧٠-٧٦) .

(٤) انظر: الملل والنحل (١٨٩/١) والفرق بين الفرق ص(٥٣) .

(٥) انظر: منهاج السنة (٣٥/١) .

(٦) انظر: الملل والنحل (١٧٩/١) ومقالات الإسلاميين ص(٦٥) ومنهاج السنة (٣٥/١) .

ويبين عقائدهم فقد ناظر علماءهم ، والتقى بأمرائهم .

فقد ذكر ابن العربي أن أول بدعة لقيها في رحلته هي بدعة طائفة الإمامية، إحدى طوائف الشيعة الذين يعتقدون العصمة لأئمتهم، وأن الأئمة يتوارثون العلم من إمام إلى إمام(١).

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ أنه التقى برأس هذه الطائفة في مدينة عكا(٢)، وهو أبو الفتح العكي(٣) وناظره في قولهم بالعصمة ، وقد حكى ذلك ابن العربي في معرض كلامه عن رحلته إلى المشرق فقال :(فطوفت في مدن الساحل ... ونزلت عكا منها، وكان رأس الإمامية بها حينئذ أبو الفتح العكي ... فاجتمعت بأبي الفتح في مجلسه، وأنا ابن العشرين ... فتكلمت على إبطال مذهب الإمامية ، والقول بالتعليم من الإمام المعصوم بما يطول ذكره)(٤).

وقد بين ابن العربي ـ رحمه الله ـ أن حقيقة مذهب الإمامية في قولهم بعصمة الأئمة وأنه لايتلقى العلم إلا من قبلهم ، راجع إلى القول بالحلول ، وأن الله ﷻ يحل في كل معصوم فيبلغ عنه(٥)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وكما ناظر ابن العربي ـ رحمه الله ـ رئيس طائفة الإمامية وأبطل مذهبهم. فقد ناظر أيضاً رئيس طائفة أخرى من طوائف الشيعة .

---

(١) انظر: العواصم من القواصم ص(٤٤) .

(٢) عكا : اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن ، وهي من أحسن بلاد الساحل ، ينظر: معجم البلدان (١٦٢/٤) .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) العواصم ص(٤٦) .

(٥) انظر: العواصم ص(٤٧) .

وهو رئيس طائفة الإسماعيلية الباطنية[(١)]، وذلك أنه لما شاع خبر ابن العربي ومناظرته لابن الفتح الإمامي ، سمع بذلك رئيس الإسماعيلية فأحب أن يجتمع مع ابن العربي للمناظرة ، فالتقى به ابن العربي وهو بين حسبه وحشمه وقد امتلأ حنقاً وغيظاً، فجرت بينه وبين ابن العربي مناظرة على مشهد من أنصاره الإسماعيلية، انتهت بظهور ابن العربي على الإسماعيلي ، وكان ابن العربي قد تخوف على نفسه من كيد أولئك الإسماعيلية أثناء مناظرته لرئيسهم ، وقد حكى ذلك ابن العربي بقوله (... فقال لي أبو الفتح وأشار إلي فتى حسن الوجه: هذا سيد الطائفة ومقدمها، فدعوت له وسكت ، فبداني وبدرني ، قال لي: قد بلغتني مجالسك وانتهى إلي كلامك ، وأنت تقول : قال الله ، وفعل الله ، فأي شيء هو الله الذي تدعوا إليه، وتكثر من ذكره ؟ أخبرني وبين لي ، ... وقد احتد نفساً واحتدم حنباً[(٢)] وامتلأ حنقاً، وغيظاً، وجثا على ركبته ، كما عاث بقولته ، ولم أشك أنه لايتم الكلام إلا وقد اختطفني أصحابه قبل الجواب ، وعمدت بتوفيق الله إلى كنانتي واستخرجت منها سهماً صائباً كان عددي ، فضربت به حبة قلبه ، فسقط لليدين وللفم، ولم تبق له كلمة تجري على قلم...)[(٣)].

وقد ذكر ابن العربي أن هذه كانت الشدة الرابعة من شدائد عمره التي أنقذه الله منها[(٤)].

وقد تصدى ابن العربي ـ رحمه الله ـ للروافض في موقفهم تجاه أصحاب رسول

---

(١) الإسماعيلية هم الذين يقولون إن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه إسماعيل بن جعفر ، وتعد فرقة الإسماعيلية من الفرق الغالية ، انظر: الفرق بين الفرق ص(٦٢) ، واعتقادات فرق المسلمين ص(٦٥) .

(٢) يقال (حَنَب) أي جلس على ركبتيه ، والقوم حَنْباً وحنوباً : أي: اجتمعوا من كل وجه ، القاموس المحيط ص(٩٨) .

(٣) العواصم ص(٤٨-٤٩) .

(٤) انظر: العواصم (٤٨) .

الله ﷺ حينما حكموا على الصحابة ﷺ بالردة والكفر ، في إقرارهم لخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ﷺ ، وكان الأحق بذلك ـ عندهم ـ هو علي ﷺ فهو أحق من أبي بكر ومن غيره ، وقد زعم الروافض أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ظلموه واغتصبوا حقه ، وأقرهم على ذلك بقية الصحابة و لم ينصروا المظلوم بل خذلوه ونصروا الظالم حتى مكنه الله بعد ذلك، وصار الأمر إليه بالحق الإلهي النبوي[١].

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ :

(ما رضت اليهود والنصارى في أصحاب موسى وعيسى بما رضيت به الروافض في أصحاب محمد ﷺ، حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل، فما يرجى من هؤلاء وما يستبقى منهم ، وقد قال الله تعالى ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض** ...﴾[٢] وهذا قول صدق، ووعد حق ، وقد انقرض عصرهم ولاخليفة فيهم ، ولاتمكين ولا أمن ولاسكون إلا في ظلم وتحد وغصب وهرج ، وتشتيت كلمة وإثارة ثائرة)[٣].

وقد ساق ابن العربي ـ رحمه الله ـ بعض الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ في فضائل خلفائه الثلاثة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين اتهمهم الرافضة بالظلم والجور بل بالردة والكفر ، فمن هذه الأحاديث التي ذكرها ابن العربي :

١ـ قوله ﷺ :«لو كنت متخذاً في الإسلام خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً...»[٤].

---

(١) انظر: العواصم ص (٣١٣) .

(٢) سورة النور آية (٥٥) .

(٣) العواصم ص (٣١٤) .

(٤) أخرجه البخاري الفتح (١٧/٧ح٣٦٥٦) كتاب فضائل الصحابه ، باب قول النبي ﷺ «لوكنت متخذاً...» وأخرجه مسلم (١٤٧٩/٤ح٢٣٨٣) كتاب فضائل الصحابه ، باب فضائل أبي بكر ﷺ .

٢ـ قوله ﷺ حينما صعد أحداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[١].

٣ـ قوله ﷺ :«أنه كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر»[٢].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي ذكرها ابن العربي[٣]ــ رحمه الله ــ مبيناً بها فضائل هؤلاء الخلفاء ، الذين تنقصهم الروافض واتهموهم بالظلم والجور .

وقد أطال ابن العربي ـ رحمه الله ـ في تتبع أقوال الرافضة في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وبيّن رحمه الله ضلالهم وانحرافهم وعدواتهم الظاهرة لأصحاب رسول ﷺ ، بما لايتسع له هذا المقام[٤].

وبهذا يتضح موقف ابن العربي ـ رحمه الله ـ من الشيعة وبيانه ــ رحمه الله ــ لمذهبهم الباطل، وخاصة فيما يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم .

ثانياً : المعتزلة :

المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء[٥] وعمرو بن عبيد[٦] ، وقد تعددت

---

(١) أخرجه البخاري : الفتح (٢٢/٧ح٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً...» والترمذي (٦٢٤/٥ح٣٦٩٧) كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري : الفتح (٤٢/٧ح٣٦٨٩) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر ﷺ . ومسلم (١٤٨٥/٤ح٢٣٩٨) كتاب الفضائل ، باب فضائل عمر ﷺ .

(٣) انظر: العواصم ص(٣١٥-٣١٧) .

(٤) انظر: المرجع السابق ص(٣١٤ وما بعدها) .

(٥) هو أبو حذيفه وأصل بن عطاء المخزومي البصري ، المتكلم رأس المعتزلة ، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٣١هـ، ينظر: السير (٥/ ٤٦٤) ميزان الاعتدال (٣٢٩) .

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري، صاحب وأصل بن عطاء من أوائل المعتزله ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٣٤هـ، ينظر: البدايه والنهايه (٧٣/١٠) تهذيب التهذيب (٧٠/٨) .

الأقوال في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فقيل: لاعتزالهم عن أقوال المسلمين، وقيل: لاعتزالهم الحق[١]، ولعل أظهر الأقوال في سبب تسميتهم بهذا الاسم هو القول بأن ذلك كان بسبب اعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حلقة الحسن البصري ـ رحمه الله ـ وذلك لما قال إن الفاسق في منزله بين منزلتين ، فجلسا في ناحية المسجد، فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الأمة في مسألة الفاسق[٢]، وقد افترقت المعتزلة إلى فرق كثيرة أوصلها بعضهم إلى عشرين فرقة[٣]، كل فرقه منهم تنتسب إلى إمام من أئمتهم فمنهم الواصلية والعمروية والهذلية والنظامية[٤]، وغيرهم.

ومن أبرز معتقدات المعتزلة التي اتفقت عليها فرقهم :

١ـ نفي صفات الله تعالى ، فقالوا ليس لله ﷻ علم ولاقدرة ولاحياة ولاصفة أزلية، فهو عندهم عالم بذاته قادر بذاته لا بعلم وقدرة وحياة .

٢ـ أن كلام الله تعالى محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه .

٣ـ قولهم إن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد ، وإنما العباد هم الخالقون لأفعالهم خيرها وشرها ، ولأجل ذلك سموا (بالقدرية)، كما قال الاسفراييني في معرض سياقه لعقائد المعتزلة: (منها قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس... وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على إكسابهم ، وأنه ليس لله عز

---

(١) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الاديان لعباس السكسكي ص(٤٩) تحقيق د/بسام العموش ط/ مكتبة المنار، الطبعه الأولى ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: الملل والنحل (١/٤١) والفرق بين الفرق ص (٢٠) .

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص(١١٤) .

(٤) الواصلية: هم أتباع واصل بن عطاء الغزال ، والعمروية: هم أتباع عمرو بن عبيد ، والهذلية: هم أتباع أبي الهذيل العلاف ، والنظامية: هم أتباع إبراهيم بن سيار النظام ، انظر: الملل (١/٥٩-٦٧) .

وجل في أكسابهم ولافي أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير . ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدريه)[١].

٤ـ قولهم بأن الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين منزلتين ، وهي أنه فاسق لامؤمن ولاكافر فخالفوا جميع الأمة بذلك .

٥ـ قالوا باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وزعموا أنه لايرى نفسه ولايراه غيره.

٦ـ قالوا بأن مرتكب الكبيرة إذا مات و لم يتب استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار[٢].

موقف ابن العربي من المعتّزلة :

تعرض ابن العربي ـ رحمه الله ـ لفرقة المعتزلة كغيرها من الفرق المبتدعة التي تناولها، فذكر ـ رحمه الله ـ بعضاً من عقائدهم الباطلة ، وناقشهم فيها ، كما حكى ـ رحمه الله ـ ماجرى بينه وبينهم في أثناء رحلته، ومن التقى به من أعلامهم وما اطلع عليه من كتبهم .

فنراه مثلا يذكر عقيدتهم في صفة الرؤية ثم يرد عليهم فيقول : (الباري سبحانه عندنا يرى حقيقة بمعنى زائد على علمه، فهو العالم الرائي ليس يرجع الخبر عن رؤيته إلى علمه، كما قالت المبتدعة من القدرية والمعتزلة ونظرائهم ، وقد جاء القرآن بذلك الخبر، وهو جائز عقلاً فيكون رائياً حقيقة سبحانه ...)[٣] وقال ـ رحمه الله ـ في بيان عقيدتهم في أصحاب المعاصي ومخالفتهم لأهل السنة في ذلك (وقد بينا

---

(١) الفرق بين الفرق ص(١١٥) .

(٢) انظر: الملل والنحل (١/٤٤-٤٥) والفرق بين الفرق ص(١١٤-١١٦) ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الاديان ص(٥٠) .

(٣) عارضة الاحوذي (١٢/٨٠) .

أن فرار العلماء من تسمية الأفعال إيماناً وكفراً إنما كان لأجل مخاصمة القدرية لهم في خلود أهل المعاصي ، وقد بينا في غير موضع أن ذلك لاينفعهم فإن الكفر الذي يخلد في النار مخصوص...وكذلك المعصية التي تخلد في النار معلومة والتي هي تحت المشيئة معلومة...)[1] وقد رد ابن العربي - رحمه الله - على المعتزلة في مسائل كثيرة غير ما ذكر، كقولهم بوجوب الجزاء على الأعمال ومسألة التوليد[2]، وقولهم بالتحسين والتقبيح وغير ذلك[3] كما ذكر - رحمه الله - بعض أعلامهم كأبي الهذيل العلاف[4] وإبراهيم بن سيار النظام[5] وأبي هاشم[6] والقاضي عبد الجبار وغيرهم كثير[7].

وقد ذكر ابن العربي أنه التقى في أثناء رحلته بأحد مشائخهم وهو ابن السمناني[8]، وأنه دعى ابن العربي إلى مذهب الاعتزال ، وسماه (مذهب أهل

---

(١) المرجع السابق (١٠/٨٩ - ٩٠) .

(٢) التوليد عند المعتزلة هو : الفعل الصادر عن الفاعل بوسط ، ويقابله (المباشرة) وهو الفعل الصادر من الفاعل بلا وسط، المعجم الفلسفي (٣٦٨/١) .

(٣) انظر: عارضة الاحوذي (١٠/٢٣٣، ١٢/٧٦) والعواصم ص(٦٥، ٨٢، ٨٨) .

(٤) هو أبو الهذيل ، محمد بن الهذيل بن عبدالله العلاّف ، شيخ المعتزلة والبصريين ، ولد بالبصرة سنة١٣١هـ وقيل ١٣٤هـ ، توفي سنة٢٢٦هـ وقيل ٢٣٥هـ ، ينظر: شذرات الذهب (٢/٨٥) . معجم المؤلفين (١٢/٩١) .

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، أخذ الاعتزال عن أبي الهذيل ، وله عدة مصنفات على مذهب المعتزلة ، توفي سنة٢٢١هـ ، وقيل غير ذلك ، ينظر: الأعلام (١/٣٦) ، معجم المؤلفين (١/٣٧) .

(٦) هو أبو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي ، من كبار المعتزلة ، مات ببغداد سنة ٣٢١هـ ، ينظر: البداية والنهاية (١١/١٨٨) ، الأعلام (٤/٧).

(٧) انظر: العواصم ص(٦٣، ٦٩) .

(٨) هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن أعين الحنفي ، المعروف بـ (ابن السمناني) ولد بسمنان سنة٣٨٤هـ ، وتوفي ببغداد سنة٤٦٦هـ . ينظر: البداية والنهاية (١٢/١١٦) ، والسير (١٨/٣٠٤-٣٠٥).

التوحيد) وقد حكى ابن العربي ذلك قوله : (ولقد دخلت إليه - يعني: ابن السمناني - وسر بي، وسألني عن اعتقادي فأخبرته فقال لي: مامنعك من اعتقاد الحق، من مذهب أهل التوحيد - يعني: نفسه وأصحابه من القدرية - وهو مذهب مستند من ابن الفرج إلى أبي الحسين إلى عبدالجبار إلى أبي هاشم إلى الجبائي[١] إلى آل على بن أبي طالب ﷺ عنه إلى رسول الله - ﷺ - فعلمت أنه قد تبطن الباطن ، ولصق بأهل البيت ، وأخذ مذهب القدرية سترة ... وقمت عنه وتركته)[٢].

وقد أشار ابن العربي إلى بعض كتب المعتزلة وما اطلع عليه منها ، فمن ذلك. كتاب (المحيط في تفسير القرآن الكريم) للقاضي عبدالجبار .

يقول ابن العربي – رحمه الله – في معرض كلام له : (وانتدب أبو الحسن الأشعري إلى كتاب الله فشرحه في خمسمائة مجلد وسماه بالمختزن ، فمنه أخذ الناس كتبهم . ومنهم أخذ عبدالجبار الهمذاني كتابه في تفسير القرآن الذي سماه بالمحيط في مائة سفر، قرأته في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام[٣])[٤].

ثالثاً : الصوفية :

لم يكن لفظ (الصوفية) مشهوراً في القرون الثلاثة المفضلة ، وإنما اشتهر الكلام به بعد ذلك . وإن كان قد نُقل التكلم بهذا اللفظ عن غير واحد من الأئمة والشيوخ، كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني[٥] وسفيان الثوري والحسن

---

(١) هو أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي البصري ، أحد شيوخ المعتزلة ، وهو شيخ أبي الحسن الاشعري . ولد سنة٢٣٥هـ وتوفي سنة٣٠٣هـ، ينظر: السير (١٤/١٨٣-١٨٤) ، شذرات الذهب (٢/٢٤١) .

(٢) العواصم ص(٢١٢-٢١٣) .

(٣) هي مدينة بغداد التي بناها المنصور سنة١٤٩هـ على نهر دجلة بالعراق ، وسميت بمدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادي السلام ، ينظر: معجم البلدان (١/٥٤١) .

(٤) العواصم ص(٧٢) .

(٥) هو أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد العنسي الداراني ، الإمام الكبير ، زاهد عصره ، ولد في حدود سنة ١٤٠هـ وتوفي سنة٢٠٥هـ ، ينظر: السير (١٠/١٨٢-١٨٦) ، شذرات الذهب (٢/١٣-١٤) .

البصري[١] وغيرهم[٢].

أما منشأ (التصوف) وبداية ظهوره ، فقد كان من البصرة التي كان فيها من سلك طريق الزهد والعبادة والخوف والمبالغة في ذلك، حتى اشتهروا بذلك عن غيرهم من العباد في بقية الأمصار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

(إن منشأ (التصوف) كان من البصرة ، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد ، كما كان في الكوفة من يسلك طريق الفقه والعلم والزهد مما له فيه اجتهاد)[٣].

وقد اختلف في أصل اشتقاق كلمة (صوفية) فقيل أنها نسبة إلى أهل الصفة ، وقيل مأخوذة من الصفاء ، وقيل: أنها نسبة إلى كلمة (صوفيا) ومعناها الحكمة ، وقيل غير ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان الاختلاف في معنى هذه الكلمة :

(وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي فأنه من أسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك :

فقيل أنه نسبة إلى (أهل الصفة) وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك لقيل: (صُفّي).

وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ، وهو أيضاً غلط ، فأنه لو كان كذلك لقيل : «صَفّي».

وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل:

---

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار ، مولى زيد بن ثابت ، أحد أئمة التابعين ، الذين جمعوا بين العلم والعمل ، توفي سنة ١١٠هـ ، ينظر: البداية والنهاية (٩/٢٧٨) ، السير (٤/٥٦٣-٥٥٨) .

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٥) .

(٣) المرجع السابق (١١/١٠) .

(صفوي)... - وقيل -وهو المعروف - إنه نسبة إلى لبس الصوف)[١]، وقد أشار ابن العربي - رحمه الله - إلى هذا القول الأخير في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء**...﴾[٢] فقال (في هذا دليل على لباس الصوف... وإليه نسب جماعة من الناس الصوفية ، لأنه لباسهم في الغالب، فالياء للنسب والهاء للتأنيث)[٣].
ولعل هذا القول الذي أشار إليه ابن العربي هو أقرب الأقوال ، ولذلك رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وجزم به في غير موضع، ومن ذلك قوله -في معرض كلامه عن الصوفية-: وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف ، فقيل في أحدهم : (صوفي) وليست طريقهم مقيدة بلباس الصوف، ولاهم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال)[٤].

فالصوفية في الأصل مبنية على الزهد والعبادة والورع ، ولذلك أطلقها بعض العلماء على بعض من عرفوا بالزهد والعبادة من السلف ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (شيوخ الصوفية الكبار ، كالفضيل بن عياض[٥] ، وإبراهيم بن أدهم[٦]...)[٧].

ثم إن هذه الطائفة تطورت شيئاً فشيئاً حتى خرجت من مسمى الزهد والورع

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٥-٧) .

(٢) سورة النحل ، آية (٥) .

(٣) أحكام القرآن (٣/١١٨) .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام (١١/١٦) .

(٥) هو أبو علي ، الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي الزاهد المشهور ، توفي سنة١٨٧هـ ، ينظر: السير (٨/٤٢١-٤٤٢) ، شذرات الذهب (١/٣١٦) .

(٦) هو أبوإسحاق إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي ، أحد مشاهير العباد واكابر الزهاد ، توفي سنة١٦٢هـ . ينظر: البداية والنهاية (١٠/١٣٨-١٤٩) ، شذرات الذهب (١/٢٥٥) .

(٧) فتاوى شيخ الإسلام (١١/٥) .

إلى التعمق والتشدد، فأدخلت عليها بعض المصطلحات المنحرفة كالغناء والوجد والذوق ونحوها ، ثم جاء منهم من فسر هذه المصطلحات بتفسيرات كفرية كالحلول والاتحاد ونحوها(١).

موقف ابن العربي من الصوفية :

إن المتتبع لكلام ابن العربي ـ رحمه الله ـ يجد أنه قد اهتم بطائفة الصوفية أكثر من غيرها من الطوائف المبتدعة الأخرى ، وذلك لما رأى من تعلق بعض علماء الأشاعرة بأقوال الصوفية وأحوالهم، وخاصة ما شاهده من شيخه أبي حامد الغزالي، والذي كان يميل إلى تلك الطريقة ويدافع عنها .

ولذلك أورد ابن العربي ـ رحمه الله ـ كثيراً من أقوال الصوفية وتناولها بالمناقشة والرد، كما ناظر ـ رحمه الله ـ بعض أئمتهم وعلى رأسهم شيخه الغزالي، الذي أكثر من ذكره وحكى ماجرى بينه وبينه من ردود ومناقشات .

وقد ذكر ابن العربي ـ رحمه الله ـ أنه التقى ببعض رجالاتهم في أثناء رحلته، وأنه جادلهم بالتي هي أحسن، وفي ذلك يقول ـ رحمه الله ـ في سياق رحلته : (وجادلت بالتي هي أحسن أهل البدعة ، وأفنيت عظيماً من الزمان في طريقة الصوفيين ، ولقيت رجالاتهم في تلك البلاد أجمعين)(٢).

ومما ذكره ابن العربي من عقائدهم وأقوالهم : قولهم بتجلي الحقائق وانكشاف المغيبات لبعض العارفين، لما يفيض على قلوبهم من نفحات رحمة الله ويشرف عليها من نوره(٣).

وقد ناقش ابن العربي ـ رحمه الله ـ شيخه الغزالي في هذه المسألة التي هي من

---

(١) انظر: تلبيس ابليس لابن الجوزي ص(٢٠١-٢٠٣) تحقيق السيد الجميلي ط/دار الريان للتراث .

(٢) قانون التأويل ص(٤٥٧) .

(٣) انظر: العواصم ص(١٢) .

أعظم مسائلهم ، إذ تنتهي إلى القول بمشاهدة الله تعالى .

يقول ابن العربي - رحمه الله - في معرض كلامه على هذه المسألة :

(وقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالي ، حين لقائي له بمدينة السلام في جمادى الآخرة سنة تسعين وأربعمائة ، وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية ، من سنة ست وثمانين إلى ذلك الوقت نحواً من خمسة أعوام ، وتجرد لها ... فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته المستكشف عن طريقته ... فقال لي من لفظه ، وكتبه لي بخطه: إن القلب إذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق، وهذه أمور لاتدرك إلا بالتجربة لها عند أربابها ، بالكون معهم والصحبة لهم...)[1].

ثم شرع ابن العربي - رحمه الله - في رد هذه المقولة الخطيرة فقال: (وأما الإشارة بتجرد النفس أو القلب عن علائق المحسوسات ليترقى إلى المعقولات ، فعسى أن يكون ذلك إذا مات ، فأما مع الحياة فيبعد ذلك ، أو يستحيل عادة، وقد كان النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح :«أنه ليغان على قلبي فأتوب مائة مرة»[2]، فكيف يدعي عاقل ، فكيف عالم قلباً لايدركه غين ، ولاتتطرق إليه غفلة، حتى يترقى إلى حالة الفناء ، حتى يفنى نفسه ، فلا يرى أهلاً ولا حالا ...) [3].

وقد أطال - رحمه الله - في بيان بطلان هذه المقولة، وتتبع كلام الغزالي جملة جملة وبين فساده عقلاً ونقلاً[4].

ومما ذكره أيضاً من عقائدهم وأقوالهم قول بعضهم (ليس في المقدور إلا ما أبرزه الوجود) ، وقد رد ذلك ابن العربي بقوله تعالى ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم**

---

(١) العواصم ص(٢٤ ومابعدها) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٦٤٨ح٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء ، باب الاستغفار والإكثار منه .

(٣) العواصم ص (٢٩-٣٠) .

(٤) انظر: المرجع السابق ص(٢٦-٣٨) .

لايكونوا أمثالكم﴾[١] فقال في معرض تفسيره لهذه الآية (في هذه الآية دليل على أن الباري قادر على خلق أمثالنا وخير منا، رداً على طائفة من الصوفية يقولون ليس في المقدور إلا ما أبرزه إلى الوجود، وقد بينا فساده في غير موضع)[٢].

وكما ذكر ابن العربي ـ رحمه الله ـ عقائد الصوفية فقد ذكر أيضاً بعض أقوالهم في تفسير بعض النصوص، ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى **﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾**[٣] (اختلف الناس في تأويله على أربعة أقوال...) وذكر تلك الأقوال ثم قال (زادت الصوفية فيه ، الخامس : وهو أن الأول مثل للمقبل على الدنيا المشتغل بزخارفها وطلبها ...)[٤].

وقد انتقد ـ رحمه الله ـ طريقة بعض الصوفية في الاسترسال في ضرب الأمثال، ونقلها من المخلوق إلى الخالق ، فقال : ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه عن الأمثال : (أما المعنى المتعلق بالباري سبحانه ، فلا تضربوا لله الأمثال ابتداء إلا ما ضرب لنفسه، وغايتكم فهم المقصود ، ومن هنا زاعت طائفة كثيرة من الصوفية فاسترسلت في ضرب الأمثال واستعارات الألفاظ ، ونقلتها من المخلوق إلى الخالق ، وذلك ابتداع)[٥].

كما أشار ـ رحمه الله ـ إلى بعض شيوخ الصوفية . كالحارث المحاسبي[٦] وأبي

---

(١) سورة محمد آية (٣٨) .

(٢) عارضة الأحوذي (١٢/١٤٧) .

(٣) سورة الزمر آية (٢٨) .

(٤) قانون التأويل ص(٥٧٢-٥٧٣) .

(٥) المرجع السابق ص(٥٩٢) .

(٦) هو عبدالله ، الحارث بن أسد المحاسبي ، من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، توفي سنة٢٤٣هـ. ينظر: شذرات الذهب (٢/١٠٣) الأعلام (٢/١٥٣) .

القاسم القشيري[١] وغيرهم[٢].

رابعاً : الفلاسفة :

يتفق مؤرخو الفلسفة على أن كلمة (فلسفة) مشتقة من الكلمة اليونانية (فيلوسوفيا) وهي كلمة يونانية، وهذه الكلمة مركبة من كلمتين:

الأول : (فيلو) ومعناها : محبة أو رغبة أو إيثار .

الثاني : (سوفيا) ومعناها : الحكمة .

فيكون معنى كلمة (فلسفة) : أي محبة الحكمة أو الرغبة في الحكمة أو إيثار الحكمة.

وقد اشتق من هذه الكلمة ، كلمة (فيلسوف) ومعناه (محب الحكمة) أو (الراغب في الحكمة) أو (مؤثر الحكمة)[٣].

يقول الفارابي في بيان معنى الفلسفة :

(إن اسم (الفلسفة) يوناني ، وهو دخيل في العربية ، وهو على مذهب لسانهم (فيلوسوفيا) ومعناه : إيثار الحكمة ، وهو في لسانهم ، مركب من : (فيلا) و(سوفيا).

و(فيلا) : الإيثار ، و (سوفيا) : الحكمة .

والفيلسوف مشتق من (الفلسفة) وهو ، على مذهب لسانهم ، فيلوسوفوس، فإن هذا التغيير : وهو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم ، ومعناها (المؤثر للحكمة).

والمؤثر للحكمة عندهم : هو الذي يجعل الوكدَ من حياته وغرضَه من عمره،

---

(١) هو أبوالقاسم ، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالمطلب القشيري ، متكلم أشعري ، جمع بين التصوف والأصول ، توفي سنة٤٦٥هـ ، ينظر: البداية والنهاية (١٢/١١٤) ، شذرات الذهب (٣/٣١٩-٣٢٢).

(٢) انظر: العواصم ص(٢٣) .

(٣) انظر: الملل والنحل (٢/٣٦٩) والتفكير الفلسفي الإسلامي ، د.سليمان دانيا ص(١٤) ط/مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى١٣٨٧هـ.

الحكمة)[1].

وقد ذكر مؤرخو الفكر الفلسفي أن الفلسفة نشأت على أرض اليونان في القرن السادس قبل الميلاد ، وأنها مرت بثلاثة عصور هي :

١ـ **العصر القديم** : ويسمى بعصر الفلسفة اليونانية ، ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد ، وينتهي في القرن الرابع الميلادي ، وكان معنى الفلسفة في هذا العصر هو البحث عن طبائع الأشياء أو حقائق الموجودات، يعنون بذلك: تفسير الوجود والوقوف على طبيعته .

٢ـ **العصر الثاني للفلسفة** : ويسمى بالعصر الوسيط وتسمى فلسفته باسم (فلسفة العصور الوسطى) ويبدأ في القرن الرابع الميلادى وينتهي في القرن ، الرابع عشر، وفي القرن الثامن من هذا العصر ظهر فلاسفة الإسلام وكان معنى الفلسفة في هذا العصر هو البحث العقلي عن الحقيقة التي نزل بها الوحي ، ومحاولة التوفيق بينه وبين العقل.

٣ـ **العصر الحديث** : وتسمى فلسفته باسم (الفلسفة الحديثة) ويبدأ في القرن السابع عشر الميلادي ويستمر حتى الآن ، غير أن الفلسفة التي ظهرت أبان القرن التاسع عشر وحتى الآن ، يطلق عليها اسم (الفلسفة المعاصرة)، وقد اهتمت فلسفة هذا العصر بالبحث في المعرفة التي للإنسان، للوقوف على حقيقة العلاقة بين قوى الإدراك والأشياء[2].

موقف ابن العربي من الفلاسفة :

تناول ابن العربي رحمه الله مذاهب الفلاسفة ونظرياتهم، فأطال في عرضها وتفنيدها ومناقشتها ، وقد استفاد من شيخه الغزالي في صراعه مع الفلاسفة، ونقده

---

(١) انظر: التفكير الفلسفي في الإسلام د.عبدالحليم محمود ص(٢٢٣) ط/دار الكتاب اللبناني ـ بيروت وانظر: التفكير الفلسفي الإسلامي ص(١٤-١٥) .

(٢) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، د.مصطفى شاهين ص(١٧-١٨) ط/دار الثقافة للنشر والتوزيع .

لمناهجهم ، وتأثر به في ذلك .

وقد اطلع ابن العربي رحمه الله على كثير مما سطره حكماؤهم[١]، وحضر الكثير من المناظرات معهم ، بل ناظرهم رحمه الله بنفسه ، والتقى بعظمائهم ففاوضهم، وبين ضلالهم وانحرافهم، بل تعجب رحمه الله من سخافة عقولهم .

قال ابن العربي رحمه الله :

(وقد فاوضتهم في الأقطار والأمصار بنفسي ، وحضرت ذلك في مجالس الأئمة والجهابذة في الشام والعراق ، فما أثبت الله لهم قدماً ، ولارفع لهم قط علماً، ولم يتكلموا على تقية إلا بغاية الحمية ، وقوة الاعتقاد والنية ، والله يعيذنا من حالهم، ويريهم وبال أمر مالهم بعزته)[٢] ، وقد بين ابن العربي رحمه الله طوائف الفلاسفة وعقائدهم فمن ذلك قوله :

(وأما المتألهة منهم ، فهم أعظم الطوائف فليقه[٣] وأرداهم طريقة ، لايعقد معهم على قول ، ولايستقر معهم في التحقيق على منزل ، ومآل الحاصل من تخليطهم إلى قدم العالم، الذي ينبني على عدم الصانع ، ويعتقدون استحالة الفناء الذي بنوه على إنكار الحشر والنشر، والثواب والعقاب ، ومنهم من يذكر الصانع والحشر والثواب أسماء لامسميات لها)[٤].

وقال في موضع آخر :

(و نبعت طائفة كادت الدين وبهرجت على المسلمين، وأرادت التلفيق بين الفلسفة والملة ، وحاولت الجمع بين الشرع المنقول ، وقضيات العقول القاصرة عن

---

(١) انظر: العواصم ص (١٧٥ ، ١٨٣) .

(٢) العواصم ص (١٠٧) .

(٣) الفليقة : هي الأمر العجيب والداهية ، انظر: القاموس المحيط (١١٨٦) .

(٤) العواصم ص (٩٠) .

غاية الدليل بذواتها ، وجزمت القول بأنه لم يأت رسول إلا بها، ولادار إلا حولها ورتب نظامه في سلكها ... ومن أعظم من انتدب لذلك القضاة الأربعة الذين لقبوا أنفسهم إخوان الصفا[١]...)[٢].

وقد ناقشهم ابن العربي رحمه الله في أهم نظرياتهم وعقائدهم، كحقيقة الوحدة والكثرة[٣] ونظرية الفيض والصدور[٤]، وتفسيرهم لحركة الكواكب والأفلاك وغير ذلك[٥].

وقد فند رحمه الله مذهبهم وأبطل نظرياتهم ، وبين أن طريقهم لايوصل إلى الله، وأنه بعيد كل البعد عما جاءت به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من الهدى والنور[٦].

وقد أشار ابن العربي رحمه الله إلى بعض أعلامهم وحكمائهم، إما تصريحاً بذكر أسمائهم ، أو عن طريق الرمز والإشارة .

فنراه مثلاً يصرح بذكر اسم سقراط[٧] أو أفلاطون[٨] وبقراط[٩] وأرسطو

---

(١) إخوان الصفا : هم جماعة من الفلاسفة جمعوا خمسين رسالة، في كل علم رسالة ، أرادوا بها التلفيق بين الفلسفة والدين ، وذلك في القرن الرابع الهجري ، انظر: درء التعارض (٢٧/٥) والعواصم ص(١٠٩) .

(٢) العواصم ص (١٠٩)

(٣) الوحدة: ضدة الكثرة لأنها كون الشيء بحيث لاينقسم ، والكثرة كونه بحيث ينقسم ، المعجم الفلسفي (٥٦٧/٢) .

(٤) الفيض يقصد به أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد ، أو جوهر واحد ، المعجم الفلسفي (١٧٢/٢) .

(٥) انظر: العواصم ص (١٢٠،١٣١،١٣٣) .

(٦) انظر: المرجع السابق ص (١١٧)

(٧) سقراط بن سفر نيسقوس الحكيم ، أحد فلاسفة اليونان ، ولد في أثينا حوالي سنة٤٧٠ق.م وتوفي سنة٣٩٩ق.م ، انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص(٥٠-٥٧) .

(٨) أفلاطون بن أرسطن ، فيلسوف يوناني ، ولد في أثينا سنة٤٢٧ق.م ، وتوفي سنة٣٤٧ق.م ، تاريخ الفلسفة اليونانية ص(٦٢-٦٨) .

(٩) بقراط ، هو واضع الطب ، كان أكثر حكمة في الطب وشهرته به ، انظر: الملل والنحل (١٠٩/٢) .

طاليس[١][٢].

ونراه يرمز إلى بعض أعلامهم ببعض الحروف سخرية بهم كقوله رحمه الله في معرض الرد عليهم :

الثاني :(أن نتكلم معهم بلغة حبرهم الأول صاحب الطاء والفاء، ومن عبرّ عنه من سين أو راء)[٣]، ومراده بصاحب الطاء والفاء (أفلاطون)، وصاحب السين والراء (أرسطو) .

وقال في موضع آخر :

(لو سمعتم ترتيب صدور الموجودات عن الإله لسمعتم أحاديث أم عمرو لا حديث خرافه ... قال راؤهم وسينهم...)[٤]، ومراده بقوله (قال راؤهم يعنى ... الفاربي)[٥]، وقوله (سينهم) يعنى (ابن سينا)[٦].

كما ذكر رحمه الله أسماء بعض الكتب الفلسفية ، وبين مارآه فيها من الخرافات المخالفة للعقول السليمة قال رحمه الله :

(ولقد نظرت في كتاب دقلطيانش في سر الخلقة وصنعة الطبيعة ، فرأيت من الخُباط[٧] ما لا عين رأت ، ولاخطر على قلب مجنون ...)[٨] وذكر رحمه الله أنه اطلع على ماسطره أفلاطون وسقراط ، ثم قال رحمه الله :

(ولولا التطويل لسردنا عليكم من خرافاتهم ماينبئ عن سخافاتهم ...)[٩].

---

(١) أرسطوطاليس : أحد فلاسفة اليونان المشهورين ، ولد في اسطاغيرا سنة٣٨٤ق.م ، توفي سنة٣٢٢ق.م ، انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص(١١٢-١١٧) .

(٢) انظر: العواصم ص (١٥٩ ، ١٧٥) .

(٣) انظر: المرجع السابق ص (١١٧) .

(٤) انظر: العواصم ص(١٣١) .

(٥) هو أبو نصر محمد بن طرخان التركي ، المعروف بالفارأبي ، أحد كبار الفلاسفة المسلمين ، توفي سنة ٣٣٩، ينظر: شذرات الذهب (٢/٣٥٠) ، الأعلام (٧/٢٠) .

(٦) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سيناء ، الفيلسوف الرئيس ، من أشهر فلاسفة المسلمين ، توفي سنة٤٢٨هـ ، ينظر: شذرات الذهب (٣/٢٣٤) الأعلام (٢/٢٤١-٢٤٢) .

(٧) الخُباط : داء كالجنون ، انظر: القاموس المحيط ص(٨٥٧) .

(٨) العواصم ص (١٨٣) .

(٩) العواصم ص (١٧٥) .

المبحث الثاني

موقف ابن العربي من معاملة أهل البدع

وفيه ما يلي:

أولاً: موقفه من الرواية عن المبتدعة.

ثانياً: موقفه من تكفير المبتدعة.

ثالثاً: موقفه من استتابة أهل البدع وقتلهم.

المبحث الثاني
موقف ابن العربي من معاملة أهل البدع

تمهيد:

سبق بيان تعريف البدعة ، وأنها طريقة محدثة ليست من دين الله في شيء ، وأن صاحبها قد جاء بما لم يشرعه الله ، ووقع فيما حذر منه رسول الله ﷺ، فهو مخالف لما ورد من النهي عن الزيادة في دين الله بعدما أكمله الله سبحانه، قال الله تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : (أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ،وقد رضيه فلا يسخطه أبداً)(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ أنه ترك هذه الأمة على طريقة واضحة لاينحرف عنها إلا هالك.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «... وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء ... »(٣).

وقد أمر رسول الله ﷺ بالاعتصام بالكتاب والسنة ، وحذر من البدع

---

(١) سورة المائدة من الآية (٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٢/٢) ، ط/ مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ح٥٤) المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ص(٢٦ح٤٧) باب قول النبي ﷺ :«تركتكم على مثل البيضاء» وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٦/١) .

والمحدثات في دين ا لله.

ففي حديث العرباض ﷺ أن النبي ﷺ قال :«... .فأنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (١).

وقد مضى سلف الأمة من الصحابة واتباعهم على التحذير من البدع والمحدثات ولزوم السنة، ومما ورد عنهم في ذلك :

١ـ قول ابن مسعود ﷺ : (عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وإياكم والتنطع والتبدع، وعليكم بالعتيق)(٢) .

٢ـ قول ابن عمرو ﷺ (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)(٣) .

٣ـ وقال الزهري(٤) رحمه ا لله (كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة)(٥).

٤ـ وقال الإمام أحمد رحمه ا لله :

(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول ا للهﷺ ، والاقتداء

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٤٤ح٢٦٧٦) كتاب العلم ، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وابن ماجه (١/٢٦ح٤٦) المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٣).

(٢) رواه الدامي (١/٥٤) باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٩٧) سياق ماروي عن النبي ﷺ في الحث على التمسك .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٠٤)سياق ماروي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة، وابن بطة في الابانه (١/٣٣٩) باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة .

(٤) الزهري : هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدا لله القرشي الزهري الحافظ ، أحد أئمة الحديث ، توفي سنة١٢٤هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (٩/٤٤٥) ، الجرح والتعديل (٨/٧١) .

(٥) رواه الدارمي (١/٤٥) باب اتباع السنة .

بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة ضلالة)[١].

بل مضى سلف هذه الأمة على معاداة أهل البدع وهجرهم ، فمنعوا من الصلاة خلفهم وعيادتهم إن مرضوا ، وشهود جنائزهم ، ولم يقبلوا روايتهم ولاشهادتهم .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لمن أخبره عن القدرية (إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات)[٢].

وعن الحسن البصري أنه قال (لاتجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولاتسمعوا منهم)[٣].

وقال الشيخ أبو عثمان الصابوني في بيان موقف السلف من معاملة أهل البدع: (ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ماليس منه، ولايصبونهم ولا يسمعون كلامهم ، وليجالسونهم ، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن أباطيلهم)[٤].

وقد كثرت الآثار عن السلف رحمهم الله في معاداة أهل البدع، فنقل البغوي[٥] وغيره إجماعهم على ذلك، فقال (وقد مضت الصحابة والتابعون، وعلماء

---

(١) أخرجه اللاكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٦/١) اعتقاد أحمد بن حنبل .

(٢) أخرجه مسلم (٤٦/١ ح٨) كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام .

(٣) أخرجه الدارمي (١١٠/١) باب اجتناب أهل الهواء واللالكائي (١٥٠/١) سياق ماروي عن النبي ﷺ عن مناظرة أهل البدع .

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص(٢٩٨) تحقيق د. ناصر الجديع ، ط/دار العاصمة ، الطبعة ١٤١٥هـ .

(٥) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي ، الحافظ المحدث المفسر ، السير(٤٣٩/١٩) ، ينظر: شذرات الذهب (٤٨/٤-٤٩) .

السنن على هذا مجمعين، متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم)[١].

وابن العربي - رحمه الله - لم يخرج عما كان عليه السلف في الجملة تجاه أهل البدع، فقد أفصح عن موقفه منهم في عدة مواضع ، أهمها مايلي :

أولاً: موقفه من الرواية عن المبتدعة :

يذهب ابن العربي إلى قبول رواية المبتدع فيما لايحتج فيه على بدعته ، أما ما يرويه مما يعضد بدعته ، فيسقط روايته فيه .

قال رحمه الله (أما المبتدع فيروى عنه ما لا يحتج فيه على بدعته، إذ يعتقد في ما يراه الحق، فهو متهم في رواية ما يعضده، فسقطت روايته فيه، ولم تسقط في ما لا تهمه له فيه)[٢].

فتبين من كلام ابن العربي رحمه الله أنه يفرق في قبوله لرواية المبتدع بين ما يحتج بروايته على بدعته، وما لا يحتج به على بدعته، فيرى قبول رواية المبتدع فيما لا يحتج فيه على بدعته، ورد رواية المبتدع إذا كان فيما يحتج فيه على بدعته.

وهذه المسألة قد اختلف فيها العلماء فمنهم من رد رواية المبدع مطلقاً ، ومنهم من قبلها مطلقاً ، ومنهم من فصل القول في ذلك ، ويمكن تلخيص مذاهب العلماء في هذه المسألة في ثلاثة أقوال[٣]:

١- **القول الأول** : رد رواية المبتدع مطلقاً ، وهذا القول منسوب إلى طائفة من السلف منهم ابن سيرين[٤] وعلي بن حرب[٥] وغيرهما .

---

(١) شرح السنة (٢٢٧/١) .

(٢) العارضة (٣١٣/١٣) .

(٣) انظر: في تفصيل هذه المسألة: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الاهواء والبدع (٦٦٧/٢) وما بعدها

(٤) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري ، مولى أنس بن مالك ، الإمام القدوة العابد ، كان من أعلم أهل البصرة بالقضاء ، توفي سنة ١١٠هـ ، ينظر: السير (٦٠٦/٤-٦٢٣) ، تهذيب التهذيب (٢١٤/٩-٢١٧).

(٥) هو أبو الحسن علي بن حرب بن محمد بن علي بن الغضوبة ، الإمام المحدث الثقة الأديب ، توفي =

وحجتهم في ذلك : أن أصحاب الأهواء غير مأمونين على حديث رسول الله ﷺ ، فالهوى يحملهم على الكذب ووضع الحديث .

٢ـ القول الثاني : التفريق بين الداعية من أهل البدع وغير الداعية ، فتقبل رواية غير الداعية وترد رواية الداعية ، وهذا القول هو قول جمهور العلماء ، كما صرح بذلك ابن الصلاح[١] والنووي[٢] .

وحجتهم في ذلك : ما اشتهر عن السلف من الصحابة والتابعين من قبول أخبار الخوارج وشهادتهم، ولما يترتب على رد روايتهم من ضياع الكثير من الآثار التي ينفردون بروايتها .

٣ـ القول الثالث : قبول رواية غير الداعية إلا إذا روى مايقوي بدعته ، وهذا القول نقله الحافظ ابن حجر عن الجوزجاني[٣]، ومال إلى ترجيحه، فقد قال -بعد نقله هذا القول عن الجوزجاني- (وما قال متجه ، لأن العلة التي لها رد حديث الداعية واردة فيما إذا كان ظاهر المروي يوافق مذهب المبتدع ولو لم يكن داعية)[٤].

وهذا القول أقرب الأقوال إلى قول ابن العربي رحمه الله ، إلا أن ابن العربي لم يفرق في كلامه بين الداعية إلى بدعته وغير الداعية، بخلاف قول الجوزجاني ويعلل

=

سنة٢٦٥هـ، ينظر: السير (١٢/٢٥١-٢٥٣) ، شذرات الذهب (٢/١٥٠) .

(١) نظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص(٥٤-٥٥) ط/دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ .

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ص(١/٢٢٥) تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف . ط/مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني ، أحد الحفاظ ، سنة ٢٥٩هـ ، ينظر: شذرات الذهب (٢/١٣٩) ، الأعلام (١/٨١) .

(٤) نزهة النظر ص (٥١) .

ابن العربي رأيه هذا : بان المبتدع متهم في رواية ما يعضد مذهبهم، دون فرق بين الداعية وغيره.

وما ذهب إليه ابن العربي ـ رحمه الله ـ من التفصيل في رواية المبتدع بقبول ما لا يحتج به على بدعته ، ورد ما يحتج به على بدعته ، من غير تفريق بين الداعية وغير الداعية، مخالف لما عليه جماهير العلماء من التفريق بين الداعية من أهل البدع وغير الداعية، فتقبل رواية غير الداعية مطلقاً ، وترد رواية الداعية مطلقاً .

ولعل أرجح هذه الأقوال ، القول الثاني وهو ما قال به جماهير العلماء والمحققي، قال الخطيب البغدادي في سياق حجة ما ذهب إليه الجمهور (والذي يعتمد عليه تجويز الاحتجاج باختيارهم : ما اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج ... ثم استمر عمل التابعين والخالفين بعدهم على ذلك، لما رأوا من تحريهم الصدق وتعظيمهم الكذب ... ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آراءهم، ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم ...)[١].

وقد روي هذا القول عن الإمام مالك وأحمد ورجحه شيخ الإسلام ابن تيميه[٢] وابن الصلاح والنووى وغيرهم[٣] .

ثانياً:موقفه من تكفير المبتدعة :

يذهب ابن العربي رحمه الله إلى التفصيل في تكفير المبتدعة بحسب بدعتهم ، فمن كانت بدعته تؤدي إلى إنكار أصل من أصول الإيمان فأنه يكفر عنده بذلك كالقدرية ونحوهم.

---

(١) الكفاية في علم الراوية للخطيب البغدادي ص (١٥٣) ، تحقيق د.أحمد عمر ، ط/دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧٥/٢٤) .

(٣) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص(٥٥) وتدريب الراوي (٢٢٥/١) .

قال رحمه الله في معرض ذكر الخلاف في الكفار المتأولين :

(والذي نختاره كفر من أنكر أصول الإيمان ، فمن أعظمها موقفاً وأبينها منصفاً وأوقعها موقعاً القول بالقدر، فمن أنكره فقد كفر)[١] .

وقد نقل ابن العربي اختلاف علماء المالكية في تكفير القدرية ، وجزم بأن الصريح من أقوال مالك تكفيرهم[٢].

أما من كانت بدعته لا تؤدي إلى إنكار شيء من أصول الإيمان ، فإن ابن العربي يستقرئ فيهم الأدلة والنصوص، ويحكم بحسب ما تقتضيه من كفر أو فسق .

قال رحمه الله في معرض ذكره لخلاف العلماء في تكفير المبتدعة

(والصحيح عندي ترتيبهم ، فأما القدرية فلاشك في كفرهم ، وأما من عداهم فنستقرئ فيهم الأدلة ، ونحكم بما تقتضيه...)[٣].

وما قرره ابن العربي من التفصيل في حكم تكفير المبتدعة وتحكيم الأدلة فيهم والحكم بما تقتضيه هو رأي أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

(أنه قد تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ، ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ولا يخرجونه من الإسلام بعمل، إذا كان فعلاً منهياً عنه، مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر ، ما لم يتضمن ترك الإيمان ، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به ، مثل الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه، ورسله ، والبعث بعد الموت ، فأنه يكفر به)[٤] .

---

(١) أحكام القرآن (٢/٣٣٦)

(٢) المرجع السابق (٢/٣٣٦)

(٣) أحكام القرآن (١/٣٨٤)

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٢٠/٩٠)

وقال ابن القيم رحمه الله : (وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده ، فالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي وسبه ، يضاد الإيمان ، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً ولايمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله ﷺ عليه)[١].

وقد نص السلف رحمهم الله على تكفير القدرية والجهمية ونحوهم، فعن ابن عباس ﷺ أنه قال :(كلام القدرية كفر، وكلام الحرورية ضلال ، وكلام الشيعة هلكه)[٢].

ونقل عن الإمام أحمد أنه قال : (القدري الذي يقول إن الله لم يعلم الشيء حتى يكون هذا كافر)[٣].

وقد ورد عن بعض السلف أنهم أطلقوا الكفر على الجهمية فعن يزيد بن هارون[٤] أنه قال :(الجهمية كفار)[٥] ، وقال أبو زرعه[٦] وأبو حاتم[٧] الرازيين (إن الجهمية كفار، والرافضة رفضوا الإسلام)[٨] .

ثالثاً: موقفه من استتابة أهل البدع وقتلهم :

يذهب ابن العربي رحمه الله إلى وجوب قتل المبتدع الكافر ، وذلك بعد

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص (٣٦) ، ط/دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٧١٣/٤) سياق ماروي أن القدرية مجوس .

(٣) السنة للخلال (٥٢٩/٣) تحقيق د.عطية الزهراني ، ط/دار الراية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٤) هو أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان السلمي الواسطي ، الإمام الحافظ المحدث ، توفي سنة٢٠٦هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (٣٦٦/١١) ، شذرات الذهب (١٦/٢) .

(٥) الرد على الجهمية للدارمي ص(١٧٨) تحقيق بدر البدر ، ط/الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٦) هو أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم بن فروخ الرازي، أحد الأئمة الحفاظ المشهورين ، توفي سنة٢٦٤هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (٣٠/٧-٣٤) ، شذرات الذهب (١٤٨/٢) .

(٧) هو أبو حاتم محمد بن إدريس الحنبلي الرازي الحافظ الكبير ، أحد أئمة الحديث ، توفي سنة٢٧٧هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (٣١/٩-٣٤) ، شذرات الذهب (١٧١/٢) .

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢٠٠/١) .

استتابة الإمام له، فإن تاب وترك ما هو عليه من البدعة، وإلا وجب قتله كفراً .

قال رحمه الله في معرض كلامه عن القدرية :(وإن قدر عليهم الإمام استتابهم فإن تابوا وإلا قتلهم كفراً)[١].

وقال رحمه الله :(فإن الكافر من أهل الأهواء يجب قتله، فإن لم تستطع قتله وجب عليك هجرته)[٢].

وما ذهب إليه ابن العربي من وجوب قتل المبتدع الكافر بعد استتابته ، هو رأي أهل السنة والجماعة ، وهو الذي عليه عمل المسلمين ، علمائهم وأمرائهم .

فعن أبي سهيل[٣] قال :(كنت مع عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال لي ماترى في هؤلاء القدرية ؟ قال : قلت أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا ذلك وإلا عرضتهم على السيف ، فقال عمر بن عبد العزيز : ذلك هو الرأي ، قلت لمالك فمارأيك أنت؟ قال : هو رأيي)[٤].

وقال عبد الرحمن بن مهدي [٥] رحمه الله : (من زعم أن الله تعالى لم يكلم موسى صلوات الله عليه فأنه يستتاب فإن تاب، وإلا ضربت عنقه)[٦].

وقال الإمام أحمد في القدري : (إذا جحد العلم ، وقال إن الله ﷻ لايعلم

---

(١) عارضة الأحوذي (٣٣٧/٢) .

(٢) عارضة الأحوذي (٣٨٤/١) .

(٣) هو سهيل نافع بن مالك الاصبحي التيمي عم مالك بن أنس كان يؤخذ عنه القراءة بالمدينة ، توفي حوالي سنة١٣٠هـ ، ينظر: تهذيب التهذيب (٤٠٩/١٠-٤١٠) ، السير (٢٨٣/٥) .

(٤) أخرجه ابن بطه في الإبانه ص (٢٣٣/٢) ، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٧٨٥/٤) سياق ماروي من المأثور في كفر القدرية .

(٥) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم البصري ، الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ، ولد سنة١٣٥هـ وتوفي بالبصرة سنة١٩٨هـ ، تذكرة الحفاظ (٣٢٩/١-٣٣٢) ، شذرات الذهب (٣٥٥) .

(٦) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٤٩/٢) سياق من أفتى فيمن قال القرآن مخلوق .

الشيء حتى يكون استتيب فإن تاب وإلا قتل)[١] ... وقد ورد عن بعض السلف ما يدل على قتل المبتدع الكافر من غير استتابة ، وحكى ابن المنذر[٢] خلاف العلماء في ذلك ، فقال (واختلفوا في استتابة أهل البدع كالقدرية والإباضية، فكان مالك يقول: أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا ، وفي قول الشافعي لايستتابون)[٣] .

وقد استدل أهل السنة على ما ذهبوا إليه من وجوب قتل المبتدع الكافر بعد استتابته بعدة أدلة منها :

١ - قوله ﷺ ، في حديث ابن عباس رضي الله عنه:«من بدل دينه فاقتلوه»[٤] .

٢ - ما ورد في الصحيحين ، أن النبي ﷺ قال :«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٥].

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : (وأما قوله ﷺ «والتارك لدينه المفارق للجماعة» فهو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام قال العلماء : ويتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما، وكذا الخوارج والله اعلم)[٦] فتبين مما تقدم موافقة ابن العربي رحمه الله لقول أهل السنة والجماعة ، في وجوب قتل المبتدع الكافر بعد استتابته وإصراره على كفره[٧] والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه الخلال في السنة (٥٣٢/١)

(٢) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ؛ الإمام الحافظ الفقهية ، صاحب التصانيف ، ولد سنة٢٤٢هـ وتوفي سنة٣١٨هـ ، ينظر: السير(٤٩٠/١٤-٤٩٢) ، الأعلام (٢٩٤/٥) .

(٣) الاشراف على مذاهب أهل العلم لابن المنذر (٢٥٧/٢) ، تحقيق محمد نجيب ، ط/دار احياء التراث .

(٤) أخرجه البخاري ، الفتح (١٤٩/٦ح٣٠١٧) ، كتاب الجهاد ، باب لايعذب بعذاب الله .

(٥) أخرجه البخاري ، الفتح (٢١٠/١٢ح٦٨٨٢) ، كتاب الديات ، باب من طلب دم أمرى بغير حق، ومسلم (١٣٠٢/٣ح١٦٧٦) كتاب القسامة والمحاربين ، باب مايباح به دم المسلم .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٥/١١) .

(٧) انظر في تفصيل هذ المسألة: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الاهواء والبدع (٦١٣/٢) .

الباب الثاني

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : توحيد الألوهية .

الفصل الأول

توحيد الربوبية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

التمهيد فيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية لغة .

المطلب الثاني : تعريف توحيد الربوبية اصطلاحاً .

المبحث الأول: طرق ابن العربي في إثبات وجود الله تعالى

١ـ الطريق الأول : دليل الفطرة .

٢ـ الطريق الثاني : النظر في أفعال الله .

٣ـ الطريق الثالث : دليل الحدوث .

المبحث الثاني : دليل ابن العربي على وحدانية الله تعالى

الفصل الأول

توحيد الربوبية

تمهيد :

ويشتمل هذا التمهيد على مطلبين :

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية لغة :

الربوبية مصدر من رب يرب رباً .

والرب مصدر مستعار للفاعل ، وهو بمعنى مربي ، ولا يطلق (الرب) غير مضاف إلا على الله ﷻ[١]، ومنه قوله تعالى ﴿**بلدة طيبة ورب غفور**﴾[٢].

وتطلق كلمة (الرب) في اللغة على عدة معان :

المعنى الأول : المالك والصاحب:

قال ابن قتيبة[٣] : (الرب : المالك، يقال: هذا رب الدار، ورب الضيعة، ورب الغلام ، أي: مالكه)[٤].

وقال الأزهري : (كل من ملك شيئا هو ربه ، يقال رب الدابة ورب الدار)[٥].

---

[١] انظر: لسان العرب (٣٩٩/١) والمفردات للراغب الاصبهاني ص (٣٣٦-٣٣٧) .

[٢] سورة سبأ آية (١٥) .

[٣] هو أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الإمام الفاضل ، صاحب التصانيف توفي سنة ٢٧٠هـ ، ينظر: السير (٢٩٦/١٣-٣٠٢) وشذرات الذهب (١٦٩/٢-١٧٠) .

[٤] انظر: تفسير غريب القرآن ص (٩) .

[٥] تهذيب اللغة (١٧٦/١٥) .

المعنى الثاني : السيد المطاع .

قال الجوهري (ربيت القوم : سُستهم، أي: كنت فوقهم)[١].

وقال ابن الأنباري[٢] (ويكون الرب : السيد المطاع ، وقال الله تعالى : ﴿فيسقى ربه خمراً﴾[٣]...)[٤].

ومنه قوله ﷺ في أشراط «الساعة أن تلد الأمة ربها»[٥] ، أي: سيدها .

المعنى الثالث : المصلح للشيء.

قال ابن فارس (الرب : المصلح للشيء ، يقال: رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها)[٦].

وقال الراغب الأصبهاني :(الرب في الأصل التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام)[٧].

وهناك معان أخرى لكلمة (الرب) غير ما ذكر، إلا أنها ترجع في الغالب إلى أحد هذه المعاني الثلاثة .

---

(١) الصحاح (١٣٠/١) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ، توفي سنة ٣٢٨هـ ، ينظر: البداية والنهاية (٢٠٨/١١) ، والأعلام (٣٣٤/٦).

(٣) سورة يوسف (٤١) .

(٤) تهذيب اللغة (١٧٧/١٥) .

(٥) رواه البخاري ، الفتح (١١٤/١ح٥٠) كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ . ومسلم (٤٨/١ح١٠) كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان .

(٦) معجم مقاييس اللغة (٣٨١/٢) .

(٧) المفردات ص (٣٣٦) .

وابن العربي – رحمه الله – قد أشار إلى هذه المعاني الثلاثة وأضاف إليها **معناً رابعاً**، وهو (المعبود)، فقال في معرض كلامه على اسم (الرب).

(الفصل الثاني : في شرحه لغة ، قد ذكر علماؤنا فيه أربعة أقوال :

الأول : الرب المالك، والعرب تسمى الملوك أرباباً ، ومنه قول يوسف الصديق ﷺ ﴿**اذكرني عند ربك**﴾[١]، ﴿**ارجع إلى ربك**﴾[٢]، ﴿**إنه ربي أحسن مثواي**﴾[٣].

الثاني : الرب السيد : كما قال الأعشى:

وأهلكن يوماً رب كندة وابنهُ : ورب معد بين خبتٍ وعرعرِ[٤] .

ولذلك فسر ابن عباس – ﷺ – رب العالمين ، بسيد العالمين، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري .

الثالث : الرب المعبود : يدل عليه حديث عذاب القبر ، حيث يقال له «من ربك»[٥]، المراد من معبودك .

الرابع : المصلح للشيء القائم بتدبيره، تقول العرب: رب البيت، يعني: القائم بأموره، والمصلح له ، ويسمى العلماء ربانيون ، لأنهم يربون الناس بصغار العلم قبل كباره)[٦].

هذا ما أورده ابن العربي لمعنى الرب حسب معناه اللغوي، فكان موافقاً لما ذكره أهل اللغة.

---

(١) سورة يوسف آية (٤٢) .

(٢) سورة يوسف آية (٥٠) .

(٣) سورة يوسف آية (٢٣) .

(٤) هكذا نسب إبن العربي هذا البيت للأعشى . ولم اجده في ديوانه ، والصواب أنه من شعر لبيد بن أبي ربيعة، كما في ديوانه ص(٧١) ط/ دار صادر ، بيروت ١٩٦٦م ١٣٨٦هـ .

(٥) أخرجه أبو داود (٢/٥٩٠) باب المسألة في القبر وعذاب القبر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٤٤) .

(٦) الأمد الاقصى ، لإبن العربي ورقة (٢٧٣) مخطوط ، الخزانه العامة بالرباط .

المطلب الثاني

تعريف توحيد الربوبية اصطلاحاً

توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله ﷻ رب كل شئ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت ، النافع الضار ، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي بيده الأمر كله، وبيده الخير كله ، القادر على كل شيء ، ليس له في ذلك شريك[١].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(فهو رب كل شئ وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شئ عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره)[٢].

والرب ﷻ هو : المربي لجميع العالمين بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة ، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمن الله .

وربوبية الله ﷻ لخلقه نوعان :

١ــ ربوبية عامة : وتتضمن خلقه ﷻ لهم ورزقهم ، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، وهي ثابتة لعموم الخلق مؤمنهم وكافرهم .

٢ـ ربوبية خاصة : وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر، وهي خاصة بأوليائه وخاصته من خلقه ، يربيهم بالإيمان ويوفقهم له . ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه[٣].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص (٣٣) ط/ المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة .

(٢) مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٤٣/١) ط/ دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن السعدي (٢٨/١) ط/ دار المدني ، جدة ١٤٠٨هـ ، وانظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٢٧٧/١) تأليف د / إبراهيم البريكان ، مطبوع على آلة كاتبة .

وتوحيد الربوبية يتعلق به خصائص كثيرة من الخلق والتدبير، كما قال تعالى ﴿**الله خالق كل شئ**﴾[١]، وقوله ﴿**يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾[٢].

والضر والنفع كما قال تعالى ﴿**قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً**﴾[٣].

والإحياء والإماتة ، كما في قوله تعالى ﴿**لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين**﴾[٤] إلى غير ذلك من الخصائص الكثيرة .

وهذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون ، كما قال الله تعالى عنهم ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون**﴾[٥].

وإقرار الناس بهذا النوع من التوحيد متقدم على إقرارهم بتوحيد الألوهية، وذلك لأن القلب أول ما يتعلق بتوحيد الربوبية ، ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم إلى الإله المعبود، وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة، كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته)[٧].

---

[١] سورة الزمر آية (٦٢) .
[٢] سورة الرعد آية (٢) .
[٣] سورة الفتح آية (١١) .
[٤] سورة الدخان آية (٨) .
[٥] سورة يونس آية (٣١) .
[٦] انظر: مدراج السالكين (٤١٣/١) .
[٧] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/١٤) .

المبحث الأول

طرق ابن العربي في إثبات وجود الله

تعرض ابن العربي - رحمه الله - لقضية وجود الله ﷻ ، وناقشها في عدة مواضع من كتبه ، ومن خلال تأمل كلامه على ذلك نجد أنه قد اعتمد في استدلاله على وجود الله ﷻ على ثلاثة طرق، وهي كما يلي :

الطريق الأول : دليل الفطرة :

يرى ابن العربي - رحمه الله - أن معرفة الله ﷻ من الأمور الموجودة في النفوس التي فطر الله الناس عليها ، لا تحتاج في ذلك إلى دليل ولابرهان، وما ورد من الأدلة على ذلك من الحث على النظر والتدبر في الآيات ، إنما هو لزيادة الإيمان وتثبيت التوحيد في القلوب ، وفي ذلك يقول - رحمه الله- : عند تفسير قوله تعالى **﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾**[1] :

المسألة الأولى: أمر الله تعالى بالنظر في آياته ، والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القران ، وأراد بذلك زيادة في اليقين وقوة في الإيمان ، وتثبيتاً للقلوب على التوحيد)[2].

وابن العربي - رحمه الله - يعتبر دلالة الفطرة على وجود الله ﷻ من الأمور الواضحة المحسوسة ، التي تنبع من داخل النفس ، لا تحتاج إلى دليل ولابرهان، وذلك لما جبل الله الخلق عليه من الإيمان به وإلاقرار بوجوده .

---

(١) سورة الاعراف آية (١٨٥) .

(٢) أحكام القرآن (٢/٣٥٠) .

ولذلك نجده يقسّم منهج الاستدلال على وجود الله ، وعلى معرفته إلى قسمين :

معرفة استدلالية ، ومعرفة لا استدلالية ، ويذكر أن هذين الطريقتين تضمنتهما الآية الكريمة، وهي قوله تعالى :﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾[١] فالجزء الأول من الآية يشير إلى طريق استدلالي، ابتداء من آيات الآفاق الكونية ، وهو منهج المعرفة الاستدلالية. ويشير الجزء الثاني منها إلى الطريق الثاني، وهو شهادة الله على كل شئ ، إذ كيف يطلب الدليل على من هو دليل كل شيء ، فالطريق الأول صاعد ، والطريق الثاني نازل ، وبدايته الله نفسه فتصبح الدلالة، دلالة خالق على مخلوق ، وصانع على مصنوع ، وفعّال على فعل[٢].

فابن العربي – رحمه الله – يذهب إلى أن دلالة الفطرة على وجود الله ﷻ أمر ضروري يحس به كل إنسان بفطرته السليمة ، ولذلك عبر عنه بأن ذلك معرفة لا استدلالية، أي: أنه أمر فطر الله الناس عليه لا يحتاج إلى استدلال ، كما في قوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾[٣].

فكل مخلوق في هذا الكون يحس في نفسه بما فطره الله عليه، بأن لهذا الكون خالقاً ومدبراً يتصرف فيه بحكمته وإرادته ، ولا ينكر ذلك الإحساس إلا من تمرد على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

---

[١] سورة فصلت آية (٥٣) .

[٢] انظر: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية د / عمار الطالبي (١/٢٤٠) ، نقلاً عن المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ، مخطوط بالجزائر ، رقم (٤٢٥) ورقة (١٠١) .

[٣] سورة الروم آية (٣٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله :

(الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغيير الفطرة وأحوال تعرض لها)[١].

فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجود الرب ﷻ ، والإيمان به تعالى مركوز في نفوس جميع البشر ، وأهل العقول الصحيحة والفطر السليمة يستدلون با لله على أفعاله وصنعته .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه ا لله :

(دلالة الخالق على المخلوق ، والفعّال على الفعل ، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية والفطر الصحيحة أظهر من العكس .

فالعارفون با لله أرباب البصائر، يستدلون با لله على أفعاله وصنعه ، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه ، ولاريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما .

فأما الاستدلال بالصنعة فكثير ، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم ﴿**أفي ا لله شك**﴾[٢]، أي أيشك في ا لله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم ﴿**فاطر السموات**﴾[٣]، وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - قدس ا لله روحه - يقول :

كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٧٣) .

(٢) سورة إبراهيم آية (١٠) .

(٣) سورة إبراهيم آية (١٠) .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[١].

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما)[٢].

ولما كان الإقرار بالربوبية من الأمور المركوزة في الفطر ، كان عامة الأمة مقرين بوجود الله وربوبيته ﷻ، وان وقع بعضهم في الشرك في العبادة، وذلك بعبادة مادونه من الأصنام ، يدل على ذلك قوله تعالى عن المشركين ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾[٣] وقوله سبحانه ﴿**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون**﴾[٤].

الطريق الثاني : النظر في أفعال الله :

يذهب ابن العربي - رحمه الله - إلى أن طريق معرفة الله ﷻ تكون بالنظر في أفعاله التي تدل على وجوده وعلى عظمته وجلاله.

يقول ابن العربي - رحمه الله - (وانظروا إلى النبي كيف أنبأ عنه، بأن طريق معرفته أفعاله ، فأما هو سبحانه فلا يستطيعه أحد ، وقد قال النبي ﷺ:« أنت كما أثنيت على نفسك»[٥] معناه : لا أقدر على صفتك إلا بما علمتني من صفة نفسك ، فإن أردت أن تنكره لم تقدر، وإن أردت أن تمثله لم تستطع ، فإن أردت دركه كما

---

(١) لم أستطع معرفة قائل هذا البيت ، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن قائله مجهول ، انظر: فهارس البداية والنهاية، لمحمد زغلول ص(٥١٠) ط/دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

(٢) مدارج السالكين (٧١/١) .

(٣) سورة الزخرف آية (١٠) .

(٤) سورة لقمان آية (٢٥) .

(٥) أخرجه أبو داود (٣٦٠/١) باب القنوت في الوتر ، والنسائي (٢٤٩/٣ح١٧٤٧) كتاب قيام الليل، وصححه الألباني في الإرواء (١٧٥/٢) ط/ المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

وصف نفسه ودل عليه فعله أمكنك ... وإن أردت الصراط المستقيم المبلغك إليه كما أمر، من الاستدلال بأفعاله عليه فأقرب شيء إليك من أفعاله أنت)[١].

فقد قرر ابن العربي - رحمه الله - أن الاستدلال على وجود الله ﷻ يحصل بالنظر والتأمل في أفعال الله ﷻ، وذلك بما يشاهده الإنسان في هذا الكون من المخلوقات العظيمة، من سموات وأرض وليل ونهار ورياح وأمطار، وهذا النظام المحكم المترابط، فكل ذلك يشهد بوجود خالق ومدبر ، ذلك هو الله ﷻ القائل في محكم التنزيل ﴿**وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[٢].

يقول ابن العربي - رحمه الله - (وفي كل شئ له آية ، في السموات والأرض وما بينهما وفي النفس)[٣] .

وهذا الطريق هو ما يسميه ابن العربي - رحمه الله - بالمعرفة الاستدلالية، أي: أنك تستدل بأفعال الله وصفته على وجوده وعظمته .

وقد يطلق عليه الطريق الصاعد كما تقدم، لأن الإنسان يصعد في استدلاله بالأفعال حتى يستدل بها على الفاعل .

يقول ابن العربي (فإنك بأي شيء بدأت فعند الباري تقف، ابتداء خلق الأشياء من عنده وانتهاؤها إليه)[٤].

وقد ورد في كتاب الله ﷻ آيات كثيرة ترشد إلى النظر والاعتبار، فمنها ما

---

(١) العواصم ص(١١٨) .

(٢) سورة الذاريات آية (٢٠) .

(٣) قانون التأويل ص (٤٩٧) .

(٤) المرجع السابق (٤٥٩) .

يتعلق بالتفكر في هذا الكون وما فيه من المخلوقات العظيمة، كقوله تعالى ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ۞ وإلى السماء كيف رفعت ۞ وإلى الجبال كيف نصبت ۞ وإلى الأرض كيف سطحت**﴾[١]، وهذا ما يسمى بدلالة الآفاق، ومنها ما يتعلق بالإنسان وخلقه وتكوينه، وهو ما يسمى بدلالة الأنفس، كقوله تعالى ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[٢]، وقد جمع بينهما في قوله تعالى ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[٣]، ولعل من المناسب أن نتكلم عن كل منهما على حدة، وذلك كما يلي :

١ - دلالة الآفاق :

يقول ابن العربي - رحمه الله - عند قوله تعالى ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق**﴾ (وقوله في الآفاق : من تغير الأحوال ، وتبديل الدول ، واختلاف الليل والنهار ، والغيم والصحو ، وظهور الإسلام ، وخمول الكفر ، إلى غير ذلك من بحار التأويل)[٤].

فقد نبه ابن العربي -رحمه الله - على بعض ما يحصل في هذا الكون الفسيح، مما يدل من تأمل فيه على وجود الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون .

والآيات في هذا الكون أكثر من أن تحصى، كلها تدل على وجود الله سبحانه، فأينما اتجه الإنسان بفكره وقلّب نظره في هذا الكون فإنه يشاهد ما يدله على وجود الله ﷻ .

---

[١] سورة الغاشية الآيات من (١٧-٢٠) .

[٢] سورة الذاريات آية (٢١) .

[٣] سورة فصلت آية (٥٣) .

[٤] قانون التأويل ص (٤٩٧) .

قال ا لله تعالى ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل ا لله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾(١).

فهذه آيات عظيمة ودلالات باهرة أرشد ا لله ﷻ إلى النظر فيها، والتأمل في عظيم خلقها ودقة أحكامها ، تدل على أنها لم تُوجد نفسها و لم تتصرف في ذاتها، وإنما لها خالق يصرفها بحكمته البالغة وقدرته الباهرة .

ومن هذه الآيات الدالة على وجود ا لله ﷻ ، مانبه ا لله عليه بقوله سبحانه ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾(٢).

يقول ابن العربي - رحمه ا لله - عند هذه الآية :

(فنبه بهذه الآية في الأحرف اليسيرة على المعاني العظيمة، بالأدلة المعدودة، فإنك تنظر إلى الأرض ، ما بين سهل وحزن ، وحجر وتراب لدن أنواع مختلفة ، وأزواج مفترقة ، زرع ونبات ، وأشجار أشتات ، أصل كل شيء منها واحد ، حتى تنظر إلى الحبة التي تنبت عنها ذات أجزاء متساوية، فإذا تزايدت للنبات ، تزايلت عن تلك الصفات ، وانقسمت إلى عرق يعلوه قشر ، يتراقى إلى غصن ينتهي إلى عذق ، ينقسم إلى ورق وزهر ، وثمر الأرض واحدة ، والماء واحد ، والحبة واحدة، وكل ماينشأ عنها لايماثلها ولايتماثل في نفسه ، بل لكل واحد هيئة مخصوصة ، ولون مخصوص ، وطعم مخصوص ، والماء من شأنه الرسوبه يصعد إلى الجميع ، ويجري فيه

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٤) .

(٢) سورة الرعد آية (٤) .

حتى يسيل على جميع جوانبه، ونواحيه ، فيا أيها الحاضر والناظر ، أين ألفاظك الرائقة ، وحكمتك الفائقة ، ابن لي هذه الاختلافات كيف تتعدد والطبع واحد، دون شرط ، الفاعل واحد ، المتصف بالصنع حقيقة)[١].

فقد أشار ابن العربي - رحمه الله - إلى هذا الخلق العجيب الذي يراه الإنسان ويحس به على هذه الأرض، مما يدله ويرشده إلى أن هناك خالقاً مدبراً، قد أتقن هذا الخلق وأحكم صنعته ، وهو الله ﷻ القائل ﴿**صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾[٢].

٢. دلالة الأنفس :

لقد اهتم ابن العربي - رحمه الله - بدلالة الأنفس ، واعتبر معرفة النفس من أول الأدلة وآكدها على وجود الله ﷻ ، إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه وكيفية خلقها وتكوينها .

يقول ابن العربي - رحمه الله - :

(اعلموا أنالكم الله آمالكم في المعلومات ، أن معرفة العبد نفسه من أولى ما عليه وأوكده إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه ، قال ﷻ :﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[٣]، وقال ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين**﴾[٤])[٥].

بل إن ابن العربي - رحمه الله - ذهب إلى أن الإنسان إذا غفل عن شيء من

---

(١) العواصم من القواصم (٨٤) .

(٢) سورة النمل آية (٨٨) .

(٣) سورة الذاريات ، آية (٢١) .

(٤) سورة المؤمنون ، آية (١٢) .

(٥) قانون التأويل ص (٤٥٧) .

نفسه فلم يتأمل فيه، ترتب على ذلك غفلة عن الرب ﷻ ، لأن الله جعل كل شيء في هذه النفس دليل عليه .

يقول ابن العربي – رحمه الله –

(فإنك لاتغفل عن شئ من نفسك إلا وقد تركبت عليه غفلة بربك، لأن كل شيء منك دليل عليه ، وطريق مهيع[1] إليه ، والبارئ سبحانه يبصرك نفسه بنفسك، قال تعالى ﴿**وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[2]) [3].

فابن العربي – رحمه الله – يرى أن أقرب الطرق إلى معرفة الله ﷻ هو أن يبصر الإنسان نفسه ويتأمل في خلقه ، وهذا الطريق عند ابن العربي هو الصراط المستقيم المبلغ إلى الله كما أمر ، وفي ذلك يقول رحمه الله :

(وإذا أردت الصراط المستقيم المبلغك إليه كما أمر ، من الاستدلال بأفعاله عليه، فأقرب شيء إليك من أفعاله أنت، فمنها فارق إليه ، واعرج في درج المعارف تقف بك عنده بين يديه، فتعلم إذا سلكت هذه السبيل الميثاء[4] ، أنه قد جعل الروح فيك آية عليه، فإنك إذا أردت إنكارها وجوداً لم تقدر عليه ، وإن أردت له مثالا لم يمكنك ، وان أقررت بها لدلالة آثارها عليها أصبت)[5].

وقد لاحظ ابن العربي – رحمه الله – ما في هذه النفس من الأمور العظيمة، وما يمر بها من أحوال عجيبة تدل على خالقها وتشهد بعظمة باريها ﷻ، ولذلك

---

(١) الهيعة : الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو ، وقد هاع يهيع هيوعاً إذا جبُن ، النهاية في غريب الحديث (٥/٢٨٨) وانظر: القاموس المحيط ص(١٠٠٣) .

(٢) سورة الذاريات آية (٢٠-٢١) .

(٣) قانون التأويل ص (٤٩٧) .

(٤) الميثاء: هي الأرض السهلة، القاموس ص(٢٢٦) .

(٥) العواصم من القواصم ص (١١٨-١١٩) .

اهتم بها وجعلها هي أول ما يستدل به على وجود الخالق سبحانه .

فهذه النفس مع صغر حجمها فيها من الدلائل على وجود الخالق ﷻ، ما يعجز الإنسان عن تعدادها وحصرها، فمن ذلك :

١ـ ما يعرض للإنسان من أطوار ، وما يمر به من المراحل في هذا الخلق، فبدايته نطفة ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة ، ثم يكون لحماً وعظاماً، وهكذا ينتقل من مرحلة إلى مرحلة حتى يشتد ويبلغ منتهى القوة، ثم يدب فيه الضعف إلى أن ينتهي إلى الهرم ثم إلى الموت . وقد نبه الله على ذلك بقوله تعالى ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[١].

يقول ابن العربي – رحمه الله – :

(وإذا رأى العبد ما هو عليه من الخروج من حالة عدم إلى حالة وجود، والانتقال من صفة إلى صفة . والاختصاص بحالة دون حالة بالمزايا الشريفة ، من العلم والنطق والتدبير والحياة والقدرة علم أنه موجود لموجد قادر، وعليه دل بقوله: ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾[٢])[٣].

٢ـ خلق الإنسان في أحسن تقويم خلقاً سوياً متزناً يتناسب مع حياته وظروفه، وما يحتاجه من مأكل أو مشرب، وقد نبه الله على ذلك بقوله تعالى﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾[٤].

---

[١] سورة المؤمنون آية (١٤) .

[٢] سورة الملك آية (١) .

[٣] قانون التأويل ص (٤٥٩) .

[٤] سورة التين آية (٤) .

فإذا تمعن الإنسان في خلقه رآه خلقاً متكاملاً محكماً . فله يدان يبطش بهما. ورجلان يمشي عليهما ، وعينان ينظر بهما ، وأذنان يسمع بهما، إلى غير ذلك مما أودعه الله في هذا المخلوق مما يدل على عظمته سبحانه، ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[1] .

٣. اختلاف ألوان الناس وألسنتهم :

من الدلائل على وجود الله ﷻ في الأنفس ما هو مشاهد بين الناس من الاختلاف في الألوان والألسنة والطباع ، مع أن أباهم واحد وهو آدم عليه السلام . وأمهم واحدة وهي حواء ، فتجد هذا أبيض وهذا أسود ، وهذا عربي وهذا أعجمي، وهذا طويل وهذا قصير، وقد نبه الله على ذلك بقوله ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾[2].

ولاشك أن الدلائل على وجود الله ﷻ في الأنفس كثيرة جداً، وهي واضحة لمن تتبع نفسه وأمعن النظر فيها ، ولذلك أرشد الله إلى النظر فيها بقوله ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله –

(الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة ، وهي طريقة عقلية، فإن كون نفس الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقوله، سواء

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٤) .

(٢) سوؤة مريم آية (٢٢) .

(٣) سورة الذاريات آية (٢١) .

أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودل عليه وبينه واحتج به، فهو دليل شرعي، لأن الشارع استدل به وأمر بالاستدلال به ، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته)[1].

وينبه ابن العربي - رحمه الله - إلى أمر آخر يدركه الإنسان في نفسه وهو ينظر إليها ويتأمل في خلقها، وهو أن يعلم أن خالقها وباريها ، ليس له مثيل ولاشبيه، فلا يماثل هذه النفس مهما بلغت من الصفات ولا يماثل غيرها لأنه ﷻ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2].

فيقول - رحمه الله - :

(من أراد أن يعلم الله فسبيل ذلك لائحة ، وهو أن تتحقق أنه ليس مثلك ، فكل ما علمت نفسك عليها وقدرتها ، فليس هو عليها، فإن قيل: هذا نفي محض، قلنا: هو نفي لمثلك ، وليس نفياً لصانعك وموجدك)[3].

ومما تقدم يتضح صحة استدلال ابن العربي - رحمه الله - على وجود الله ﷻ عن طريق أفعاله من النظر في الآفاق وفي الأنفس ، وأن هذا الطريق طريق شرعي عقلي، كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله، فهو موافق للقرآن كما في قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[4].

ثالثاً : الاستدلال بحدوث الأجسام :

وهذا الدليل هو أحد الطرق المعتمدة عند ابن العربي في استدلاله على وجود

---

(1) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق ، محمد عوض ص (٩٢) ، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى .

(2) سورة الشورى آية (١١).

(3) العواصم من القواصم ص (١١٨) .

(4) سورة فصلت آية (٥٣) .

الخالق ﷻ .

وقد أشار ابن العربي إلى اعتماد هذا الطريق ، ونبه على أهميته في الاستدلال، وذلك في عدة مواضع من كتبه ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ :

(الاستدلال بالتغير على الحدوث، إليه يرجع كل بسيط وموجز، من الأدلة وعليه عول الخليل إبراهيم عليه السلام)[١].

فقد بيّن ابن العربي أهمية الاستدلال بالتغيرات الحاصلة في هذا العالم على حدوثه، وأرجع جميع الأدلة إلى ذلك ، وادعى أن هذه الطريقة هي طريقة الخليل إبراهيم عليه السلام .

أما تقرير طريقته في لاستدلال على الحدوث ، وما يلزم ذلك من المقدمات فقد أشار إلى ذلك بقوله :

(للعلماء في إثبات حدوث العالم طرق كثيرة منها بسيطة ومنها وجيزة ، وأبسطها ما انعقد عليه القول وذكر فيه الدليل، مرتباً على أربع مقدمات :

المقدمة الأولى : إثبات الأعراض[٢].

الثانية : إثبات حدوثها .

الثالثة : إثبات استحالة تعري الجواهر[٣] عنها ، إذ الجواهر لاتسبق الحوادث.

الرابعة : إثبات استحالة حوادث لا أول لها ، فإذا ترتبت هذه الأربعة صح المطلوب)[٤].

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، لابن العربي : مخطوط لوحة (٧).

(٢) الاعراض : جمع عرض وهو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي: محل يقوم به، كاللون المحتاج إلى جسم – التعريفات للجرجاني ص (١٥٣) .

(٣) الجواهر : جمع جوهر وهو : الموجود القائم بنفسه ، ويقابله العرض (المعجم الفلسفي (١/٤٢٤) .

(٤) انظر: قانون التأويل ص(٥٠٢-٥٠٣) نقلاً عن واضح السبيل لابن العربي (٦٥/أ) (مخطوط مكناس :٩٢٦ تفسير) .

وهذا الدليل الذي قرره ابن العربي ، بما فيه من المقدمات ، هو الدليل المعتمد عند المتكلمين من المعتزلة وجمهور الأشاعرة ، على اختلاف بينهم في كيفية تقريره ومقدماته .

يقول الباقلاني في تقرير هذا الدليل :

(جميع العالم العلوي والسفلي لا يخرج عن هذين الجنسين ، أعني: الجواهر والأعراض، وهو محدث باسرة ... والأعراض حوادث والدليل على حدوثها بطلان الحركة عند مجيء السكون ... والدليل على حدوث الأجسام ، أنها لم تسبق الحوادث و لم توجد قبلها ، وما لم يسبق الحوادث محدث كهو .... ولا بد لهذا العالم المحدث المصور من محدث مصور ...)[1].

ويقول الجرجاني[2]: (قد علمت أن العالم إما جوهر أو عرض، وقد يستدل على إثبات الصانع بكل واحد منهما، إما بإمكانه أو بحدوثه، بناء على أن علة الحاجة عندهم إما الحدوث وحده أو الإمكان مع الحدوث شرطاً أو شطراً، فهذه وجوه أربعة. الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر ، قيل: هذه طريقة الخليل صلوات الرحمن وسلامه عليه حيث قال : (لا أحب الآفلين) وهو أن العالم الجوهري أي المتحيز بالذات حادث كما مر ، وكل حادث فله محدث. كما تشهد بذلك بديهة العقل...)[3].

وهكذا نجد هؤلاء المتكلمين ومنهم ابن العربي يعتمدون هذا الطريق في الاستدلال على إثبات الله ﷻ ، مع ما فيه من الإطالة والغموض، ويدعون أن هذه الطريقة التي قرروها هي طريق الخليل إبراهيم عليه السلام .

---

(١) التمهيد، للباقلاني ، ص (٤٤) ط ، دار الفكر .

(٢) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن علي الحنفي المعروف بالجرجاني. فيلسوف من كبار علماء العربية، توفي سنة ٨١٦هـ. انظر: الأعلام (٥/٧) ومعجم المؤلفين (٧/٢١١).

(٣) شرح المواقف للجرجاني (٢/٢٠٣).

وإذا تأملنا في هذه الطريقة التي اعتمد عليها المتكلمون بما فيهم ابن العربي نجد أنها مبنية على أصلين :

١ـ حدوث العالم ، وذلك مبني على حدوث أعراضه .

٢ـ أن الحادث لابد له من محدث .

ونحن لاننكر على المتكلمين ما ذهبوا إليه من أن كل حادث لابد له من محدث، ثم استدلالهم بحدوث العالم على وجود الله ﷻ ، فان هذا أمر معلوم بالفطرة لاينكره إلا جاهل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

(فمن المعلوم بالمشاهدة والعقل وجود موجودات، ومن المعلوم أيضاً أن منها ماهو حادث بعد أن لم يكن،كما نعلم نحن أنا حادثون بعد عدمنا، وأن السحاب حادث والمطر والنبات حادث وأمثال ذلك ، ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لابد له من محدث ، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان ، ولهذا قال تعالى ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**﴾[١])[٢].

وإنما الذي يُنكر على المتكلمين ومنهم ابن العربي تلك الطريقة الغامضة التي سلكوها في تقريرهم لحدوث العالم ، وما وضعوا لها من المقدمات الطويلة، وما التزموا لأجل ذلك من اللوازم الباطلة .

ثم ما ادعوه بعد ذلك من أن تلك الطريقة هي طريق الخليل إبراهيم عليه السلام .

فأما طريقتهم في الاستدلال على حدوث العالم ، فقد بنوها على حدوث الإعراض، فقالوا: إن التغيرات الحاصلة في هذا العالم من وجود وعدم ، وتحول من حال إلى حال، سكون بعد حركة ، أو حركة بعد سكون وغير ذلك ، عبارة عن أعراض حلت بجواهر هذا العالم ، والأعراض حادثة، بعضها بالمشاهدة وبعضها

---

(١) سورة الطور آية (٣٥) .

(٢) شرح حديث النزول ، تحقيق د / محمد الخميس ، ص (١٢٣-١٢٤) بأختصار .

بالدليل ، وما حلت به الأعراض فهو حادث مثلها ، إذاً العالم حادث[١].

وهذه الطريق التي استدل بها المتكلمون ومنهم ابن العربي طريقة باطلة، وذلك للأمور التالية :

١ـ أن هذه الطريقة طريقة مبتدعة مخالفة ، لطريقة الرسل وأتباعهم، فلم ينقل عن أحد منهم أنه دعا الخلق إلى الإيمان با لله ورسوله بهذه الطريق ، وهذا مما يعترف به المتكلمون أنفسهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله :

(قد علم بالاضطرار من دين الرسول والنقل المتواتر أنه دعا الخلق إلى الإيمان با لله ورسوله، و لم يدع الناس بهذا الطريق التي قلتم أنكم أثبتم بها حدوث العالم ونفي كونه جسماً ، وآمن بالرسول من آمن به من المهاجرين والأنصار، ودخل الناس في دين ا لله أفواجاً ، و لم يَدعُ أحداً منهم بهذه الطريق وإلا ذكرها أحد منهم، ولا ذكرت في القرآن ولا أحاديث الرسول ، ولا دعا بها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين هم خير هذه الأمة وأفضلها علماً وإيماناً ، وإنما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام بعد المائة الأولى، وانقراض عصر أكابر التابعين بل وأوساطهم، فكيف يجوز أن يقال: إن تصديق الرسول موقوف عليها، وأعلم الذين صدقوه وأفضلهم لم يدعوا بها ، ولا ذكروها ولا ذكرت لهم ، ولا نقلها أحد عنهم ، ولاتكلم بها أحد في عصرهم)[٢].

٢ـ أن هذه الطريقة ، طريقة غامضة ، كثيرة المقدمات والمعارضات ، التي لايفهمها كثير من الناس ، ولذلك أنكر هذه الطريقة كثير من الأشاعرة، كأبي الحسن الأشعري وأبي حامد الغزالي وغيرهما .

---

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني (الالهيات) ص(٥) تحقيق د.أحمد المهدي ، ط/دار الحمامي .

(٢) درء التعارض (٩٧/١-٩٨) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في معرض كلامه على طريقة المتكلمين في الاستدلال بالحدوث:

(وهذه هي التي ذمها الأشعري ، وبين أنها ليست طريقة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولامن اتبعهم، وإنما سلكها من يخالفهم من الفلاسفة وأتباعهم المبتدعة... وكلامه - أي: الشعري - يقتضي أنها محرمة في الدين مبتدعة ، ولاحاجة إليها لطول مقدماتها وغموضها ، ومافيها من النزاع، وهذا هو الذي قصدناه)[١].

٣- أن هذه الطريقة باطلة ، لما يلزم لأجلها من لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل، فقد التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار ، والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ، والتزم قوم لأجلها إنكار صفات الله ﷻ ونفي قدرته على الفعل[٢].

٤- أن هذه الطريقة أوجبت تسلط الفلاسفة على المتكلمين في مسألة حدوث العالم. حيث كانت إجابات المتكلمين على اعتراضات الفلاسفة ضعيفة، فلذلك تسلطوا عليهم ، وظنوا أن مايقوله المتكلمون هو دين الرسل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(وكان ذلك مما سلط الدهرية القائلين بقدم العالم ، لما علموا حقيقة قولهم وأدلتهم ونسوا فساده ، ثم لما ظنوا أن هذا قول الرسول ﷺ، واعتقدوا أنه باطل قالوا: إن الرسول لم يبين الحقائق ، سواء علمها أو لم يعلمها ، وإنما خاطب الجمهور بما يخيل لهم ما ينتفعون به ، فصار أولئك المتكلمون النفاة مخطئين في السمعيات والعقليات ، وصار خطؤهم من أكبر أسباب تسلط الفلاسفة ، لما ظن أولئك الفلاسفة الدهرية أنه ليس في هذا المطلوب إلا قولان ، قول أولئك المتكلمين،

---

(١) درء التعارض (٧/٢٢٣-٢٢٤) .

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٣٩-٤٠) .

وقولهم . وقد رأوا أن قول أولئك باطل، فجعلوا ذلك حجة في تصحيح قولهم، مع أنه ليس للفلاسفة الدهرية على قولهم بقدم الأفلاك حجة عقلية أصلاً ، وكان من أعظم أسباب هذا أنهم لم يحققوا معرفة مابعث الله به رسوله ﷺ)[١].

هـ- أن المتكلمين يستدلون على حدوث الأجسام بحدوث أعراضها وحدوث الأجسام مشاهد محسوس لا يحتاج إلى أن يستدل عليه بحدوث الأعراض ولا غيرها، فنحن نشاهد حدوث الأجسام نفسها. مثل حدوث الزرع وحدوث الإنسان والحيوان، وحدوث السحاب والمطر ونحو ذلك، وهذا مكابرة للحس والعقل[٢].

وأما احتجاج ابن العربي وغيره من المتكلمين على صحة دليل حدوث الأجسام بقصة إبراهيم الخليل عليه السلام فيما حكاه الله عنه بقوله سبحانه ﴿**وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين۝ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين۝ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين۝ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون**﴾[٣].

وقول المتكلمين إن الخليل عليه السلام استدل على حدوث الكواكب والشمس والقمر بالأفول ، والأفول هو الحركة ، والحركة هي التغير ، فلزم من ذلك أن كل متغير محدث ، لأنه لايسبق الحوادث ، لامتناع حوادث لا أول لها، وكل ماقامت به الحوادث فهو متغير ، فيجب أن يكون محدثاً، فهذه الطريق التي سلكناها هي طريقة

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/٢٢٤ -٢٢٥) .

(٢) انظر: البيهقي وموقفه من الالهيات ص (١١٤) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٩٨٩-٣) ومابعدها .

(٣) سورة الانعام ، آية (٧٥ - ٧٨) .

إبراهيم الخليل عليه السلام .

فهذه حجة باطلة مردودة عليهم وذلك للأمور التالية :

١ـ أن الأفول هو المغيب والاحتجاب ، وليس هو الحركة أو التغير كما زعم المتكلمون، بل هذا لم يقله أحد لامن أهل اللغة ولا من أهل التفسير .

فلا يسمى في اللغة كل متحرك أو متغير آفلاً ، ولا أنه أفل ، ولايقال للمصلي أو الماشي إنه أفل ، ولايقال للمتغير الذي هو استحالة كالمرض واصفرار الشمس إنه أفول ، لايقال للشمس إذا اصفرت: إنها أفلت ، وإنما يقال: أفلت إذا غابت واحتجبت، وهذا من المتواتر المعلوم بالاضطرار من لغة العرب ، أن آفلاً بمعنى: غائب، وقد أفَلَت الشمس تأفِلُ وتأفُلُ أُفُولاً : أي: غابت[1].

قال ابن فارس (أفَلَ : الهمزة والفاء واللام أصلان : أحدهما الغيبة ، والثاني: الصّغار من الإبل ، فأما الغيبة فيقال أَفَلت الشمسُ غابت ، ونجوم أُفَّلٌ ، وكل شئ غاب فهو آفلٌ قال :

فدع عنك سعدي إنما تسعف النوّى ... قران الثريا مرة ثم تأفِل[2].

قال الخليل : وإذا استقر اللقاح في قرار الرحم فقد أفَل)[3].

٢ـ أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا مقرين بالصانع ، وإنما كانوا يشركون معه في العبادة. فكانوا يتخذون الكواكب أرباباً يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرابين وغير ذلك ، وهو دين المشركين ، فكيف يستدل بحركة الكواكب على إثبات الصانع مع أن قومه مقرين به أصلاً، فيكون مقصود إبراهيم عليه الصلاة والسلام الاحتجاج على بطلان عبادة الكواكب ، وليس

---

(١) انظر: درء التعارض (١٠٩/١) .

(٢) البيت لكثير عزة ، انظر: ديوانه ص (٢٩٣) جمع وشرح د/ إحسان عباس ، ط/ دار الثقافة بيروت .

(٣) معجم مقاييس اللغة (١١٩/١) .

إثبات الصانع كما ظنه هؤلاء المتكلمون[١].

٣ـ أن إبراهيم عليه السلام لم يرد الاستدلال بحركة الكواكب ، فإن الكواكب والقمر والشمس لم تزل متحركة، من حين بزوغها إلى عند أفولها وغروبها . ولو كان أراد ذلك لما انتظر أفولها ، بل قال ما قال عند بزوغها وحركتها[٢].

وبهذا يعلم بطلان استدلال ابن العربي وغيره من المتكلمين بهذه القصة على مايدعونه من دليل حدوث الأجسام .

ومما تقدم يتضح مجانبة ابن العربي رحمه الله الصواب حيث وافق المتكلمين في الاستدلال بهذا الدليل الواضح البطلان، المخالف لطريقة الرسل وأتباعهم من سلف هذه الأمة، رحمهم الله جميعاً .

---

[١] انظر: شرح حديث النزول ص (٤٢٣-٤٢٤) وانظر: الدرء (٣١١/١) .

[٢] انظر: درء التعارض (٣١٣/١) وشرح حديث النزول ص (٤٢٣) ، بغية المرتاد لابن تيمية ص (٣٥٩) تحقيق موسى الدويش ط مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ومابعدها، وانظر: موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة (٩٩٢/٣) ومابعدها .

المبحث الثاني

دليل ابن العربي على وحدانية الله تعالى

استدل ابن العربي - رحمه الله - على وحدانية الله ﷻ بدليل عقلي وهو ما يسمى عند الأشاعرة بدليل التمانع ، وخلاصته أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ، فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لايحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما، والعاجز لايكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لايصلح للإلهية[١].

وقد أشار ابن العربي إلى ذلك بقوله :

(قد علمتم أن الله قد أوعب القول في حدث العالم، وكذلك كرر القول في دلالة التوحيد بالتمانع في قوله :﴿**ولعلا بعضهم على بعض**﴾[٢] وقوله ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾[٣])[٤].

وهذا الدليل الذي أشار إليه ابن العربي هو المقرر عند علماء الأشاعرة ،

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، تحقيق د / أحمد شاكر ، ص (٣٠) وانظر: منهاج السنة النبوية (٣/٣١٢) تحقيق د / محمد رشاد سالم ، وموقف شيخ الإسلام من الأشاعرة د / عبد الرحمن المحمود (٣/١٠٢١) .

[٢] سورة الأنبياء آية (٢٢) .

[٣] سورة المؤمنون آية (٩١) .

[٤] قانون التأويل لابن العربي ص (٥٠٢-٥٠٣) .

والمذكور في كتبهم، مع تنوع الأمثلة التي يوردونها في صورة هذا الدليل ، كالحركة والسكون ، والإحياء والإماتة وغيرها .

يقول الباقلاني في سياقه لهذا الدليل :

(وليس يجوز أن يكون صانع العالم اثنين ولا أكثر من ذلك، والدليل على ذلك: أن الاثنين يصح أن يختلفا ويُوجد أحدهما ضد مراد الآخر ، فلو اختلفا وأراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته لوجب أن يلحقهما العجز أو واحداً منهما، لأنه محال أن يتم مايريدان جميعاً لتضاد مراديهما، فوجب أن لايتما أو يتم مراد أحدهما، فيلحق من لم يتم مراده العجز، أو لايتم مرادهما فيلحقهما العجز ، والعجز من سمات الحدث ، والقديم الإله لايجوز أن يكون عاجزاً)[١].

ويقول الشهرستاني :

(فدليلنا على استحالة وجود إلهين أنّا فرضنا الكلام في جسم، وقدرنا من أحدهما إرادة تحريكه، ومن الثاني إرادة تسكينه في وقت واحد، لم يخل الحال من أحد ثلاثة أمور ...)[٢] .

وقد استدل ابن العربي وغيره من الأشاعرة على صحة دليل التمانع بقوله تعالى ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾[٣]وما في معناها من الآيات كقوله تعالى ﴿**ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**﴾[٤]ونحو ذلك من الآيات.

وقد أشار ابن العربي إلى هاتين الآيتين كما تقدم في قوله :

---

(١) التمهيد ، للباقلاني ، ص (٤٦) .

(٢) نهاية الإقدام ، للشهرستاني ، ط مكتبة المتنبي ، ص (٩١-٩٢) .

(٣) سورة المؤمنون ، آية (٩١) .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٢٢) .

(وكذلك كرر – أي الله سبحانه – القول في دلالة التوحيد بالتمانع في قوله: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ وقوله ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾)[١].

وإذا تأملنا هذا الدليل الذي أخذ به الأشاعرة ومنهم ابن العربي نجد أنه دليل عقلي صحيح موصل إلى المطلوب في إثبات وحدانية الله تعالى في ربوبيته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض رده على ابن رشد[٢] وغيره ممن قدح في دليل التمانع .

(بل الذي ذكره النظار عن المتكلمين الذي سموه دليل التمانع برهان تام على مقصودهم، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين وإن كان هذا هو توحيد الربوبية، والقرآن يبين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية، لكن المقصود هنا أن اعتراض هذا – يعني ابن رشد– على دليل نظار المتكلمين هو اعتراض مشهور ، قد ذكره غيره ، وظنوا أنه اعتراض قادح في الدلالة، كما ذكر ذلك الأمدي وغيره، وفي ظن بعض الناس أن التوحيد إنما يعرف بالسمع ـ فقط ـ وليس الأمر كما ظنه هؤلاء ، بل هو برهان صحيح عقلي كما قرَّره فحول النظار)[٣].

لكن يؤخذ على ابن العربي وغيره من الأشاعرة احتجاجهم على دليل التمانع بقوله تعالى﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[٤]وقوله ﴿ولعلا بعضهم على

---

[١] قانون التأويل ، ص (٥٠٢-٥٠٣) .

[٢] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي المعروف بالحفيد ، الفيلسوف تفقه وسمع الحديث ، ثم أقبل على الكلام والفلسفة ، توفي سنة ٥٩٥هـ ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٣٠٧–٣١٠) وشذرات الذهب (٤/٣٢٠) .

[٣] درء التعارض (٩/٣٥٤-٣٥٥) ، وانظر: كلام ابن رشد واعتراضه على هذا الدليل في كتابه مناهج الأدلة في عقائد الملة تحقيق الدكتور / محمود قاسم ، ص (١٥٧) ومابعدها ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو .

[٤] سورة المؤمنون آية (٩١) .

بعض﴾[١]، وما في معناهما من الآيات .

فإن هاتين الآيتين جاءتا لتقرير توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية ، ولم يقصد بهما إثبات دليل التمانع كما ظنه ابن العربي وغيره من الأشاعرة .

ومعلوم أن دليل التمانع الذي قرره ابن العربي وغيره من الأشاعرة يدل على منع وجود المفعول لايوجب فساده بعد وجوده بخلاف ظاهر هاتين الآيتين[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عند قوله ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ :

(إن هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع الدال على وحدانية الرب تعالى ، فإن التمانع يمنع وجود المفعول لايوجب فساده بعد وجوده، وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجرى مجرى العلل الفاعلات ، والثاني يذكر في الحكم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات كما في قوله :﴿**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**﴾[٣] فقدم الغاية المقصودة على الوسيلة الموصلة)[٤].

ومما تقدم تتضح صحة دليل التمانع الذي ذهب إليه ابن العربي وغيره من الأشاعرة، وأنه برهان عقلي صحيح يدل على وحدانية الرب تبارك وتعالى ، وأن الآيتين اللتين احتجوا بهما على هذا الدليل لم تقعا موقعهما والله أعلم .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢٢) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، تحقيق د.أحمد شاكر ص(٣٩) .

(٣) سورة الفاتحة آية (٤) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ، تحقيق د / ناصر العقل (٢/٨٤٦) الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣/٣١٣) .

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف ابن العربي من شدّ الرّحال إلى القبور .

المبحث الثاني : موقفه من السحر والرقى والتمائم .

المبحث الثالث: موقفه من التطير والتشاؤم .

المبحث الرابع: موقفه من الحلف بغير الله .

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

تمهيد :

توحيد الألوهية هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات . والألوهية معناها العبادة. فهي مشتقة من الإله وهو المعبود ، ولهذا أطلق على هذا النوع من التوحيد ، توحيد العبادة[١].

والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة)[٢].

وهذا النوع من التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب كما قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[٤][٥].

وحقيقة هذا التوحيد إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة وسائر أنواع العبادة لله تعالى كما قال تعالى :﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله**

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١٣٨/١) ط/دار الكتاب العربي ، بيروت ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبدالرحمن بن حسن ط/دار الحديث بجوار ادارة الازهر .

(٢) العبودية لابن تيمية ص (٤) تحقيق بشير عيون ط/دار الوعي الإسلامي .

(٣) سورة النحل آية (٣٦) .

(٤) سورة الأنبياء آية (٢٥) .

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٣٦) .

مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة[١]﴾[٢].

وقد تضمن هذا النوع من التوحيد مسائل كثيرة تتعلق بالعبادة وأنواعها تناولها العلماء بالعناية والاهتمام ، وردوا على من جانب الصواب فيها ممن ليس لـه عنايـة بهـذا النـوع من التوحيد .

وسأعرض - بإذن الله - بعضاً من هذه المسائل التي تعرض لها ابن العربي، وأبين رأيه في كل مسألة .. وموقف أهل السنة والجماعة من ذلك وذلك في المباحث التالية :

---

(١) سورة البينة آية (٥) .

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٣٦) والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص(٤١٨) ط مكتبة الرياض الحديثة .

المبحث الأول
شدُّ الرِّحال إلى القبور

يرى ابن العربي – رحمه الله – جواز شدِّ الرِّحال إلى قبور الأنبياء والصالحين والتقرب إلى الله ﷻ بالسفر إلى قبورهم .

يقول ابن العربي عن نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ، في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾[1] يقول :

(قصدت قبره مراراً لا أحصيها بقرية جحجون[2] في مسيري من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل . وبتُّ به وتقربت إلى الله بمحبته)[3].

فقد ذكر ابن العربي بأنه ارتحل قاصداً زيارة قبرين من قبور الأنبياء –عليهم السلام–:

أحدهما : قبر نبي الله يونس – عليه السلام – وقد أشار ابن العربي إلى أنه قد قصد ذلك القبر مراراً كثيرة وبات عنده .

الثاني : قبر نبي الله إبراهيم – عليه السلام – وقد ذكر ابن العربي أنه ارتحل إليه من المسجد الأقصى .

وهذا الفعل من ابن العربي يدل على أنه يرى أن ذلك جائزٌ، بل يراه قربة يتقرب بها إلى الله ﷻ ولو كان يرى عدم جواز ذلك الفعل لما تكرر منه ذلك مراراً كثيرة .

---

[1] سورة الصفات آية (١٠٦) .

[2] هكذا ذُكرت هنا (جحجون) بجيمين ونون ولعل ذلك تحريف من الناسخ أو الطابع أو الصواب أنها (حلحول) بحائين ولام ، انظر: معجم البلدان (٣٣٣/٢) وقد ذكرها ابن العربي على الصواب في كتاب القبس (١١٥٨/٣) فقال (وكان بحلحول قبر يونس) ، وحلحول : قرية بين بيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل عليه السلام ، معجم البلدان (٣٣٣/٢) .

[3] أحكام القرآن (٣٥/٤)

وقد صرح ابن العربي في موطن آخر بجواز مثل ذلك ، واستدل عليه بحديث «من زار أخاً له في الله نصب الله على مدرجته ملكاً»[١].

قال ابن العربي – رحمه الله – في ذكر أقسام سفر الطلب :

(الثامن : القصد إلى الإخوان لتفقد أحوالهم ومنه الحديث «من زار أخاً له في الله نصب الله على مدرجته ملكاً» هذا إذا كان حياً ، فإن كان ميتاً، فيجوز زيارة قبره أيضاً ، والترحم عليه لينتفع الميت بالحي ...)[٢].

هكذا يقرر ابن العربي جواز شدِّ الرِّحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، فيجعل ذلك نوعاً من أنواع السفر للطلب ، ولايفرق في ذلك بين شدِّ الرحال لزيارة الأخ المسلم الحي لتفقد حاله وبين شدِّ الرحال لزيارة قبر المسلم إذا كان ميتاً.

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي من جواز شدِّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين مذهب خاطئ ، مخالف لما ثبت عن النبي ﷺ من النهي عن شدِّ الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة[٣] ، ومخالف لما أجمع عليه سلف الأمة من تحريم شدِّ الرحال إلى قبور الأنبياء و غيرهم، فلم ينقل عن أحد من الصحابة – رضوان الله عليهم – ولا غيرهم من السلف أنه قال بذلك أو فعله ، بل المنقول عنهم خلافه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (السفر إلى قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر به رسول الله ﷺ ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة)[٤].

---

(١) بحثت عنه فلم أجده بهذا اللفظ. وسيأتي له مزيد بيان .

(٢) القبس (١١٥٧/٣)

(٣) حديث أخرجه البخاري (٧٠/٣،ح١١٩٧) في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. باب مسجد بيت المقدس ، ومسلم (٨٢٣/٢ح١٣٩٧) كتاب الحج لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . ولفظه:«لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ومسجد الاقصى» .

(٤) الرد على الأخنائي (لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٣٠) ط الرئاسة العامة للإفتاء ١٤٠٤هـ

وقال ابن حجر : (واختلف في شدِّ الرحال إلى غيرها ـ أي غير المساجد الثلاثة ـ كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء و أمواتاً، وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك فيها ، فقال الشيخ أبو محمد الجويني : يحرم شدِّ الرحال إلى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث ، وأشار القاضي حسين إلى اختياره. وبه قال القاضي عياض وطائفة. ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من إنكار أبي بصرة الغفاري ﷺ على أبي هريرة ﷺ خروجه إلى الطور[1] وقال له:«لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت»[2] واستدل بهذا الحديث، فدل على انه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة)[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله : (وفي الحديث - أي حديث أبي سعيد في النهي عن شدِّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة - دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمساجد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعياداً بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها)[4].

وقال الشيخ صديق حسن خان في معرض كلامه على مسألة شدِّ الرحال:

(وأهل السنة والجماعة ردوا هذه المسألة إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، وبحثوا عنها فلم يجدوا في آية من كتاب الله حرفاً واحداً له دلالة على السفر لزيارة النبيﷺ، أو زيارة غيره من الأنبياء والأولياء ، بل ليس لهذه المسألة فيه ذكر أصلاً فضلاً عن ذكر شد الرحل لها ، و لم يجدوا في حديث من الأحاديث أمراً للرسول ﷺ

---

(١) اسم للجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ونودي فيه وينسب إلى سيناء فيقال طور سيناء ، ويقع في بلاد الشام انظر:: معجم البلدان (٣/٣٤١ ، ٤/٣٥-٥٤) وتفسير القرطبي (١٧/٤٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٦/٧ ، ٣٩٧) والنسائي (٣/١١٣-١١٤ح١٤٣٠) كتاب الجمعة باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء وسنده صحيح كما قال الألباني في الإرواء (٣/٢٢٧-٢٢٨ح٧٧٣) .

(٣) فتح الباري (٣/٦٥) .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٩ .

في السفر لزيارته الشريفة أو لزيارة غيره من أهل الصلاح)[١].

وأما الحديث الذي استدل به ابن العربي على جواز شدِّ الرحال لزيارة قبور الصالحين ولفظه (من زار أخاً له في الله نصب الله على مدرجته ملكاً). فقد بحثت عنه فلم أجده بهذا اللفظ .

ولعل ابن العربي أراد حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً...»[٢] الحديث .

والمقصود أنه لا دلالة في الحديث على ما ذهب إليه ابن العربي من جواز شدِّ الرحال لزيارة قبور الصالحين، بل ذلك مردود عليه، فالحديث إنما ورد في زيارة الأخ الحي دون الميت، وأهل العلم إنما استدلوا به على استحباب زيارة الصالحين من الأحياء دون الأموات[٣].

ومما تقدم يتضح أن ابن العربي قد حاد عن الصواب في هذه المسألة فأجاز شدَّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين ، مستنداً في ذلك إلى أدلة لا وجه لاستدلاله بها ، والحق فيما ذهب إليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم في عدم جواز شدِّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، لصراحة أدلة النهي، ولذلك فهم الصحابة -ﷺ- التحريم كما تقدم في قصة أبي بصرة الغفاري مع أبي هريرة ﷺ.

---

(١) الدين الخالص ، لصديق حسن خان (٣/٥٨٩) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم (٤/١٥٧٨ح٢٥٦٧) كتاب البر والصلة ، باب فضل الحب في الله، وأحمد في المسند (٢/٢٩٢ ، ٤٠٨) .

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/١٢٤)

المبحث الثاني

السحر والرقى والتمائم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : السحر :

السحر في اللغة هو إخراج الباطل في صورة الحق وقيل هو الخديعة وقيل عبارة عما خفي ولطف سببه ، وهو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته. وقيل: أصله الخفاء فإن الساحر يفعله خفية[١].

وأما تعريفه شرعاً : فقد تعددت في ذلك تعريفات العلماء، وذلك أن السحر ليس نوعاً واحداً يمكن حدُّه بحد يميزه عن غيره. وإنما هو جامع لمعان مختلفة ، ولذلك تنوعت تعريفات العلماء له تبعاً لكثرة أنواعه .

قال الشنقيطي[٢] ـ رحمه الله ـ :(اعلم أن السحر في الاصطلاح لايمكن حدُّه حدّاً جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته ، ولايتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها ، ومن هنا اختلف عبارات العلماء في حدِّه اختلافاً متبايناً)[٣].

وقد عرفه ابن العربي بقوله: (كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب إليه ـ أي إلى المعظم ـ فيه المقادير الكائنات)[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/٣٤٨-٣٤٩) ومعجم مقاييس اللغة (٣/١٣٨) والقاموس المحيط ص (٥١٩) والمفردات ص(٤٠٠-٤٠١) .

(٢) هو محمد الأمين بن محمد مختار الشنقيطي الحكني ، العلامة المفسر الأصولي اللغوي . توفي ١٣٩٣هـ . انظر: مقدمة أضواء البيان (١/ز) والاعلام (٦/٤٥) .

(٣) أضواء البيان (٤/٤٤٤) .

(٤) أحكام القرآن (١/٤٨) .

وقال ابن قدامة :(السحر هو عقد ورقى وكلام يتكلم به ، أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله)[١].

وقال ابن القيم (هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، وانفعال القوى الطبيعة عنها)[٢].

وقال الشوكاني: (السحر: هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي تحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة)[٣] إلى غير ذلك من التعريفات الكثيرة المختلفة[٤].

ويمكن أن يقال: إن السحر في الشرع هو ما يكون بالعقد والرقى والطلاسم التي يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد لإلحاق ضرر بالمسحور، وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه مما يستخدم فيه الشياطين فليس بسحر وإن سمي سحراً فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً ، والله أعلم[٥].

ثانيا : حكم السحر :

يرى ابن العربي – رحمه الله – أن السحر كفر مخرج من دين الإسلام وفي ذلك يقول – رحمه الله – في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس**

---

[١] المغني لابن قدامة (٢٩٩/١٢) .

[٢] زاد المعاد (١٢٦/٤-١٢٧) .

[٣] فتح القدير لشوكاني (١١٩/١) .

[٤] انظر: الصارم البتار للتصدي لسحرة الأشرار لوحيد بالي ص(١٦-١٧) ونواقض الإيمان القولية والعملية. د.عبدالعزيز العبداللطيف ص(٥٠١-٥٠٢) .

[٥] انظر: فتح الباري (٢٢٥/١٠) وتيسير العزيز الحميد ص (٣٨٤) .

السحر﴾(١) الآية قال:

(قد أوردنا في كتاب المشكلين ، القول في السحر وحقيقته ومنتهى العمل به على وجه يشفي الغليل ، وبينا أن من أقسامه فعل ما يفرق به بين المرء وزوجه ومنه مايجمع بين المرء وزوجه ، ويسمى التولة(٢) ، وكلاهما كفر ، والكل حرام وكفر ، قاله مالك)(٣).

وهذا تصريح من ابن العربي – رحمه الله – بان السحر كفر مخرج من دين الإسلام .

وقد استدل ابن العربي – رحمه الله – على ذلك بقوله تعالى ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾(٤).

قال ابن العربي في معرض رده على من زعم بان السحر مجرد معصية :

(وهذا باطل من وجهين :

أحدهما: أنه لم يعلم السحر، وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه ـ أي إلى المعظم ـ فيه المقادير والكائنات .

الثاني : أن الله ﷻ قد صرح في كتابه بأنه كفر . لأنه تعالى قال :﴿**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان**﴾ من السحر ، وما كفر سليمان بقول السحر، ولكن الشياطين كفروا به وبتعلمه، وهاروت وماروت يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر. وهذا تأكيد للبيان)(٥).

---

(١) سورة البقرة آية (١٠٢) .

(٢) قال في النهاية (٢٠٠/١) : التولة ، بكسر التاء وفتح الواو ، مايحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره .

(٣) أحكام القرآن (٤٨/١)

(٤) سورة البقرة آية (١٠٢) .

(٥) أحكام القرآن (٤٨/١)

وماقرره ابن العربي – رحمه الله – من القول بأن السحر كفر مخرج من دين الإسلام هو الحق الذي عليه جمهور العلماء :

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله تعالى:﴿وما **كفر سليمان ولكن الشياطين كفرو يعلمون الناس السحر**﴾[1] ظاهرها أنهم كفروا بذلك ، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر ، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين ﴿**إنما نحن فتنه فلا تكفر**﴾ فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفر)[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله[3] – رحمه الله –

(واختلفوا هل يكفر الساحر أو لاً ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر وبه قال مالك وأبو حنيفة واحمد وقيل: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر وهذا قول الشافعي وجماعته وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف . فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان ...)[4].

وقال صديق حسن خان[5] في سياق كلامه عن السحر :

(وقد عرفت بهذا أن السحر نوع من أنواع الإشراك ، وأن حكم الساحر حكم المشرك المرتد ، وتعلمه وتعليمه كبيرة من الكبائر يبلغ به صاحبه إلى حدِّ الكفر

---

(١) سورة البقرة آية (١٠٢) .

(٢) فتح الباري (١٠/٢٢٥)

(٣) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب ولد سنة ١٢٠٠هـ ، كان آية في العلم والحفظ والذكاء ، بارعاً في التفسير والحديث والفقه ، توفي سنة١٢٣٣هـ رحمه الله ، انظر: مقدمة تيسير العزيز الحميد ص(١٢) والاعلام (٣/١٢٩) .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص (٣٨٤)

(٥) هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ، العلامة الأمير ، أحد رجال النهضة الإسلامية المجددين ، توفي سنة ١٣٠٧هـ ، انظر: الأعلام (٦/١٦٧-١٦٨) ومعجم المؤلفين (١٠/٩٠).

ويخرج عن الإسلام)[١].

وبهذا يتبين صحة ما ذهب إليه ابن العربي - رحمه الله - من أن تعلم السحر كفر مخرج من دين الإسلام ، وموافقته للأدلة الشرعية، ولما عليه جمهور العلماء - رحمهم الله -.

---

(١) الدين الخالص (٢/٣٢٥)

المطلب الثاني : الرقى

الرقى : جمع رقية ، والرقية : هي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحُمَّى والصَّرع وغير ذلك من الآفات[١].

وقد ورد في الرقى عدة أحاديث عن النبي ﷺ منها مايدل على جواز الرقى، ومنها ما يشتمل على النهي عنها وعدم فعلها .

وقد ذكر ابن العربي – رحمه الله – بعضاً من تلك الأحاديث الواردة في الرقى واستدل بها على جواز الرقى فقال :

(وعند أبي عيسى - أي الترمذي - وفي الصحيح بعضه ،أن النبي ﷺ «رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة»[٢].

وفي الصحيح أنه أمر بالرقية[٣] ورُقي فلم ينكر[٤] وكان هو يعوذ ﷺ[٥])[٦].

وقد تعرض ابن العربي للأحاديث التي ظاهرها النهي عن الرقى كحديث

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٢٥٤) . والقاموس المحيط ص(١٦٦٤) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٣٧٧ح٢١٩٦) كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين ، والترمذي (٤/٣٩٣ح٢٠٥٦) كتاب الطب ، باب ماجاء في الرخصة في ذلك ، وابن ماجة (٢/١١٦٢ح٣٥١٦) كتاب الطب ، باب مارخص فيه من الرقى .

(٣) كما في حديث عائشة رضي الله عنها قال (كان الرسول ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين) رواه مسلم (٤/١٣٧٦ح٢١٩٥) .

(٤) كما في حديث عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن ...) رواه البخاري الفتح (١٠/١٩٥ح٥٧٣٥) كتاب الطب باب الرقى بالقرآن .

(٥) كما في حديث ابن عباس ﷺ (أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله ...) أخرجه البخاري . الفتح (١٠/٢٠٦ح٥٧٤٣) كتاب الطب باب رقية النبي ﷺ .

(٦) عارضة الأحوذي (٨/٢٠٧) .

السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وفيه انهم «لايسترقون»[١] فقال «فأما قوله : هم الذين لا يسترقون» الحديث ، ففيه ثلاثة تأويلات :

الأول : هم الذين لا يسترقون بالتمائم كما كانت العرب تفعله .

الثاني : هم الذين لا يسترقون قبل حلول المرض

الثالث : هم الذين لا يسترقون عند اليأس كما فعل الصديق[٢])[٣].

هكذا يقرر ابن العربي - رحمه الله - جواز الرقى، ويجيب عن هذا الحديث الذي ظاهره كراهة الرقية. ولعل ابن العربي - رحمه الله - أراد بذلك الرقى الشرعية التي تكون بكتاب الله وأسمائه وتعظيمه. فقد قال في معرض كلامه عن الرقية: (وكانت العرب ترقي من النملة فتقول : العروس تكتحل وتحتفل وكل شيء تفتعل غير ألا تعاصي الرجل وهو إحباط واختلاط عن مثله نُهي ، فأما كتاب الله وأسماؤه وتعظيمه فهو الشفاء الأعظم الأنفع)[٤].

فابن العربي -رحمه الله - يرى أن هذه الرقية التي كانت العرب تقولها هي نوع من الخرافة والاختلاط المنهي عنه .

وقد بين رحمه الله أن الشفاء الأعظم لا يكون بمثل هذه الرقى الخرافية وإنما يكون ذلك بالرقية بكتاب الله وأسمائه .

وقد ذكر ابن العربي بعض سور القرآن التي ورد الاسترقاء بها فقال -رحمه الله-:

(إذا كان الأفضل الرقية بكتاب الله فالفاتحة أصل وفيها الحديث الصحيح في

---

(١) سيأتي تخريجه. انظر ص (٢٣٢).

(٢) روى ابن سعد في طبقاته (١٩٨/٣) عن أبي السفر قال : (مرض أبو بكر فقالوا : ألاندعو الطبيب فقال : (قد رآني فقال إني فعال لما أريد) .

(٣) القبس شرح موطأ مالك (١١٢٩/٣)

(٤) عارضة الأحوذي (٢٠٩/٨ - ٢١٠)

قطيع الغنم[١] والمعوذتان وينفث في يديه ويمسح بهما وجهه وما أدرك من بدنه[٢].

وروى أبو عيسى كان النبي ﷺ : يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات[٣] ، وفي الصحيح أن الذي يتعوذ به من الجان آية الكرسي[٤] ، والله أعلم)[٥].

ومما تقدم من كلام ابن العربي – رحمه الله – يتضح أن مراده بالرقية الجائزة هي ما كان بالقرآن وأسماء الله وصفاته ونحوها مما ورد به الشرع .

ولا شك أن ما قرره ابن العربي – رحمه الله – من جواز الرقى الشرعية هو الحق الذي جاءت به الأحاديث كما تقدم .

وأما الرقى الشركية المشتملة على دعاء غير الله والاستعانة به فلايجوز فعلها، بل هي من قبيل الشرك ، ولذلك قال رسول الله ﷺ «اعرضوا على رقاكم لابأس

---

(١) الحديث أخرجه البخاري الفتح (١٠/١٩٨ح٥٧٣٦) كتاب الطب ، باب الرقى بفاتحة الكتاب . ومسلم (٤/١٣٧٨ح٢٢٠١) كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ (أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم . فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا : هل معكم من دواء أو راق ؟ فقالوا : إنكم لم تقرونا . ولانفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً . فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء ، فجعل يقرأ بأم القرآن ...) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري ، الفتح (١٠/٢٠٩ح٥٧٤٨) كتاب الطب باب النفث في الرقية من حديث عائشة رضي الله عنها قالت (كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده) .

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٣٩٥ح٢٠٥٨) كتاب الطب ، باب ماجاء في الرقية بالمعوذتين وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٨٨٢ح٤٩٠٢) .

(٤) أخرجه البخاري الفتح (٩/٥٥ح٥٠٠٨) كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة في قصة أبي هريرة ﷺ قال (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام . فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقص الحديث فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لم يزل معك من الله حافظ ولايقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ : صدقك وهو كذوب ذلك شيطان) .

(٥) عارضة الأحوذي (٨/٢١٠) .

بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[١].

وقد اشترط العلماء رحمهم الله لجواز الرقى شروطاً ثلاثة :

الأول : أن تكون بكلام الله وأسمائه وصفاته .

ثانيا : أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره .

ثالثا : أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله .

قال ابن حجر رحمه الله : (أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى)[٢].

هذا وقد كره بعض العلماء الرقى واستدلوا بقوله ﷺ في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[٣].

وقد تقدم توجيه ابن العربي - رحمه الله - لهذا الحديث، وأنه حمله على ثلاثة تأويلات : **الأول** : هم الذين لا يسترقون بالتمائم كما كانت العرب تفعله .

الثاني : هم الذين لا يسترقون قبل حلول المرض

الثالث : هم الذين لا يسترقون عند اليأس[٤].

قلت : هذه التأويلات التي أشار إليها ابن العربي فيها نظر ، ولاتتفق مع صفات هؤلاء السبعين وتميزهم عن غيرهم .

والصواب في ذلك أن يقال: أن المراد بقوله: «لا يسترقون» أي لا يطلبون

---

[١] أخرجه مسلم (١٣٧٨/٤ح٢٢٠٠) كتاب السلام ، باب لاباس بالرقى .

[٢] فتح الباري (١٩٥/١٠) وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق آبادي (٣٩٦/١٠) . ط/مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

[٣] أخرجه البخاري (١٥٤/١٠ح٥٧٠٤) كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره . ومسلم (١٦٨/١ح٢٢٠) كتاب الايمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب .

[٤] انظر: القبس (١١٢٩/٣) .

من غيرهم أن يرقيهم لتمام توكلهم ، وقد رقي رسول الله ﷺ من غير طلب ، فرقاه جبريل عليه السلام[1]، ورقى هو أصحابه رضوان الله عليهم[2] وهو سيد المتوكلين ، ولم يقدح ذلك في توكله ﷺ[3].

---

[1] كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل) أخرجه مسلم (١٣٧١/٤ح٢١٨٥) كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرقى .

[2] كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال:«اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي...») رواه مسلم (١٣٧٣/٤ح٢١٩١) كتاب السلام باب استحباب رقية المريض.

[3] انظر: تيسير العزيز الحميد ص (١٠٨) ، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ٩٧/١ .

المطلب الثالث : التمائم

التمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم ، فأبطلها الإسلام ، وقد يرون أن فيها تمام الشفاء للمريض[١].

وقد عرَّف ابن العربي رحمه الله التميمة بقوله:

(وأما التميمة : فهي حرز كانوا يتعلقونها يرون أنها تدفع الآفات، وهذا جهل عظيم)[٢].

وقد جعل ابن العربي – رحمه الله – التمائم على نوعين :

أولاً : ما يتعلقه الناس من الأحراز والأحجار التي يزعمون أن فيها خصائص. وقد بين ابن العربي أن تعليق هذه الأحراز من الشرك . واستدل على ذلك بحديث عبد الله بن عكيم أنه نزلت به حمرة فقيل له ألا تعلق شيئاً؟ قال : قال النبي ﷺ «من تعلق شيئاً وكِّلَ إليه»[٣].

قال ابن العربي – رحمه الله – :

(فإن قيل فما يتعلقه الناس من الأحراز والأحجار ما قولكم فيها؟ : قلنا : روى أبوعيسى وغيره من حديث عبد الله بن عكيم أنه نزلت به حمرة فقيل له: ألا تعلق شيئاً؟ قال : قال ﷺ «من تعلق شيئاً وُكِّلَ إليه» .

وذلك أن الجهال يزعمون أن في الجمادات والحيوانات خصائص من الوقاية بكلام أهل الإلحاد والصنارات[٤]، وذلك شرك)[٥].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٧/١) ، ومعجم مقاييس اللغة (٣٣٩/١)

(٢) عارضة الأحوذي (٢٠٢/٨)

(٣) رواه أحمد (٣١٠/٤) والحاكم (٢١٦/٤) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٨/٢) .

(٤) الصنر والصنار : رأس المغزل وصنارة الحجفة : مقبضها . وأهل اليمن يسمون الأذن : صنارة ، انظر: الصحاح للجوهري (٧١٦/٢) ، والقاموس المحيط ص (٥٤٧) .

(٥) عارضة الأحوذي (٢٢٢/٨)

هكذا حكم ابن العربي على هذا النوع من التمائم ، فأطلق القول بأنها شرك، والظاهر - والله أعلم - أنه يرى أن ذلك شرك أكبر، فقد بين - رحمه الله - انهم يعتقدون أن هذه الجمادات والحيوانات فيها خصائص، تجعلهم يعتمدون عليها. وأيضاً تشتمل على كلام أهل الإلحاد، ولاشك أن ذلك شرك أكبر .

وما قرره ابن العربي - رحمه الله - هو الحق ، فان من اعتقد أن هذه التميمة تنفعه أو تدفع عنه الضر من دون الله تعالى فهو مشرك شركاً أكبر ، وإن اعتقد أن التميمة سبب من الأسباب ، وأن النافع الضار هو الله تعالى ، فهذا من قبيل الشرك الأصغر[1].

وقد ورد في النهي عن تعليق التمائم على هذا النحو عدة أحاديث فيها التصريح بكونها شركاً فمن ذلك .

١ - قوله ﷺ «من تعلق تميمة فقد أشرك»[2].

٢ - قوله ﷺ «أن الرقى والتمائم والتولة شرك»[3].

والمقصود أن تعليق التمائم من الأحراز والأحجار ونحوهما دائر بين الشرك الأكبر المخرج لصاحبه عن الإسلام وبين الشرك الأصغر، وذلك حسب اعتقاد صاحبه على التفصيل المتقدم .

ثانياً : ما يعلق من التمائم المشتملة على الآيات القرآنية :

وقد بين ابن العربي - رحمه الله - أن تعليق ذلك ، خلاف السنة، وإن كان القرآن فيه تقاة ، لكنه لم ينزل ليعلق ، وإنما نزل ليتلى ويتذكر ، هذا الذي جاءت به السنة .

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص (١٥٤ ، ١٦٢) ، وانظر: معارج القبول (١/٤٧٠)

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٥٦) والحاكم (٤/٤١٩) وقال الهيثمي في المجمع (٥/١٠٣) ورواه أحمد ثقات . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٨٨ح٤٩٢) .

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٣٦٧) كتاب الطب باب في تعليق التمائم ، وابن ماجه (١/١١٦٦ح٣٥٣٠) كتاب الطب ، باب تعليق التمائم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٣٦) .

يقول ابن العربي في ذلك :

(فإن تعلق قرآناً فإنه وإن كان تقاة لكنه ليس من طريق السنة وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق)[١].

فابن العربي -رحمه الله - يرى أن تعليق القرآن على الأطفال ونحوهم ليس من السنة ، والسنة إنما جاءت بتلاوة القرآن وتدبره دون تعليقه .

وهذه المسألة التي أشار إليها ابن العربي - رحمه الله - قد اختلف فيها السلف - رحمهم الله - على قولين :

القول الأول : جواز تعليق التمائم التي من القران وأسماء الله وصفاته .

وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ، وهو ظاهر ما روي عن عائشة رضي الله عنها، وبه قال أبو جعفر الباقر[٢] ، وأحمد في رواية ، وحملوا الأحاديث المصرحة بالنهي ، على الرقية الشركية .

القول الثاني : عدم جواز ذلك، وبه قال ابن مسعود ، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة ، وعقبة بن عامر ، وابن عكيم ﷺ .

وبه قال جماعة من التابعين ، منهم أصحاب ابن مسعود ، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه ، وجزم بها المتأخرون .

واحتج أصحاب هذا القول بالأحاديث المتقدمة في النهي عن التمائم، فإن ظاهر تلك الأحاديث العموم ، من غير فرق بين التي من القرآن وغيرها ، بخلاف الرقى فقد فُرق فيها كما تقدم[٣].

وهذا القول هو ظاهر كلام ابن العربي - رحمه الله- كما تقدم، فقد صرح بأن ذلك خلاف السنة، وأن القرآن لم ينزل ليعلق ، ويمكن تلخيص أدلة أصحاب

---

[١] عارضة الأحوذي (٢٢٢/٨) .

[٢] هو أبو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان من فقهاء المدينة وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، توفي سنة ١١٤هـ، ينظر: شذرات الذهب (١٤٩/١).

[٣] انظر: تيسير العزيز الحميد ص (١٦٧) ، ومعارج القبول (٤٦٩/١- ٤٧٢) .

هذا القول فيما يلي:

١- عموم النهي الوارد في التمائم ولم يرد ما يخصص ذلك العموم

٢- لو كان هذا العمل جائزاً لبينه الرسول ﷺ كما بين الرقية وأذن فيها ما لم يكن فيها شرك .

٣- أن تعليق القرآن قد يفضي إلى امتهانه كدخول الخلاء به ونحو ذلك .

٤- سدّ باب الذريعة ، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك[١].

ولعل هذا القول الذي اختاره ابن العربي - رحمه الله - هو الأقرب لإتباع السنة، والاكتفاء بما جاءت به ، ففي ما وردت به السنة غنية عن غيره ، والله أعلم.

---

[١] انظر: التمائم في ميزان العقيدة د/ علي بن نفيع العليلي ، ص (٤٦ - ٥٠) ط/دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

المبحث الثالث

التطير والتشاؤم

الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء ، وقد تسكن: هي التشاؤم بالفأل الرديء وهو مصدر تطير يقال : تطير طيرة[١].

قال ابن حجر رحمه الله : التطير والتشاؤم بمعنى واحد)[٢].

والفرق بين الطيرة والتطير - كما قال عز الدين بن عبد السلام[٣]- أن التطير هو الظن السيء الذي في القلب، والطيرة هو الفعل المترتب على الظن السيء[٤].

وقد بين ابن العربي رحمه الله أصل الطيرة فقال :

(كانت العرب في الجاهلية تزجر الطير ، وتحكم على كل طائر بحكم فالسانح: وهو الذي يمر على اليمين محمود، والبارح : الذي يمر على الشمال مذموم)[٥].

والتشاؤم مأخوذ من الشؤم وهو ضد اليمن ، يقال تشاءمت بالشيء وتيمنت به[٦].

قال ابن العربي - رحمه الله - (الشؤم : اعتقاد وصول المكروه إليك مما يتصل

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٧٢٨/٢) والنهاية في غريب الحديث والأثر (١٥٢/٣) . وصحيح مسلم بشرح النووي (٢١٨/١٤) .

(٢) فتح الباري (٢١٣/١٠) .

(٣) هو عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم الدمشقي الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي مجتهد ، توفي سنة ٦٦٠هـ . انظر: شذرات الذهب (٣٠١/٥-٣٠٢) . الاعلام (٢١/٤) .

(٤) انظر: عون المعبود لشمس الحق ابادي (٤٠٦/١٠) .

(٥) عارضة الأحوذي (١١٦/٧) .

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والاثر (٥١١/٢) .

بك من ملك أو خلطة)[١].

قال النووي رحمه الله :

(والتطير التشاؤم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور ، فإذا أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وأبطله)[٢].

حكم التطير :

يذهب ابن العربي – رحمه الله – إلى أن الطيرة من الشرك ، وذلك لما فيها من التعلق بأسباب كفرية يزعم المتعلق بها أنها تطلعه على الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ وهذه الأسباب حقيقتها الكفر والريب .

قال ابن العربي – رحمه الله –:

(الطيرة : زجر وهي نوع من التعلق بأسباب يزعم المتعلق بها أنه تطلعه على الغيب، وهي كلها كفر وريب ، وهمٌ، يستعجله المرء إن كان حقاً ولا يقدر على دفعه إن كان قدراً مقدوراً ، ولذلك جعله رسول الله ﷺ من الشرك ، فانهم يريدون أن يشركوا الله في غيبه ويساوونه في علمه، فإذا وجد ذلك أحدهم فليطرحه عن نفسه وليتوكل على ربه)[٣].

فقد صرح ابن العربي رحمه الله بحكم الطيرة وأنها من قبيل الشرك، وبين – رحمه الله– أن النبي ﷺ جعلها من الشرك ، وأراد رحمه الله– بذلك ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه

---

[١] عارضة الأحوذي (٢٦٤/١٠) .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٨/١٤-٢١٩) .

[٣] عارضة الأحوذي (١١٦/٧-١١٧) .

بالتوكل»[١].

ففي هذا الحديث التصريح بأن الطيرة شرك تنافي كمال التوحيد، وقد تنافي الطيرة التوحيد بالكلية ، إذا اعتقد بأن هذا السبب هو الذي يجلب له النفع ، ويدفع عنه الضر أو اعتقد أن هذا السبب يطلعه على الغيب ، فيشرك مع الله سبحانه في علمه للغيب .

وقد أشار إلى ذلك ابن العربي - رحمه الله - في قوله (وهي نوع من التعلق بأسباب يزعم المتعلق بها أنها تطلعه على الغيب وهي كلها كفر)[٢].

ولا شك أن ما قرره ابن العربي من تحريم الطيرة وأنه من الشرك هو الحق الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في معرض شرحه لحديث «الطيرة شرك»:

(قوله : «الطيرة شرك» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله)[٣].

قال في عون المعبود :

(الطيرة شرك أي لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً، فإذا علموا بموجبها فكأنهم أشركوا في ذلك ، ويسمى شركاً خفياً ، ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك شركاً جلياً)[٤].

ومما ورد في النهي عن الطيرة ماجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٩/١) وأبو داود (٣٧٣/١) كتاب الطب باب في الطيرة ، والترمذي (١٦٠/٤ ح١٦١٤) كتاب السير ، باب ماجاء في الطيرة .

(٢) عارضة الأحوذي (١١٦/٧) .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص (٤٣٨) .

(٤) عون المعبود (٤٠٦/١٠) .

أن رسول الله ﷺ قال «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»[١].

قال ابن القيم – رحمه الله –:

(قوله : لا طيرة) هذا يحتمل نفياً أو يكون نهياً أي لا تتطيروا ولكن قوله في الحديث: «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها ، والنفي في هذا أبلغ من النهي ، لان النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهى إنما يدل على المنع منه .... فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله وانزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم، لئلا يبقى فيها علق منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة)[٢].

وأما التفاؤل فقد أوضح ابن العربي – رحمه الله – أنه ليس من الطيرة في شيء فقال رحمه الله عند حديث «لا عدوى ولا طيرة واحب الفأل قالوا: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»[٣] قال: (وأذن ﷺ في البشرى بالفأل وهي كلمة طيبة يسمعها الرجل، وكأنها من الله والأولى من الشيطان)[٤] فبين ابن العربي رحمه الله أن الفأل ليس من الطيرة وإنما هو من البشرى الطيبة للمؤمن ، وأن التفاؤل من الله ، والطيرة من الشيطان .

---

[١] أخرجه البخاري الفتح (١٠/١٥٨ح٥٧٠٧) كتاب الطب باب الجذام ، ومسلم (٤/١٣٩٠ح٢٢٢٠) كتاب السلام باب لاعدوى ولا طيرة .

[٢] مفتاح دار السعادة ص(٥٨٠-٥٨١) .

[٣] أخرجه الترمذي (١٠/١٦١ح١٦١٥) كتاب السير باب ما جاء في الطيرة ، والبخاري بنحوه . الفتح (١٠/٢٤٤ح٥٧٧٦) كتاب الطب ، باب لاعدوى ، ومسلم (٤/١٣٩٣ح٢٢٢٤) كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل .

[٤] عارضة الأحوذي (٧/١١٧) .

قال الحليمي[١] :(وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل ، لأن التشاؤم سوء الظن بـا لله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مـأمور بحسن الظن بـا لله تعالى على كل حال)[٢].

فالفأل فيه الارتياح والتهنئة والبشرى بالخير ، ولذلك كان يعجب النبي ﷺ بخلاف التطير ففيه الهم والريب والخوف وقلة التوكل ، ولذلك حرمه النبي ﷺ وجعله من الشرك.

.قال ابن القيم رحمه ا لله :

(والمتطير متعب القلب ، منكد الصدر، كاسف البال، سيء الخلق، يتخيل من كل ما يراه أو يسمعه ، أشد الناس خوفاً ، وأنكدهم عيشاً ، وأضيق الناس صدراً وأحزنهم قلباً ، كثير الاحتراز والمراعاة لما لا يضره ولا ينفعه ، وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ ، ومنعها من رزق ، وقطع عليها من فائدة)[٣].

هذا وقد ذكر ابن العربي – رحمه ا لله – أن بعض العبارات قد يفهم منها الطيرة وهي ليست كذلك بل هي مما يجوز قوله، فمن ذلك قول «على اليمن والبركة وعلى خير طائر» و"بالطائر الميمون" وذلك عند رؤية أحد يفعل شيئاً محبوبا له كالزواج ونحوه .

قال ابن العربي – رحمه ا لله – : في معرض كلامه عن ألفاظ الطيرة :

(تتميم : كان هذا هو الأصل في الطيرة فرد ا لله ذلك بالحق الذي بين رسوله ﷺ ورفعه وأبطله، وأبقى من الجائز في الكلام أن تقول إذا رأيت أحداً فعل شيئاً أو

---

[١] هو أبو عبدالله الحسن بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي كان متفننا فاضلاً مناظراً طويل الباع في الأدب والبيان ، توفي سنة ٤٠٣هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣١-٢٣٤) ، وشذرات الذهب (٣/١٦٧) .

[٢] المنهاج في شعب الإيمان ، للحليمي (٢/٢٥) ط/ دار الفكر الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

[٣] مفتاح دار السعادة ص (٥٧٧) .

يفعله مما يحب ويرضى: بالطائر الميمون أو على اليمن طائر)[١].

وقد استدل ابن العربي على جواز ذلك بما ورد في الصحيحين في قصة زواج عائشة رضى الله عنها، وفيه «فإذا نسوة من الأنصار فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر»[٢].

والمراد بقول النسوة في الحديث «على خير طائر» أي على خير حظ وأفضله، فالطائر هنا يراد به الحظ .

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث :

(قولها: «فإذا نسوة من الأنصار فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر» النسوة بكسر النون وضمها ... والطائر الحظ يطلق على الحظ من الخير والشر، والمراد هنا على أفضل حظ وبركة، وفيه استحباب الدعاء بالخير والبركة لكل واحد من الزوجين)[٣].

وقال العيني[٤] في عمدة القارئ :

(قوله : «وعلى خير طائر» : أي قد مت على خير ، وقيل: على خير حظ ونصيب)[٥].

ولعل ابن العربي - رحمة الله - أراد هذا المعنى الذي أشار إليه النووي والعيني، ولذلك صرح بجواز مثل هذه الألفاظ ، واستدل بحديث عائشة رضي الله

---

(١) عارضة الأحوذي (١١٧/٧) .

(٢) أخرجه البخاري الفتح (٢٢٣/٧ح٣٨٩٤)كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج عائشة ، ومسلم (٨٤١/٢ح١٤٢٢)كتاب النكاح باب تزوج الأب البكر الصغيرة .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٢٠٧/٩) . .

(٤) هو أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي العلامة المحدث المؤرخ ، توفي سنة ٨٥٥هـ ، انظر: شذرات الذهب (٢٨٦/٧)، والأعلام (١٦٣/٧) .

(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، للعيني ص(٢٠/١٤) ط/مصطفى اليأبي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ .

عنها المتقدم .

ولاشك في جواز مثل ذلك فإنه ليس من الطيرة في شيء ، وإنما هو دعاء بالتوفيق لخير الحظوظ وأفضلها . والله أعلم .

وقد أشار ابن العربي - رحمة الله - إلى بعض الأحاديث التي ظاهرها جواز الطيرة وأجاب عنها ، فمن ذلك :

١- الحديث الأول :

ما رواه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول :«إنما الشؤم في ثلاثة : في الفرس والمرأة والدار»[١].

فقد ذكر ابن العربي - رحمه الله - أن هذا الحديث قد رواه عدد من الصحابة منهم ابن عمر وجابر وسهل بن سعد ﷺ على اختلاف في ألفاظه . فقد ورد «الشؤم في المرأة والفرس والدار» .

وفي لفظ «إنما الشؤم في المرأة والفرس والدار» . وفي لفظ آخر «إن يك من الشؤم شئ ...» .

وقد أشار ابن العربي إلى اختلاف العلماء في معنى هذا الحديث ، وذكر في ذلك قولين للعلماء :

القول الأول : أن المراد بالحديث الإخبار عما تعتقده أهل الجاهلية[٢].

قلت : وهذا القول مروي عن عائشة رضي الله عنها . فقد كانت تنكر هذا الحديث ، وترى أنه إنما قاله رسول الله ﷺ لبيان اعتقاد أهل الجاهلية .

قال ابن عبد البر: (وكانت عائشة تنكر حديث الشؤم وتقول: إنما حكاه

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٦٠ح٢٨٥٨) كتاب الجهاد ، باب ما يذكر من شؤم الفرس ، ومسلم (٤/١٣٩٣ح٢٢٢٥) كتاب السلام باب الطيرة والفأل .

(٢) انظر: عارضة الأحوذي (١٠/٢٦٤) .

رسول الله ﷺ عن أهل الجاهلية وأقوالهم)[١].

وقد رد ابن العربي - رحمه الله - هذا القول . فقال :-

(والأول ساقط لآن النبي ﷺ لم يبعث ليخبر عن الناس بما كانوا يعتقدونه ، وإنما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم أن يعلموه ويعتقدوه)[٢].

قال ابن القيم :

(ولكن قول عائشة هذا مرجوح ... وهي رضي الله عنها - لما ظنت أن هذا الحديث يقتضي إثبات الطيرة التي هي من الشرك لم يسعها غير تكذيبه ورده ، ولكن الذين رووه ممن لايمكن رد روايتهم ، ولم ينفرد بهذا أبو هريرة وحده ، ولو انفرد به فهو حافظ الأمة)[٣].

القول الثاني : أن معنى هذا الحديث : الإخبار عن حكم الله الثابت في الدار والفرس والمرأة بكون الشؤم فيها عادة أجراها ، وقضاء أنفذه ، ويوجده حيث شاء منها ومتى شاء[٤].

وقد ذكر ابن العربي - رحمه الله - هذا القول[٥]، وسكت عنه . فلم يرده كما رد القول الأول. ولعله - رحمه الله - يرى أن هذا القول هو الأقرب في توجيه هذا الحديث .

قلت : للعلماء - رحمهم الله - في توجيه هذا الحديث ، أقوال كثيرة سوى ماذكر ابن العربي - رحمه الله - فمنهم من قال : أن ما ورد في هذا الحديث مستثنى من الطيرة ، ومنهم من قال: إن إضافة الشؤم إلى هذه الثلاثة من باب المجاز، إلى غير

---

(١) التمهيد (٢٨٨/٩) .

(٢) عارضة الأحوذي (٢٦٤/١٠-٢٦٥) .

(٣) مفتاح دار السعادة ص (٦٠٣) .

(٤) انظر: فتح الباري (٦٣/٦) .

(٥) انظر: عارضة الأحوذي (٢٦٤/١٠) .

ذلك من الأقوال[١].

ولعل قول ابن العربي - رحمه الله - هو أقرب تلك الأقوال في توجيه هذا الحديث، فان الله ﷻ خلق أعيانا مباركة ، فبركتها ظاهرة ومعروفة ، كما أنه خلق أعيانا مشؤومة . فشؤمها ظاهر ، وهو لاحق لمن قاربها.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله :

(فإخباره ﷺ بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانا مشؤومة على من قاربها وسكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولاشر .

وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً نذلاً يريان الشر على وجهه . وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحاس. فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ويقضي بسعادة من قارنها، وحصول اليمن له والبركة ، ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها. وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر)[٢].

٢- الحديث الثاني :

مما ذكره ابن العربي ، وظاهره جواز الطيرة ببعض الأشياء ما رواه أنس ﷺ:

---

[١] انظر في ذلك: شرح النووي على مسلم (١٤/٢١٩-٢٢٠) ، ومفتاح دار السعادة ص (٦٠٤ - ٦٠٦) وفتح الباري (٦/٦٢-٦٤).

[٢] مفتاح دار السعادة ص (٦٠٦) .

قال: (قال رجل: يا رسول الله أنا كنا في دار كثير فيها عددنا وكثير فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا وقلت فيها أموالنا . فقال رسول الله ﷺ : «ذروها ذميمة»[1].

وقد ذكر ابن العربي -رحمه الله - أن هذه الدار كانت دار مكمل بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهما[2].

وقد أجاب ابن العربي - رحمه الله - عن هذا الحديث بقوله :

(فأمرهم بالخروج عنها لاعتقادهم ذلك فيها، وظنهم أن الذهاب للعدد والمال إنما كان منها وليس كما ظنوا ، ولكن الباري تعالى جعل ذلك وقتا لظهور قضائه، فبجهل الخلق نسبوه إلى الجماد ، واقتضت الحكمة الإلهية أن يأمرهم بالخروج عنها لوقوع تعلق الفعل القبيح بها في نفوسهم ، وهذا أمر مقضي أيضاً لا سبيل إلى رده)[3]، وقال أيضاً :(وليس هذا من إضافة الشؤم إلى الدار ولا تعنيقه بها، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها فيخرج المرء عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بباطل)[4].

فابن العربي - رحمه الله - يرى أن النبي ﷺ إنما أمرهم بالخروج منها؛ لأنهم ظنوا أن ما حل بهم إنما كان بسببها ، وليس كما ظنوا، فأمرهم بالخروج لئلا يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم الباطل .

فأمره ﷺ لهم بالخروج عنها ليس من الطيرة وإنما هو صيانة لاعتقادهم عن التعليق بالباطل .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦/٢) كتاب الطب ، باب في الطيرة ، والبيهقي (١٤٠/٨) كتاب القسامة ، باب الضيافة والطيرة وقال الألباني ، اسناده حسن ، كما في تخريجه لمشكاة المصابيح (٥٢٢/٢) .

(٢) انظر: عارضة الأحوذي (٢٦٦/١٠) .

(٣) عارضة الأحوذي (٢٦٥/١٠) .

(٤) المرجع السابق (٢٦٦/١٠) .

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – على هذا الحديث نحوا مما ذكره ابن العربي – فقال في الجواب على هذا الحديث :

(إنه ليس من الطيرة المنهي عنها ، وإنما أمرهم ﷺ بالتحول عن مكان هم له مستثقلون ومنه مستوحشون لما لحقهم فيه ونالهم ليتعجلوا الراحة مما داخلهم من الجزع في ذلك المكان والحزن والهلع ، لأن الله ﷻ قد جعل في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم الشر فيه، وإن كان لا سبب له في ذلك، وحب ما جرى لهم على يده الخير وإن لم يردهم به ، فأمرهم بالتحول مما كرهوه ، إذ كيف يأمرهم بالمقام في مكان قد أحزنهم المقام به لكثرة من فقدوه فيه ، فقد يبعثهم ذلك إلى التشاؤم والتطير)[1].

---

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ص (٦٠٧) ، بتصرف .

المبحث الرابع
الحلف بغير الله

الحلف في اللغة : هو اليمين ، حلف يحلف حلفاً ، وأصلها العقد وأطلقت اليمين على الحلف ، لأنهم كانوا إذا حالفوا اخذ كل بيمين صاحبه . وقيل لأن اليد اليمنى من شأنها حفظ الشيء . فسمي الحلف بذلك لحفظ المحلوف عليه[١].

قال القرطبي رحمه الله :

(اليمين الحلف ، وأصله أن العرب كانت إذا تحالفت أو تعاقدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ، ثم لما كثر ذلك سُمي الحِلفُ والعهد نفسه يميناً ، قيل : يمين فعيل من اليمن ، وهو البركة . سماها الله تعالى بذلك لأنها تحفظ الحقوق . ويمين تذكر وتؤنث وتجمع أيمان وأيمن)[٢].

وأما تعريفها شرعاً :

فقد عرفها ابن العربي ـ رحمه الله ـ بقوله :

(اليمين :خبر يقوم بالقلب عن معنى يلتزمه العبد مربوطاً بإقدام أو إحجام يقع عنه التعبير اللفظي فيخبر بلسانه عما ربَط بقلبه)[٣].

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(وعرفت ـ أي اليمين ـ شرعاً : بأنها توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة الله، وهذا أخصر التعاريف وأقربها)[٤].

---

(١) انظر: القاموس المحيط (١٠٣٥) وفتح الباري (٥١٦/١١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦٨/٣) .

(٣) القبس في شرح الموطأ (٦٦٨/٢) .

(٤) فتح الباري (٥١٦/١١) .

وعرفها ابن قاسم[١] في حاشية الروض بقوله :

(اليمين : توكيد الحكم المحلوف عليه بذكر معظم على وجه الخصوص)[٢].

وإنما اختلف تعريفات العلماء ـ رحمهم الله لليمين ـ تبعاً لاختلافهم حول ماينعقد شرعاً من الأيمان ويوجب الكفارة عند الحنث فيه ، ولهم في ذلك خلاف طويل ، ليس هذا موضعه[٣].

حكم الحلف بغير الله تعالى :

كانت العرب في الجاهلية تعظم غير الله من معبوداتهم وأصنامهم كاللات والعزى وغيرها ، فكانوا إذا أرادوا توكيد أمرٍ مهم من أمورهم حلفوا بأحد تلك الأصنام ، لما لها من تعظيم في نفوسهم، وربما أكدوا ذلك بالحلف بالآباء أو الأمهات وغير ذلك مما له مكانة عندهم .

فلما جاء الله بالإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، بقيت بعض تلك الألفاظ التي اعتادوا عليها عند الحلف على ألسنة البعض ، حتى نهاهم النبي ﷺ عن الحلف بغير الله ﷻ .

قال ابن حجر رحمه الله :

(قال المهلب[٤]: كانت العرب تحلف بآبائها وآلهتها فأراد الله نسخ ذلك من

---

[١] هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، العلامة المدقق المتفنن الفقيه الحنبلي . جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، توفي سنة ١٣٩٢هـ . مقدمة حاشية الروض المربع (١/٣-٧) ، والأعلام (٣/٣٣٦) .

[٢] حاشية الروض المربع (٧/٤٦٤) .

[٣] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣/٢١٨-٢١٩) والمجموع شرح المهذب (١٨/١٢-٢٣) .

[٤] هو أبو القاسم مهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي الأندلسي ، كان من أهل الذكاء المفرط والاعتناء بالعلوم ، له شرح على صحيح البخاري ، توفي سنة ٤٣٥هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٥٧٩) ، وشذرات الذهب (٣/٢٥٥) .

قلوبهم لينسيهم ذكر كل شئ سواه ويبقى ذكره، لأنه الحق المعبود ، فلا يكون اليمين إلا به)[١].

وقد ورد ما يدل على ذلك في قصه عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ حينما أدركه النبي ﷺ وهو يسير في ركب يحلف بأبيه ، فقال رسول ﷺ :«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف با لله أو ليصمت»[٢].

وقال ﷺ :«لا تحلفوا بالطواغي[٣] ولا بآبائكم»[٤].

بل قد ورد الزجر والتشديد في ذلك ، ووصف من فعله بالكفر أو الشرك كما ورد ذلك في حديث ابن عمر ﷺ ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٥].

ومع ورود هذه الأحاديث في الزجر من الحلف بغير الله والتشديد فيه إلا أنه قد وردت أحاديث أخرى ظاهرها جواز الحلف بغير الله كحديث:«أفلح وأبيه إن صدق»[٦] ولذلك اختلف العلماء في حكم الحلف بغير الله على ثلاثة أقوال :

القول الأول :

أن الحلف بغير الله وصفاته لا يجوز مطلقاً ، سواء كان للتعظيم أو غيره ، وهذا

---

(١) فتح الباري (١١/٥٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري الفتح (١١/٥٣٠ح٦٦٤٦) كتاب الإيمان والنذور ، باب لاتحلفوا بآبائكم ، ومسلم (٣/١٠٢٥ح١٦٤٦) كتاب الإيمان ، باب النهي عن الحلف .

(٣) الطواغي : جمع طاغية ، وهي ماكان يعبد من دون الله من الأصنام وغيرها ، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/١٢٨) .

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٠٢٧ح١٦٤٨) كتاب الإيمان ، باب من حلف باللات والعزى .

(٥) أخرجه الترمذي (٤/١١٠ح١٥٣٥) كتاب النذور والأيمان ، باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله. وأبو داود (٢/٢١٩) كتاب الأيمان والنذر ، باب كراهية حلف بالآباء ، وحسنه الترمذي وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/١٨٩ح٢٥٦١) .

(٦) سيأتي تخريجه. انظر ص ٢٦١.

المشهور عند الحنابلة[١] وأحد القولين عند المالكية[٢] وبه قالت الظاهرية[٣]، ورجح هذا القول بعض المحققين كابن عبدالبر[٤] وشيخ الإسلام ابن تيمية[٥] وغيرهما .

وقد استدل أصحاب هذا القول بعموم الأحاديث الواردة في النهي عن الحلف بغير الله ، وقد تقدم بعض منها ، وحملوا النهي الوارد في ذلك على التحريم.

القول الثاني :

أن الحلف بغير الله وصفاته مكروه ، وهو المشهور في مذهب الشافعية[٦] والقول الثاني عند المالكية ، وبه قال بعض الحنفية[٧]، ورجح هذا القول الإمام النووي[٨]، وقد تمسك أصحاب هذا القول ببعض النصوص التي ظاهرها جواز الحلف بغير الله ومن ذلك:

١ـ حديث الرجل الذي سأل عن فرائض الإسلام . فلما أدبر ، قال النبي ﷺ «أفلح وأبيه إن صدق»[٩].

٢ـ ماورد في القرآن من إقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته كقوله تعالى

---

[١] انظر: المغني لابن قدامة (٤٣٦/١٣) ومنار السبيل لابن ضويان (٤٣٤/٢) ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ .

[٢] انظر: التمهيد لابن عبدالبر (٣٦٦/١٤) .

[٣] انظر: المحلى لابن حزم (٢٨١/٦) .

[٤] انظر: التمهيد (٣٦٦/١٤) .

[٥] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٣/٣٥) .

[٦] انظر: المجموع شرح المهذب (١٨/١٨) وشرح صحيح مسلم للنووي (١٠٦/١١) .

[٧] انظر حاشيةابن عابدين (٧٠٥/٣) ط/ مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

[٨] انظر: الأذكار للنووى ص(٥٨٢) تحقيق علي الشربجي وقاسم النوري ، ط/ موسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

[٩] سيأتي تخريجه، انظر ص ٢٦١.

﴿**والشمس وضحاها**﴾[1] وقوله ﴿**والعاديات ضبحاً**﴾[2] ونحو ذلك .

وقد حمل أصحاب هذا القول الأحاديث الواردة في النهي عن الحلف بغير الله على الكراهة جمعاً بينها وبين الأدلة التي ظاهرها الجواز .

القول الثالث :

أن الحلف بغير الله وصفاته جائز بلا كراهة، وإلى ذلك ذهب كثير من الحنفية، وخاصة المتأخرين منهم.

وقد استدل أصحاب هذا القول ببعض النصوص التي ظاهرها جواز الحلف بغير الله ، وقد تقدم ذكر بعضها ، ومع هذا الخلاف بين العلماء ـ رحمهم الله ـ إلا أنهم قد اتفقوا جميعاً على أن من حلف بغير الله معتقداً تعظيم المحلوف به تعظيماً يصل إلى حد تعظيم الله ، فإنه يكفر بذلك[3].

رأي ابن العربي في حكم الحلف بغير الله :

تعرض ابن العربي ـ رحمه الله ـ لمسألة الحلف بغير الله تعالى ، وذلك في عدة مواضيع من كتبه بحسب ما يعرض من مناسبة لذلك ، ومن خلال تتبع كلام ابن العربي حول هذه المسألة ، يتضح أن كلامه فيها ليس على درجة واحدة ، وإنما يختلف ذلك باختلاف المحلوف به وقصد الحالف وما يتعلق بقلبه من تعظيم ، ولعل ذلك يتضح بما يلي :

أولاً : الحلف بالأصنام :

يذهب ابن العربي ـ رحمه الله ـ إلى التفصيل في حكم من حلف بالأصنام كاللات والعزى ونحوهما من الأصنام ، فيرى أن ذلك على قسمين :

١ـ من حلف بالأصنام مؤكداً يمينه بذلك على وجه التعظيم لها ، فهذا عند ابن

---

(١) سورة الشمس آية (١) .

(٢) سورة العاديات آية (١) .

(٣) انظر: فتح الباري (٥٣١/١١) ، السيل الجرار للشوكاني (١٦/٤).

العربي كافر خارج من دين الإسلام .

يقول ابن العربي في بيان ذلك :

(فمن قال في الإسلام في يمينه: واللات والعزى، مؤكداً ليمينه بذلك على معنى التعظيم فيه كافر حقيقة)[١].

فقد صرح ابن العربي ـ رحمه الله ــ بتكفير من حلف بالأصنام معظماً لها بذلك الحلف .

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي ــ رحمه الله ــ من تكفير من حلف بالأصنام هو الحق الذي يجب الأخذ به ، وذلك أن الأصنام مذمومة شرعاً لما لها من المكانة والتعظيم في نفوس المشركين ، حتى صرفوا لها العبادة من دون الله تعالى، فمن حلف بها معظماً لها فقد ضاهى المشركين، ووقع في صريح الكفر الذي كان عليه أهل الجاهلية .

قال ابن رشد في معرض كلامه عن أقسام اليمين :

(والمحظور أن يحلف باللات والعزى والطواغيت أو بشيء مما يعبد من دون الله تعالى؛ لأن الحلف بالشيء تعظيم له ، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى)[٢].

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: (الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره)[٣].

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه على من حلف بالأصنام أو قال هو كافر إن فعل كذا ونحو ذلك من الألفاظ :

---

(١) عارضة الأحوذي (١٧/٧) .

(٢) مقدمات ابن رشد ص (٣٠٩) ط/ مطبعة السعادة بمصر.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٥/١١) .

(والتحقيق التفصيل، فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر ...)[١].

وأما ما أطلقه بعض العلماء من أنه لا يحكم عليه بالكفر إلا إذا اعتقد في المحلوف من التعظيم ما يعتقده في الله تعالى ، كقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(فإن اعتقد في المحلوف من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به وكان بذلك الاعتقاد كافراً)[٢] فذلك محمول على من حلف بمعظم شرعاً كالأنبياء والملائكة ونحوهم ، بخلاف ما هو مذموم شرعاً كالأصنام؛ فإنه لا يشترط في كفر من حلف بها المساواة في التعظيم بل مجرد وجود تعظيمها في القلب كفر مخرج من الملة، والله اعلم .

٢ـ من حلف بالأصنام على وجه السهو والنسيان من غير تعمد فهذا لايكفر عند ابن العربي بل ولا يؤاخذ ، لأنه لم يقصد ذلك، وإنما جرى على لسانه سهواً ، إلا أنه يؤمر بقول لا إله إلا الله ليرد قلبه إلى الذكر ولسانه إلى الحق .

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه عن الحلف بالأصنام :

(وإن قالها ـ أي واللات والعزى ـ ناسياً لعادة جرت كما في صدر الإسلام، أو لسهو عرض فليقل لا إله إلا الله ، فإن ذلك يكفره عنه وإن كان غير مؤاخذ به ، ولكن شرع له هذا القول ليبين أن ذلك كان سهواً فيرد قلبه إلى الذكر ولسانه إلى الحق تطهيراً مما جرى عليه من لغو الباطل والكفر)[٣].

فابن العربي ـ رحمه الله ـ يرى أن من أقسم باللات والعزى سهواً ونسياناً فإنه لا يؤاخذ على ذلك ، وإنما يكفيه ـ عنده ـ أن يقول لا إله إلا الله .

وقد استدل ابن العربي على ذلك بقوله ﷺ «من حلف فقال في حلفه باللات

---

(١) فتح الباري (٥٣٩/١١) .

(٢) فتح الباري (٥٣١/١١) وانظر: السيل الجرار (١٦/٤) .

(٣) عارضة الأحوذي (١٧/٧-١٨) .

والعزى فليقل لا اله إلا الله»(١).

وما قرره ابن العربي ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة هو الحق الذي تدل عليه النصوص ، فإن الله ﷻ لايؤاخذ على السهو والنسيان من غير تعمد للفعل أو القول، كما قال تعالى ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾(٢).

وقد ورد في الأحاديث «أن الله تعالى قال: قد فعلت»(٣) وروي عن النبي ﷺ انه قال: «إن الله تعالى وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(٤).

قال في التيسير عند الحديث «من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله» (غاية مايقال : إن من جرى ذلك على لسانه من غير قصد معفو عنه أما أن يكون ذلك أمراً جائزاً للمسلم أن يعتاده فكلا)(٥).

وقال ابن حجر: (إنما أمر الحالف بذلك بقول لا إله إلا الله لكونه تعاطى صورة تعظيم الصنم حيث حلف به)(٦).

ومما تقدم تتضح صحة ما ذهب إليه ابن العربي ـ رحمه الله ـ فيمن حلف بالأصنام معظماً لها ومن حلف بها سهواً ونسياناً، وموافقته في ذلك لما ورد من النصوص الصحيحة، والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري الفتح (١١/٥٣٦ح٦٦٥٠) كتاب الأيمان ، باب لايحلف باللات والعزى ، ومسلم (٣/١٠٢٦ح١٦٤٧) كتاب الأيمان باب من حلف باللات والعزى .

(٢) سورة البقرة آية (٢٨٦) .

(٣) أخرجه الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً (٥/٢٢١ح٢٩٩٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة ، ومسلم موقوفاً على ابن عباس ﷺ (١/١٠٨ح١٢٦) كتاب الأيمان باب بيان أنه ﷺ لم يكلف إلاما يطاق.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/٦٥٩ح٢٠٤٥) كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٧٥ح١٨٣٦) وانظر: الإرواء (١/١٢٣) .

(٥) تيسير العزيز الحميد ص(٥٩١-٥٩٢) .

(٦) فتح الباري (١١/٥٣٦) .

ثانياً : الحلف بالآباء ونحوهم :

تكلم ابن العربي ـ رحمه الله ـ عن مسألة الحلف بالآباء ونحوهم من الأجداد والأمهات ، وذلك من خلال شرحه للنصوص الواردة في ذلك في عدة مواضيع من كتبه ، ويتأمل كلامه ـ رحمه الله ـ في تلك المواضع المختلفة ، يتضح ـ والله أعلم ـ أنه يذهب إلى التفصيل في ذلك : فيفرق بين من حلف بالآباء على سبيل العبادة والتعظيم ، وبين من وقع ذلك منه عادة لا عبادة ، وقد أشار إلى ذلك في معرض جمعه بين أحاديث النهي عن الحلف بغير الله وما ورد من قوله ﷺ «أفلح وأبيه إن صدق»(١) فقال (إن النبي ﷺ إنما نهى عنه ـ يعني الحلف بغير الله ـ عبادة، فإذا جرى ذلك على الألسن عادة فلا يمنع، فقد كانت العرب تقسم في ذلك بما تكره فكيف بمن تعظم ... وإذا كان هذا شائعاً كان من هذا الوجه سائغاً)(٢).

وفي موضع آخر قال عند حديث «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم...»(٣): (إنما مخرجه صرف النفوس عن تعظيم غير الله وإنزال شيء منزلته في تأكيد الخبر حتى إذا صدقت على ذلك لم يبال العبد أن يكون نطق بهذا اللفظ... وقد كان الشعراء يقولون: فلا وأبي فإذا جرى ذلك على هذا خرج عن النهي)(٤).

فقد صرح ابن العربي ـ رحمه الله ـ أن الحلف بالآباء لايجوز إذا كان له تعلق بالعبادة ، وأما إن كان ذلك عادة جرت على اللسان من غير قصد للعبادة ، فهذا جائز عند ابن العربي كما تقدم .

وقد حمل ابن العربي الأحاديث الواردة في النهي عن الحلف بالآباء ونحوهم على من فعل ذلك عبادة كما كان يفعل أهل الجاهلية، ولذلك قرر ـ رحمه الله ـ أن

---

(١) سياتي تخريجه، انظر ص ٢٦١.

(٢) أحكام القرآن (٣٩٦/٤-٣٩٧) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) عارضة الأحوذي (٢١/٧) .

النهي عن الحلف بالآباء كان في صدر الإسلام والناس حديثو عهد بالجاهلية ونفوسهم مملوءة من تعظيم غير الله ، فقال عند حديث :«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[١]. وإنما كان ذلك في صدر الإسلام إبان كانت نفوسهم مملوءة من تعظيم غير الله تعالى فنهوا أن يعظموا غيره ، فلما امتلأت صدورهم من تعظيم الله ﷻ، وتيقنوا أنه لا عظيم سواه رخص لهم في استرسال الألسنة على الأقسام بما شاءوا من كلام ما لم يكن ذلك من قبل الأصنام)[٢].

وأما أدلة ابن العربي على جواز ذلك إذا وقع عادة لا عبادة فتتخلص فيما يلي:

١ـ قوله ﷺ للرجل الذي سأل عن فرائض الإسلام «أفلح وأبيه إن صدق»[٣].

وقد أشار ابن العربي إلى هذا الدليل في عدة مواضيع ، وقد تقدم بعضها[٤].

٢ـ قول أبي بكر الصديق ﷺ ـ للسارق (وأبيك ماليلك بليل سارق)[٥].

وقد أشار ابن العربي إلى ذلك بقوله بعد تقريره لجواز ذلك إذا لم يكن عن عبادة (وفي الموطأ أن أبا بكر الصديق قال في حديث البخاري[٦] (وأبيك ماليث بمال سارق)[٧].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) القبس شرح الموطأ (٣٦٩/١) .

(٣) سياتي تخريجه، انظر ص ٢٦١.

(٤) انظر: أحكام القرآن (٣٦٩/٤) والعارضة (٢١/٧) .

(٥) سيأتي تخريجه، انظر ص ٢٦٣.

(٦) هذا الأثر لم أعثر عليه عند البخاري ولانسبه إليه ابن حجر حينما تكلم في التلخيص (٣/ ٧٠) ولا ابن التركماني كما في الجوهر النقي على سنن البيهقي (٢٧٣/٨) ولعل كلمة (البخاري) قد تصحفت عن (السارق) والله أعلم .

(٧) هكذا في عارضة الأحوذي (٢١/٧) وهو تحريف ، والصواب هو اللفظ المتقدم كما في الموطأ (٢/ ٨٣٥).

وبهذا يتضح حكم الحلف بالآباء ونحوهم عند ابن العربي – رحمه الله – وأن الممنوع عنده هو الحلف بالآباء على سبيل التعظيم والعبادة كما كان يفعل أهل الجاهلية ، وأما ما وقع من ذلك لعادة درجت على الألسنة فلا مانع من ذلك -عنده- بل يرى أن ذلك جائز غير داخل في النهي .

وما قرره ابن العربي - رحمه الله - في هذه المسألة فيه نظر ، فإن أحاديث النهي عن الحلف بغير الله صريحة في ذلك ولم يستثن من ذلك النهي شيء البتة .

ونحن وإن اتفقنا مع ابن العربي في جزمه بتحريم ما كان من ذلك على سبيل العبادة والتعظيم ، إلا أننا لا نوافقه في الشق الآخر من هذه المسألة ، وهو إباحته ما كان من ذلك على سبيل العادة ، إذ أن ذلك مخالف للنصوص الصريحة في النهي عن الحلف بغير الله ، كما تقدم .

وقد أنكر النبي ﷺ على عمر ﷺ لما حلف بأبيه ولم يعذره لاعتياده على ذلك ومن المعلوم أن عمر لا يمكن أن يقع منه ذلك بقصد العبادة .

ولذلك ذهب جمهور العلماء إلى القول بالتحريم مطلقاً من غير استثناء شيء من ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي واحمد، وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك)[١].

وقال ابن قدامة - رحمه الله -: (ولايجوز الحلف بغير الله تعالى وصفاته نحو أن يحلف بأبيه أو الكعبة أو صحابي أو إمام)[٢].

وقال ابن حزم - رحمه الله - :(لا يمين إلا بالله ﷻ ، إما باسم من أسمائه تعالى أو بما يخبر به عن الله تعالى ولايراد به غيره ... وأما من حلف بغير ما ذكرنا – أي

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠٤/١) .

(٢) المغني لابن قدامة (٤٣٦/١٣) .

شيء كان لا تحاش شيئاً ـ فليس حالفاً ... وهو عاص لله تعالى فقط وليس عليه إلا التوبة والاستغفار)[١].

بل نقل بعض العلماء الإجماع على ذلك كما قال ابن عبدالبر –رحمه الله–:

(لا يجوز الحلف بغير الله ـ ﷻ ـ في شيء من الأشياء ، ولا على أي حال من الأحوال ، وهذا أمر مجمع عليه)[٢].

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله :

(اعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بأسماء الله وصفاته ، فلا يجوز القسم بمخلوق ، لقوله ـ ﷺ ـ«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٣] ولا تنعقد يمين بمخلوق كائناً من كان، كما أنها لا تجوز بإجماع من يعتد به من أهل العلم، وبالنص الصحيح الصريح في منع الحلف بغير الله)[٤].

الجواب عن الأدلة التي استدل بها ابن العربي :

سبق أن ذكرت أن ابن العربي ـ رحمه الله ـ استدل على جواز الحلف بالآباء إذا وقع لعادة جرت بدليلين :

الأول : قوله ﷺ للرجل الذي سأل عن شرائع الإسلام: (أفلح وأبيه إن صدق) وهذه اللفظة قطعة من الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن طلحة بن عبيد الله ﷺ : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ، ثائر الرأس نسمع دويَّ صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من الرسول ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ «خمس صلوات في اليوم والليلة» ، فقال هل عليَّ غيرهن؟ قال: «لا، إلا أن

---

(١) المحلى (٢٨١/٦) .

(٢) التمهيد (٣٦٦/١٤) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) أضواء البيان (١٢٣/٢) .

تطوع، وصيام شهر رمضان» ، فقال هل علّي غيره؟ فقال :«لا ، إلا أن تطوع». وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال هل علّي غيرها؟ قال :«لا ، إلا أن تطوع» قال، فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: «افلح إن صدق»[١]، وفي رواية أخرى لمسلم «أفلح وأبيه أن تصدق» أو «دخل الجنة وأبيه إن صدق»[٢].

وللعلماء ـ رحمهم الله في توجيه قوله ﷺ «وأبيه» أجوبة كثيرة ، فمن ذلك:

١ـ أن لفظه «وأبيه» قد تصحفت عن «والله» .

٢ـ أن ذلك إنما وقع قبل النهي ثم نسخ بأحاديث النهي عن الحلف بغير الله.

٣ـ أن هذه اللفظة جارية على اللسان عادة ، لا يقصد بها الحلف الذي هو عبادة ، وما كان كذلك خرج عن النهي .

قلت: هذه الأقوال الثلاثة قد أشار إليها ابن العربي[٣] ـ رحمه الله ـ : ورجح القول الثالث منها كما تقدم[٤].

٤ـ أن لفظة (وأبيه) ليست صحيحة .

٥ـ أن فيه إضمار اسم الرب فكأنه قال : ورب أبيه.

إلى غير ذلك من الأجوبة الكثيرة التي ذكرها العلماء وأودعوها مصنفاتهم[٥]، ولعل أقرب هذه الأجوبة هو القول الثاني ، وهو أن ذلك إنما وقع قبل النهي ثم نسخ ذلك بأحاديث النهي عن الحلف بغير الله ، وذلك أن الحلف بغير الله كان جارياً

---

(١) أخرجه البخاري الفتح (١/١٠٦ح٤٦) كتاب الأيمان باب الزكاة من الإسلام ، ومسلم (١/٤٩ح١١) كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .

(٢) أخرجه مسلم (١/٤٩ح١١) كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .

(٣) انظر: أحكام القرآن (٤/٣٩٦-٣٩٧) وعارضة الأحوذي (٧/٢١) .

(٤) انظر: ص ٢٥٨.

(٥) انظر: التمهيد (١٤/٣٦٧) والمجموع شرح المهذب (١٨/١٩) ، والمغني (١٣/ ٤٣٨) ، وشرح مسلم للنووي (١/١٦٨) وفتح الباري (١/١٠٧ ، ١١/٥٣٣) .

عنى ألسنتهم فتركوا حتى استقر الإيمان في نفوسهم ثم نهوا عن ذلك ، ونظير ذلك إقرارهم على شرب الخمر أولاً ثم أمروا باجتنابه[١].

وهذا القول هو الذي رجحه كثير من المحققين كالماوردي[٢] والبيهقي وابن قدامه[٣] وغيرهم ، بل قال السبكي[٤]: (أكثر الشراح عليه)[٥].

فأما القول بان لفظة (وأبيه) مصحفة عن (والله) فبعيد لنقل الرواة له كذلك، وأيضاً لو أمكن ذلك في هذه اللفظة لم يمكن في نظائرها كقوله ﷺ في حديث الصدقة: «أما وأبيك لتنبأنه»[٦].

وأما القول بأن ذلك لعادة جرت من غير قصد للحلف وهو اختيار ابن العربي فغير صحيح لما تقدم[٧].

وأما القول بأن لفظة (وأبيه) غير صحيحة فضعيف ، لأن الحديث ثابت من رواية الثقات ، ثم إن ذلك لو قيل هنا ، فلا يمكن أن يقال في حديث الصدقة المتقدم، وأما من قال أن في الحديث إضمار اسم الرب ، فهذا احتمال مخالف لظاهر اللفظ ومثل هذا لايبنى على احتمال[٨] ، والله أعلم .

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص(٥٩٢) والقول المفيد شرح كتاب التوحيد (٣٢٦/٢-٣٢٧) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردى الشافعي القاضي ، صاحب التصانيف ، كان رجلاً عظيم القدر مقدماً عند السلطان توفي سنه٤٥٠هـ سير اعلام النبلاء (٦٤/١٨-٦٨) وشذات الذهب (٢٨٥/٣-٢٨٦) .

(٣) انظر: المغنى (٤٣٨/١٣) .

(٤) هو أبو الحسن علي بن عبدالكافي بن علي السبكي الشافعي ، فقيه محدث مفسر ، توفي بمصر سنه ٧٥٦هـ، البداية والنهاية (٢٦٤/١٤) والأعلام (٣٠٢/٤) .

(٥) انظر: فتح الباري (٥٣٤/١١) وتيسير العزيز الحميد ص(٥٩٢) .

(٦) أخرجه مسلم (٥٩١/٢ح١٠٣٢) كتاب الزكاة ، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح .

(٧) انظر: ص ٢٥٩.

(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد ص(٥٩١-٥٩٢) والقول المفيد (٣٢٧/٢-٣٢٨) .

الثاني : قول أبي بكر الصديق ـ ﷺ ـ للسارق (وأبيك ماليلك بليل سارق).

وهذا الأثر قد رواه مالك في الموطأ[١] والبيهقي في السنن[٢] عن القاسم بن محمد[٣] (أن رجلاً من أهل اليمن ، اقطع اليد والرجل ، قدم ، فنزل على أبي بكر فشكا إليه أن عامل اليمن قد ظلمه ، فكان يصلي من الليل فيقول أبو بكر وأبيك ماليلك بليل سارق ، ثم انهم فقدوا عقداً لأسماء بنت عميس امرأة أبي بكر الصديق، فجعل الرجل يطوف معهم ويقول : اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح ، فوجدوا الحُليَّ عند صائغ ، زعم أن الأقطع جاءه به ، فاعتف به الأقطع ، أو شهد عليه به ، فأمر به أبو بكر الصديق فقطعت يده اليسرى ، وقال أبو بكر : ا لله لدعائه على نفسه أشد عندي عليه من سرقته).

وقد أجيب عن ذلك بما يلي :

١ـ أن هذا الأثر ضعيف لانقطاعه ، فان القاسم بن محمد لم يسمع من أبي بكر الصديق ﷺ [٤].

٢ـ أنه قد روي هذا الأثر من غير ذكر الحلف بغير ا لله ، كما في الرواية الأخرى عند البيهقي وغيره[٥].

٣ـ أن هذا الأثر لو صح فهو معارض لما تقدم من الأحاديث الصحيحة الصريحة

---

[١] انظر: الموطأ (٢/٨٣٥) كتاب الحدود باب جامع القطع .

[٢] انظر: السنن الكبرى (٨/٢٧٣) كتاب السرقة ، باب السارق يعود فيسرق .

[٣] هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر ـ ﷺ ـ من أعيان التابعين كان ثقة رفيعاً عالماً فقيهاً إماماً ورعاً كثير الحديث توفي سنة١٠٦هـ ، سير أعلام النبلاء (٥/٥٣) ، وتهذيب التهذيب (٨/٣٣٣) .

[٤] انظر: التلخيص الحبير (٤/٧٠) والجوهر النقي مع السنن الكبرى (٨/٢٧٣) .

[٥] انظر: السنن الكبرى (٨/٢٧٤) وأخرج هذه الرواية أيضاً عبدالرزاق في مصنفه (١٠/١٨٨) .

في النهي عن الحلف بغير الله تعالى[١].

وقد استدل بعض المجيزين للحلف بغير الله بدليل ثالث سبق أن أشرت إليه عند ذكر أقوال العلماء في هذه المسألة ، وهو : ماورد في القرآن الكريم من أقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته كقوله تعالى ﴿**والليل إذا يغشى**﴾[٢] وقوله ﴿**والشمس وضحاها**﴾[٣] وقوله ﴿**والسماء ذات البروج**﴾[٤] ونحو ذلك :

وقد أجيب عن ذلك بما يلي :

١ـ أن ذلك مختص بالله ﷻ ، فله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لدلالتها على قدرته ووحدانيته، فلا يقاس به غيره من خلقه .

٢ـ أن الكلام فيه إضمار كلمة (رب) والتقدير ، ورب الليل ، ورب الشمس، ونحو ذلك[٥].

والجواب الأول هو الأقرب ، وهو المروي عن بعض السلف كالشعبي[٦] وغيره[٧].

---

[١] انظر: ص ٢٥١.

[٢] سورة الليل آية (١) .

[٣] سورة الشمس آية (١) .

[٤] سورة البروج آية (١) .

[٥] انظر: المغني (٤٣٨/١٣) ، وفتح الباري (٥٣٣/١١) .

[٦] هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري الكوفي ، القاضي الحافظ كان كثير العلم عظيم الحلم . لقى عدداً من الصحابة ـ ﷺ ـ وسمع منهم، توفي سنة ١٠٤هـ ، تهذيب التهذيب (٦٥/٥-٦٩) ، وأخبار القضاة لابن حيَّان (٤١٣/٢-٤٢٨) .

[٧] انظر: تيسير العزيز الحميد ص(٥٩٠) .

ومما تقدم يتضح أن استدلال ابن العربي وغيره من المجيزين للحلف بغير الله بهذه الأدلة لم يقع موقعه ، إذ إن هذه الأدلة منها ماهو منسوخ، ومنها ماهو خاص بالله تعالى، ومنها ماهو ضعيف لا يحتج به والله تعالى أعلم .

الباب الثالث

توحيد الأسماء والصفات

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : موقف ابن العربي من أسماء الله تعالى .

الفصل الثاني : موقفه من الصفات .

الفصل الثالث: موقفه من رؤية الله تعالى .

الفصل الرابع: موقفه من قضاء الله وقدره .

الباب الثالث

توحيد الأسماء والصفات

تمهيد :

المراد بتوحيد الأسماء والصفات في اللغة والشرع :

أولاً : التعريف اللغوي للاسم والصفة :

الاسم مشتق من (سموت) وهو من العلو . لأنه تنويه ودلالة على المعنى. واسمٌ: تقديره افعٌ والذاهب منه الواو، وجمعه أسماء ، وتصغيره سُمَيٌّ[1].

قال الجوهري :

(والاسم : مشتق من سموت ، لأنه تنويه ورفعة)[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه يرحمه الله:

(وهو- أي الاسم - مشتق من (السمو) وهو العلو ، كما قال النحاة البصريون وقال النحاة الكوفيون هو مشتق من (السمة) وهى العلامة ، وهذا صحيح في(الاشتقاق الأوسط) وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما، فإنه في كليهما (السين والميم والواو) والمعنى صحيح فإن السمة والسيما العلامة.

ومنه يقال : وسمته اسمه كقوله ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾[3] ومنه التوسم كقوله:(**لآيات للمتوسمين**)[4].

لكن اشتقاقه من (السمو) هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في

---

(١) انظر: لسان العرب (١٤/٤٠١).

(٢) الصحاح للجوهري (٦/٢٣٨٣) .

(٣) سورة القلم (١٦).

(٤) سورة الحجر (٧٥).

الحروف وترتيبها، ومعناه أخص وأتم ، فإنهم يقولون في تصريفه سميت ولا يقولون وسمت، وفي جمعه أسماء لا أوسام ، وفي تصغيره سُمَيٌّ لا وسيم ، ويقال لصاحبه: مسمى لا يقال: موسوم وهذا المعنى أخص) [١]

وأما الصفة ، فأصلها : وصف ، فالهاء عوض عن الواو. ومنه وصفت الشيء وصفاً وصفة.

قال الجوهري: (والصفة كالعلم والسواد ، وأما النحويون فليس يريدون بالصفة هذا ، لأن الصفة عندهم هي النعت ، والنعت هو اسم الفاعل نحو ضارب ، أو المفعول نحو مضروب، أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو مثل وشبه وما يجري مجرى ذلك)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف ، كقول الصحابي في ﴿قل هو الله أحد﴾[٣] أحبها لأنها صفة الرحمن[٤]، وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام كالعلم والقدرة)[٥] .

ثانياً : التعريف الشرعي للاسم والصفة :

١) أسماء الله تعالى هي : كل ما دل على ذات الله من صفات الكمال القائمة به مثل القادر، العليم ،السميع، الحكيم ، البصير ، فإن هذه الأسماء دلت على

---

[١] فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٢٠٧) .

[٢] الصحاح للجوهري (٤/١٤٣٩) وانظر: معجم مقاييس اللغة (٦/١١٥)

[٣] سورة الاخلاص آية (١) .

[٤] أخرجه مسلم (١/٤٦٦ح٨١٣) كتاب صلاة المسافرين باب فضل قل هو الله أحد ولفظه (أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال (سلوه لأي شيء يصنع ذلك ...)

[٥] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٣/٣٣٥)

ذات الله، وعلى ماقام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر .

٢) صفات الله تعالى هي : نعوت الكمال القائمة بالذات ، كالعلم والحكمة والسمع والبصر.

فالاسم دل على أمرين ، والصفة دلت على أمر واحد ، والاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم[1].

الفرق بين الاسم والصفة :

١) أن الأسماء يشتق منها صفات ، أما الصفات فلا يشتق منها أسماء، فتشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم صفات الرحمة والقدرة والعظمة لكن لا تشتق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر.

٢) أن الاسم لا يشتق من أفعال الله ، فلا نشتق من كونه يحب ويكره ويغضب اسم المحب والكاره والغاضب ، أما صفاته فتشتق من أفعاله فنثبت له صفة المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال.

٣) أن أسماء الله ﷻ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها ، لكن تختلف في التعبد والدعاء ، فيتعبد الله بأسمائه ، فنقول : عبد الكريم ،عبد الرحمن، لكن لا يتعبد بصفاته فلا نقول عبد الكرم ، وعبد الرحمة ، وعبد العزة ، كما أنه يدعى الله بأسمائه ، فنقول: يارحيم ! ارحمنا ، وياكريم ! اكرمنا ، ولكن لاندعو صفاته فنقول يارحمة الله ! ارحمنا أو يا كرم الله ، وذلك لأن الصفة ليست هي الموصوف ، فالرحمة ليست هي الله ، بل هي صفة لله وكذلك العزة وغيرها[2].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١١٦/٣)

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١٦٢/١) وانظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف ص (١٦-١٧) ط/ دار الهجرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

ثالثا : تعريف توحيد الأسماء والصفات شرعاً :

توحيد الأسماء والصفات هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة ،وأنه سميع بصير رؤوف رحيم، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون.

وهذا التوحيد هو أجل المعارف لأنه معرفة لله بأسمائه وصفاته ، وعلى هذه المعرفة تبنى العبادة . فإذا لم يعرف العبد ربه فكيف يعبده؟ لذا استفاضت الأدلة بذكره ﷻ . وذلك لشدة حاجة النفوس إلى معرفته[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات ، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه ، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه)[2] .

---

[1] انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٤

[2] درء التعارض (٣٣١/٣)

الفصل الأول

موقف ابن العربي من أسماء الله تعالى

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: طرق إثبات أسماء الله عند ابن العربي.

المبحث الثاني: عدد أسماء الله عند ابن العربي.

المبحث الثالث: تعيين الأسماء الحسنى عند ابن العربي.

المبحث الرابع: مراد ابن العربي بالاسم الأعظم.

المبحث الخامس: موقفه من اسم الجلالة (النور).

المبحث الأول
طرق إثبات أسماء الله عند ابن العربي

يذهب ابن العربي رحمه الله – إلى أن أسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت إلا من جهة الشرع، ولا تطلب إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول ابن العربي رحمه الله :

(والذي أدلكم عليه أن تطلبوها – يعني الأسماء الحسنى – من الكتاب والسنة فإنها مخبوءة فيهما كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم ، وليلة القدر في الشهر رغبة ، والكبائر في الذنوب رهبة ، لتعم العبادات اليوم بجميعه والشهر بكليته ، وليقع الاجتناب لجميع الذنوب، وكذلك أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية، لندعوه بجميعها فنصيب الموعود به فيها ...)[1] .

فابن العربي بهذا الكلام يصرح بأن أسماء الله تعالى لا تطلب إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهي مخبوءة فيهما

وظاهر كلام ابن العربي أن الأسماء الكلية – شاملة للأسماء الحسنى ولغيرها مما ليس من الأسماء الحسنى . وهذا فيه نظر ، وسيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني ان شاء الله تعالى والذي يهمنا هنا أمران :

الأمر الأول : طريقة ابن العربي –رحمه الله– في استنباط الأسماء من الكتاب والسنة ، وهذه الطريقة أشار إليها ابن العربي ، فذكر أن له في استنباط الأسماء من الكتاب والسنة ثلاثة مسالك:

١ـ ما ورد من أسماء الله تعالى على لفظه في كتاب أو سنة ، فيثبت كما ورد.

٢ـ ما ورد من أفعال الله تعالى على لفظه في الكتاب أو السنة فيشتق من كل

---

(١) أحكام القرآن (٢/٣٤٠)

فعل ما يناسبه من الأسماء .

٣ـ ما ورد من أسماء الله تعالى مضافاً في الكتاب أو السنة. فجرد من الإضافة.

يقول ابن العربي في معرض تعداده لأسماء الله تعالى :

(ومن هذا – أي من الأسماء – ما جاء على لفظه في كتاب الله وسنة رسوله ، ومنها ما اخذ من فعل ، ومنها ما جاء مضافا فذكره مجرداً عن الإضافة ، وكذلك وجدناه في سائر الأسماء المتقدمة، فهذه هي الأسماء المعدودة بصفاتها قرآناً وسنة)[1].

هكذا يقرر ابن العربي طريقته في استنباط أسماء الله تعالى من الكتاب والسنة ويذكر المسالك التي أخذ بها في ذلك .

ونحن وإن اتفقنا مع ابن العربي -رحمه الله- في أصل هذه المسألة وهو التوقف في إثبات أسماء الله تعالى على ما ورد في الكتاب والسنة ، غذ هو المنهج الصحيح الذي اخذ به أهل السنة والجماعة كما سيأتي . إلا أننا لا نوافقه في جميع هذه المسالك التي اخذ بها في استنباطه للأسماء من الكتاب والسنة وخاصة ما يتعلق بالمسلك الثاني ، وهو اشتقاقه للأسماء من أفعال الله الواردة في الكتاب والسنة.

فابن العربي رحمه الله قد جعل ذلك المسلك من المسالك التي تثبت عن طريقها أسماء الله تعالى من الكتاب والسنة . ولذلك ذكر جملة من الأسماء التي لم ترد على لفظها في كتاب أو سنة وإنما هي مما اشتقت من أفعال الله تعالى . كالقاضي والفاتن والكائن والزارع وغيرها.[2]

وقد احتج ابن العربي على جواز اشتقاق أسماء الله تعالى من أفعاله الواردة في الكتاب والسنة، بان هذه الطريقة هي طريقة الصحابة رضوان الله عليهم وطريقة علماء الإسلام .

فقال رحمه الله في معرض تقريره لذلك :

(والذي يعضد ذلك أن الصحابة وعلماء الإسلام حين عددوا الأسماء ذكروا

---

(١) أحكام القرآن (٣٤٣/٢) .

(٢) انظر: المرجع السابق (٣٤٣/٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨)

المشتق والمضاف والمطلق في مساق واحد إجراء على الأصل) [١]

فقد ادعى ابن العربي بان تلك الطريقة هي التي كان عليها الصحابة وعلماء الإسلام، وذكر أنهم لما عددوا الأسماء لم يفرقوا بين المشتق وغيره من الأسماء . ومراده بالمشتق هنا ما كان اشتقاقه من أفعال الله . لما تقدم من تقييده بذلك في سياق طريقته في استنباط الأسماء من الكتاب والسنة .

وما ذهب إليه ابن العربي من جواز اشتقاق أسماء الله تعالى من أفعاله مذهب خاطئ مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ، من وجوب التوقف في إثبات أسماء الله على ما ورد بلفظه في كتاب أو سنة ، مما سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ .

قال ابن القيم رحمه الله :

(لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً ان يشتق له منه اسم مطلق كما غلط بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قوله ، فان هذه الأسماء لم يطلق عليه منها إلا أفعال مخصوصة معينة ، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة)[٢]

وقال أبو سليمان الخطابي[٣] :

(من علم هذا الباب ،أعني:الأسماء والصفات ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائطه ، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام)[٤] .

وأما دعوى ابن العربي رحمه الله بان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وعلماء

---

[١] المرجع السابق (٣٣٨/٢)

[٢] بدائع الفوائد (١٦٢/١)

[٣] هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي العلامة ، حافظ فقيه أديب محدث ، صاحب التصانيف المشهورة ، توفي سنة٣٨٨هـ ، سيرأعلام النبلاء (٢٣/١٧-٢٨) ، وشذرات الذهب (١٢٧/٣-١٢٨) .

[٤] شأن الدعاء للخطابي ص (١١١) ط/ دار المأمون ١٤٠٤هـ ، وانظر: فتح الباري (٢٢٣/١١)

الإسلام عددوا الأسماء فذكروا من جملة ذلك الأسماء المشتقة ، فهي دعوى باطنة . ولذلك لم يذكر ابن العربي عن أحد من الصحابة أو غيرهم من السلف ما يؤيد صحة ما دعاه من أن تلك هي طريقتهم .والذي ثبت عنهم هو خلاف ذلك ، كما تقدم ، والله أعلم .

الأمر الثاني : هل التزم ابن العربي ـ رحمه الله ـ بما صرح به من أن أسماء الله تعالى توقيفية لا تطلب إلا من الكتاب والسنة .

الواقع أن ابن العربي رحمه الله لم يلتزم بذلك ، وإنما تساهل في ذلك فذكر بعض الأسماء التي زادها بعض العلماء ، ولذلك قال رحمه الله بعد أن ذكر الأسماء الواردة في القرآن الكريم قال: (وقد زاد بعض علمائنا فيها : شيء ، موجود ، كائن، ثابت، نفس، عين، ذات، داع، مستجيب، مملي ، قائم ، متكلم ، مُبق، مُغن، غيور ، قاض ، مقدّر ، فَرْد ، مُبل ، جاعل، موجد، مبدع ، دارئ) [1].

وذكر رحمه الله في موطن آخر أنه عدّد الأسماء في كتابه الأمد الأقصى على ما ورد في الكتاب والسنة وذكره الأئمة فقال :

(وقد شرحنا معنى كل اسم في الأمد على الاستيفاء فلينظر هنالك ، وعددناها على ما ورد في الكتاب والسنة وذكره الأئمة)[2].

فهذا الكلام من ابن العربي يدل على أنه لم يلتزم في تعداده للأسماء بما ورد في الكتاب والسنة كما صرح بذلك فيما سبق ، وإنما ذكر بعض الأسماء التي لم ترد في كتاب أو سنة ، وإنما زادها بعض العلماء الذين عددوا أسماء الله تعالى .

وليت ابن العربي رحمه الله مشى على قاعدته التي نص عليها في أن أسماء الله تعالى لا تطلب إلا من الكتاب والسنة ، ولم يذكر من الأسماء التي ذكرها العلماء إلا ما ورد به الدليل ، فيكون بذلك قد لزم الحق ووافق الصواب ، ولكنه رحمه الله قد توسع في ذلك فذكر ما ورد به النص ، وما ذكره العلماء في مساق واحد .

---

(١) أحكام القرآن (٢/٣٤٢)

(٢) المرجع السابق (٢/٣٤٣)

ولا شك أن المنهج الحق هو ما قرره أهل السنة والجماعة وساروا عليه من التوقف في إثبات أسماء الله تعالى على ما ورد به الشرع ، مما سمى الله به نفسه في كتابه وسماه به رسوله ﷺ فيما صح من سنته .

قال ابن القيم رحمه الله :

(إن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه ، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه ، هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منه بعض ما لم يرد به السمع)[١].

وقال البغوي رحمه الله: (أسماء الله تعالى على التوقيف)[٢] .

وقال السفاريني رحمه الله :

(لكنها - أي الأسماء الحسنى - في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشارع وورود السمع بها) [٣].

ومما تقدم يتضح أن ابن العربي رحمه الله لم يلتزم بما قرره من أن أسماء الله تعالى توقيفية، وإنما تساهل في ذكر بعض الأسماء التي لم ترد في الشرع ، إضافة إلى اشتقاقه لبعض الأسماء من أفعال الله تعالى فأخطأ ــ رحمه الله ــ في ذلك ، وخالف المنهج الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة كما تقدم، والله أعلم .

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٢)

(٢) تفسير البغوي (٣/٣٠٧) ط/ دار طيبة ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/١٢٤)

المبحث الثاني

عدد أسماء الله تعالى عند ابن العربي

عدّد ابن العربي رحمه الله أسماء الله تعالى فأوصلها إلى ما يقرب من مائة وستة وسبعين اسما، فقد ذكر -رحمه الله- في كتابه أحكام القرآن من ذلك مائة وستة وأربعين اسماً، ثم أحال على كتابه الأمد الأقصى ، وذكر أنه زاد فيه ثلاثين اسما لم يذكرها في أحكام القرآن.

يقول رحمه الله بعد تعداده للأسماء في كتابه أحكام القرآن :

(هذا منتهى ما حضر من ذكر الأسماء للتضرع والابتهال ، وقد بقي نحو من ثلاثين اسما (ضمناها) كتاب الأمد(هذه أصولها)[١].

وبهذا يكون مجموع ما ذكره ابن العربي في كتاب الأمد الأقصى نحو مائة وستة وسبعين اسماً .

والظاهر من صنيع ابن العربي رحمه الله في تعداده لأسماء الله تعالى أنه لا يرى حصرها في هذا العدد الذي ذكره هنا ولا في غيره .

ولذلك حكى رحمه الله عن بعض أهل العلم أنه قال (إن لله ألف اسم) ثم قال ابن العربي: (وهذا قليل فيها)[٢].

وهذه الأسماء التي أشار إليها ابن العربي وقرّر أنها غير محصورة بعدد معين هي ما أطلق عليه في بعض المواضع (الأسماء الكلية)، وهي - عنده - شاملة للأسماء الحسنى ولغيرها من أسماء الله تعالى .

وقد أشار ابن العربي إلى ذلك في معرض كلامه عن الأسماء الحسنى، فبين أن

---

[١] أحكام القرآن (٢/٣٥٠)

[٢] انظر: فتح الباري (١١/٢٢٠) وقد بحثت عن هذا القول من خلال مابين يدي من كتب ابن العربي ، فلم اهتد إلى موضعه ولعل ابن حجر ـ رحمه الله ـ نقله عن بعض كتب ابن العربي التي لم تصل إلينا .

الأسماء الحسنى قد أخفيت في جملة الأسماء الكلية ، فقال :

(وكذلك أخفيت هذه الأسماء المتعددة - أي الحسنى- في جملة الأسماء الكلية لندعوه بجميعها فنصيب العدد الموعود به فيها)[1].

وهذا الكلام من ابن العربي يدل على انه يرى أن أسماء الله تعالى كثيرة لا حصر لها ، إلا أن الأسماء الحسنى من ذلك محصورة عنده في تسعة وتسعين اسما فقط كما سيأتي، وأما ما زاد على ذلك العدد فليس عنده من الأسماء الحسنى وان كان داخلاً عنده في عموم الأسماء الكلية والله أعلم .

وابن العربي - رحمه الله - قد أصاب فيما ذهب إليه من عدم حصر أسماء الله تعالى بعدد معين، إذ أن ذلك هو القول الصحيح الذي تدل عليه النصوص - كما سيأتي في المبحث الثالث . لكنه - رحمه الله - قد أخطأ من جانب آخر وهو عدم إدخاله لبعض أسماء الله تعالى في الأسماء الحسنى إذ حصر الحسنى من ذلك في تسعة وتسعين اسماً فقط .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى التي سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ﷺ كلها حسنى ، ليس فيها اسم واحد لا يوصف بالحسن.

ومما يدل على أن أسماء الله تعالى كلها حسنى ، أن الله ﷻ وصفها بذلك في أربعة مواضع من كتابه :

فقال ﷻ في سورة الأعراف ﴿**و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾[2]. وفي سورة الإسراء قال ﷻ ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء**

---

[1] أحكام القرآن (٢/٣٤٠)

[2] سورة الاعراف آية (١٨٠)

الحسنى﴾[١]، وفي سورة طه قال تعالى **﴿الله لا اله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾**[٢]، وفي سورة الحشر قال **﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾**[٣].

فهذه أربعة مواضع من القرآن صريحة في وصف أسماء الله تعالى كلها بالحسنى ولم يأت في آية واحدة من القرآن وصف بعضها بالحسنى دون بعض .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – :

(والله في القرآن قال **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقا ، ولم يقل: ليس أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين أسماً)[٤] .

وقال ابن القيم – رحمه الله – :

(أسماؤه سبحانه وتعالى كلها أسماء مدح وثناء وتمجيد ولذلك كانت حسنى ، وصفاته صفات كمال ، ونعوته كلها نعوت جلال ، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل)[٥] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في معرض كلامه عن قوله تعالى **﴿ولله الأسماء الحسنى﴾**:(يخبرنا الله تعالى أن له أسماء وصفها بكونها حسنى أي : حسان.

وقد بلغت الغاية في الحسن فلا أحسن منها ... فأسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها،وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمراد محض بل هو على سبيل التقريب والتفهيم ، فله

---

(١) سورة الاسراء آية (١١٠)

(٢) سورة طه آية (٨)

(٣) سورة الحشر آية (٢٤)

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٤٨٦/٢٢)

(٥) مدراج السالكين (١٢٥/١)

من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله، وأتمه معنى وأبعده ، وأنزهه عن شائبة نقص، فله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العالم الفقيه ، والسميع البصير دون السامع الباصر وكذلك سائر أسماء الله تعالى يجري على نفسه أكملها وأحسنها، ولا يقوم غيره مقامه، فأسماؤه أحسن الأسماء)[1].

ومما تقدم تتضح صحة ما ذهب إليه ابن العربي من عدم حصر أسماء الله تعالى بعدد معين، ومجانبته ـ رحمه الله ـ للصواب في حكمه على بعض الأسماء بأنها ليست من الأسماء الحسنى ، وان الصواب هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن أسماء الله تعالى كلها حسنى. ليس فيها اسم واحد ليس بحسن .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص (٦٣٧)

المبحث الثالث

تعيين الأسماء الحسنى عند ابن العربي

تعرض ابن العربي رحمه الله للكلام على الأسماء الحسنى التي أضافها الله إلى نفسه في قوله تعالى ﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[1] الآية .

وذكر في تعيين هذه الأسماء ثلاثة أقوال :

الأول : أنها الأسماء التي تدل على التعظيم والإكبار .

الثاني : أنها الأسماء التسعة والتسعون التي ورد فيها الحديث الصحيح ووعد محصيها بدخول الجنة.

الثالث : أنها الأسماء التي دلت عليها أدلة الوحدانية .

ثم رجح ابن العربي رحمه الله القول الثاني . وهو أن المراد بها التسعة والتسعون التي ورد بها الحديث الصحيح عن النبي ﷺ .

يقول ابن العربي في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿و لله الأسماء الحسنى﴾الآية

(المسألة الخامسة : ما هذه الأسماء التي أضافها الله ؟

وفي ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنها أسماؤه كلها التي فيها التعظيم والإكبار .

الثاني : أنها الأسماء التسعة والتسعون التي ورد فيها الحديث الصحيح :«ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»[2]

الثالث : أنها الأسماء التي دلت عليها أدلة الوحدانية ، وهي سبعة تترتب على **الوجود**: العلم، والقدرة ، والإرادة ، والسمع، والبصر، والكلام ، والحياة لكن

---

[1] سورة الاعراف آية (١٨٠)

[2] أخرجه البخاري ، الفتح (٣٧٧/١٣ ح ٧٣٩٢) كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدة . وأخرجه مسلم (١٦٣٨/٤ ح ٢٦٧٧) كتاب الذكر باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

الصحيح عندي أن المراد بها التسعة والتسعون التي عددها ﷺ في الحديث الصحيح)[١]

فابن العربي بهذا الكلام يصرح بحصر الأسماء الحسنى في تسعة وتسعين اسماً، مستدلاً على ذلك بما ورد في حديث ابي هريرة ﷺ ان النبي ﷺ قال «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[٢]

فقد فهم ابن العربي من هذا الحديث أن الأسماء الحسنى محصورة في هذا العدد المنصوص عليه في الحديث، ولذلك قال بعد سياقه للأقوال في تعيين الأسماء الحسنى: (والصحيح عندي أن المراد بها التسعة والتسعون التي عددها ﷺ في الحديث الصحيح)[٣]

وهذا الفهم الذي فهمه ابن العربي من هذا الحديث قد سبقه إليه ابن حزم في المحلى، فقرر حصر أسماء الله تعالى في تسعة وتسعين اسماً وحرم الزيادة على ذلك فقال: (وقد صح أنها تسعة وتسعون اسماً فقط، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد؛ لأنه عليه السلام قال:«مائة غير واحد» فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام: (مائة غير واحد)[٤] كذبا (ومن أجاز هذا فهو كافر)[٥] .

ولا شك أن ما ذهب إليه ابن العربي ومن قال بقوله من أن الأسماء الحسنى محصورة في تسعة وتسعين اسماً مذهب باطل مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة في قولهم بعدم حصر الأسماء الحسنى بعدد معين .

---

(١) أحكام القرآن (٣/٣٣٩)

(٢) سبق تخريجه

(٣) أحكام القرآن (٢/٣٣٩)

(٤) هذه الزيادة ، أخرجها البخاري ، الفتح (١٣/٣٧٧ح٧٣٩٢) كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحد .

(٥) المحلى لابن قدامة (١/٣٦) .

بل إن من هذه الأسماء ما هو معلوم لنا ، ومنها ما استأثر الله تعالى بعلمه، كما ورد ذلك صريحا في حديث ابن مسعود ﷺ في قوله ﷺ: (ما أصاب أحد قط هم ولا حزن، فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسالك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)[1].

فهذا الحديث يدل على أن أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين بل منها ما هو معلوم لنا ومنها ما استأثر الله بعلمه فلا يعلم عددها الا هو ﷻ .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

(الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل)[2].

وحديث أبي هريرة – ﷺ – الذي استدل به ابن العربي لا يدل على ما ذهب إليه من حصر الأسماء الحسنى في العدد المذكور في الحديث، وإنما المقصود من الحديث الإخبار عن دخول الجنة لمن أحصى هذا العدد من الأسماء الذي هو تسعة وتسعون اسماً .

قال النووي – رحمه الله – :

(اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ﷻ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة؛ فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء)[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩١/١) والحاكم في المستدرك (٥٠٩/١) وصححه ابن القيم في شفاء العليل (٢٧١/٢) تحقيق مصطفى الشلبي ، ط/ مكتبة السوادي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٠/١) رقم (١٩٩) .

(٢) بدائع الفوائد (١٦٦/١)

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٥/١٧)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(فإن الذي عليه جماهير المسلمين ان أسماء الله اكثر من تسعة وتسعين، قالوا - ومنهم الخطابي -: قوله: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها) التقيد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هذه الأسماء، فهذه الجملة وهي قوله (من أحصاها دخل الجنة) صفة للتسعة والتسعين ليست جملة مبتدئة ولكن موضعها النصب ويجوز أن تكون مبتدئة والمعنى لا يختلف، والتقدير: إن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة كما يقول القائل : «إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق»)[١].

وابن العربي وإن كان قد حصر الأسماء الحسنى في تسعة وتسعين اسما - كما تقدم - إلا انه لم يعين آحاد هذه الأسماء بل يرى أن ذلك مما أخفاه الله ﷻ عن عباده كما أخفيت ساعة الجمعة وليلة القدر .

وفي ذلك يقول في معرض كلامه عن الأسماء الحسنى :

(فان قيل : وهل إلى معرفتها سبيل؟ قلنا قد حق العلماء عليها وساروا إليها فمن جائر وقاصد والذي أدلكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة فإنها مخبؤة فيهما كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم وليلة القدر في الشهر ...)[٢].

فهذا الكلام من ابن العربي صريح في أنه يذهب إلى عدم معرفة آحاد هذه الأسماء الحسنى، وأن ذلك عنده مما أخفاه الله ﷻ عن عباده حتى يجتهدوا في الدعاء والعبادة .

وقد يفهم من كلام ابن العربي المتقدم أنه لا يرى صحة الزيادة الواردة في حديث أبي هريرة ﷺ في تعداد الأسماء الحسنى كما وقع ذلك عند الترمذي وغيره من رواية الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة فذكر الحديث وزاد في آخره «هو الله الذي لا إله إلا هو : الرحمن الرحيم الملك القدوس

---

(١) فتاوي شيخ الإسلام ابن تيميه (٣٨١/٦) وانظر: درء التعارض (٣٣٢/٣)

(٢) أحكام القرآن (٣٤٠/٢)

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ...»[١] .

وهذا قد ورد صريحا في كلام ابن العربي في شرحه للترمذي، حيث رجح أن هذه الزيادة ليست من كلام النبي ﷺ فقال في معرض كلامه عن الحديث: (يحتمل أن يكون ذلك تفسير النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون ذلك عن غيره وهو الظاهر عندي)[٢].

والقول بأن هذه الزيادة الواردة في حديث أبي هريرة ﷺ مدرجة في الحديث ليست من كلام النبي ﷺ كما هو قول ابن العربي - رحمه الله- هو ما عليه أكثر العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(فالحديث الذي فيه ذكر ذلك - أي الأسماء الحسنى - هو حديث الترمذي، روى الأسماء الحسنى في جامعه من حديث الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ، ورواها ابن ماجة في سننه[٣] من طريق مخلد بن زياد القطواني عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ، وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه)[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره :

(والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه)[٥]

---

[١] أخرجه الترمذي (٥/٣٥٠ح ٣٥٠٧) كتاب الدعوات .

[٢] عارضة الأحوذي (٣٤/١٣) .

[٣] انظر: سنن ابن ماجه (١٢٦٩/٢ح٣٨٦١) كتاب الدعاء .

[٤] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٦/٨ - ٩٧) وانظر: (٤٨٢/٢٢)

[٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٩/٢)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في بلوغ المرام :

(والتحقيق أن سردها يعني الأسماء الحسنى إدراج من بعض الرواة) [١].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي فيما ذهب إليه من حصر الأسماء الحسنى في تسعة وتسعين اسماً، وأن الحق هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، من أن أسماء الله تعالى الحسنى غير محصورة بعدد معين ، بل لا يعلم عددها إلا الله ﷻ .

---

[١] بلوغ المرام (٢/٤٥١ح١٣٩٥) تحقيق يوسف بديوي ، ط/دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، وانظر: فتح الباري (١١/٢٢١) .

المبحث الرابع

مراد ابن العربي بالاسم الأعظم

لم يختلف قول ابن العربي رحمه الله في تعيين الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى . فقد صرح ابن العربي رحمه الله في عدة مواضع من كتبه أن ذلك الاسم هو اسم الجلالة (الله) .

قال ابن العربي رحمه الله في معرض تعداد أسماء الله تعالى :

(الأول : الله : وهو اسمه الأعظم الذي يرجع إليه كل اسم. ويضاف إلى تفسيره كل معنى)[1]

فابن العربي بهذا الكلام يرى أن اسم (الله) هو الاسم الأعظم الذي ترجع إليه جميع الأسماء ويجاب دعاء من سأل الله به .

وقد أرشد ابن العربي رحمه الله إلى الدعاء بهذا الاسم لما فيه من رجاء إجابة الدعاء لمن سأل الله به . فقال :

(وإن دعوت بالاسم الأعظم قلت : يا الله ، فهو متضمن لكل اسم حسبما بيناه في كتاب الأمد)[2]

وأما حجة ابن العربي على اختياره لهذا الاسم دون غيره من الأسماء فتتلخص فيما يلي :

أن هذا الاسم هو اسم الله الذي لا يصح أن يشركه فيه أحد لا في لفظه ولا في معناه، ولذلك كان -عنده- هو الاسم الأعظم .

يقول ابن العربي رحمه الله في معرض ذكر الأقوال في تفسير اسم (الله) :

(الثاني :- وهو المختار : انه اسم لمن لا يصح أن يشترك أحد معه فيه لفظاً

---

(١) أحكام القرآن (٢/٣٤٣)

(٢) المرجع السابق (٢/٣٥١) وانظر: الأمد الأقصى ، مخطوط ، ورقة (١٥).

ولا معنى، وبذلك كان اسم الله الأعظم) [١] .

فهذا الكلام من ابن العربي رحمه الله صريح في تعيين الاسم الأعظم . وانه الاسم الذي لا يشترك مع الله أحد فيه لا من جهة لفظه ولا من جهة معناه، وهذا لا يكون عنده إلا في اسم واحد وهو (الله) .

ومسألة تعيين الاسم الأعظم قد اختلف فيها العلماء رحمهم الله على أقوال كثيرة، حتى أن الشوكاني[٢] رحمه الله ذكر أن الأقوال في ذلك بلغت نحواً من أربعين قولاً، وأفرد ذلك السيوطي[٣] بمصنف خاص[٤].

أقوال العلماء في تعيين الاسم الأعظم:

وسأقتصر في هذا المقام على ذكر أهم تلك الأقوال وذلك كما يلي:

القول الأول : أن الاسم الأعظم ليس اسماً معيناً معروفاً وإنما هو مما أخفي كليلة القدر وساعة الجمعة ، حتى يجتهد العباد في دعاء الله بجميع أسمائه التي أمرهم أن يدعوه بها في قوله ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾[٥].

وهذا القول قد قال به جماعة من العلماء ، وأشار إليه الحافظ ابن حجر في معرض تعداده للأقوال في هذه المسالة، فقال: (الثالث عشر هو مخفي في الأسماء الحسنى ويؤيده حديث عائشة المتقدم)[٦].

---

[١] عارضة الأحوذي (٣٤/١٣)

[٢] هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني ، فقيه مجتهد ، محدث ، مفسر ، ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة١٢٥٠هـ ، الأعلام (٢٩٨/٦) مقدمة فتح القدير (٤/١) .

[٣] هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، جلال الدين ، إمام حافظ ، مؤرخ أديب ، توفي سنة٩١١هـ ، شذرات الذهب (٥١/٨) ، الأعلام (٣٠١/٣) .

[٤] انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني ص (٥٢) ط/دار الكتاب العربي .

[٥] سورة الاعراف آية (١٨٠)

[٦] انظر: فتح الباري (٢٢٥/١١)

يريد رحمه الله ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها سالت النبي ﷺ ان يعلمها الاسم الأعظم فلم يفعل ، فصلت ودعت : اللهم إني أدعوك الله وأدعوك الرحمن، وأدعوك البَّر الرحي، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما م أعلم» الحديث .

وفيه أنه ﷺ قال لها: «إنه لفي الأسماء التي دعوت بها»[١].

القول الثاني : أن المراد بالاسم الأعظم هو (الحي القيوم)، وقد ذهب إلى هذا القول جمع من العلماء، وقواه الرازي[٢] ، ورجحه العلامة ابن القيم . وقد استدل أصحاب هذا القول بحديث أبي أمامة ﷺ :أن رسول الله ﷺ قال :«اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث في البقرة وآل عمران وطه» قال الراوي «فالتمسته منها فعرفت أنه الحي القيوم»[٣].

وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن القيم في نونيته فقال رحمه الله :

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه ... في آية الكرسي وذي عمران

اسم الإله الأعظم اشتملا على ... اسم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها إلى الاسمين يد ... ري ذاك ذو بصر بهذا الشأن [٤].

القول الثالث : أن الاسم الأعظم هو (الله لا اله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد). وقد ذكر ابن حجر رحمه الله هذا القول ضمن الأقوال التي سردها في تعيين هذا الاسم، ثم عقب على ذلك بقوله: ((وهو

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٢٦٨/٢ح٣٨٥٩) كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم وقال ابن حجر في الفتح (٢٢٤/١١) (سنده ضعيف).

(٢) شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص (١٠٠) .

(٣) أخرجه ابن ماجة (١٢٦٧/٢ح ٣٨٥٦) كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم ، والطحاوي في مشكل الآثار (٦٣/١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٢/٢)

(٤) توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لابن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش (٢٥٩/١)

أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك)[١] .

وقد ورد ذلك في حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ - أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسالك أني أشهد أنك أنت الله لا اله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، فقال :«والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[٢].

القول الرابع : أن الاسم الأعظم هو اسم الجلالة (الله) وهذا القول رجحه كثير من العلماء . حتى قال الطرطوشي[٣]: (وبهذا المذهب قال معظم العلماء)[٤] وقال السفاريني: (وعند أكثر أهل العلم أنه لفظ الجلالة)[٥].

وهذا القول هو الذي ذهب إليه ابن العربي كما تقدم في تقرير كلامه. ولعل هذا القول الذي ذهب إليه ابن العربي ورجحه كثير من أهل العلم هو القول الراجح. وذلك للأمور التالية :

١ـ أن هذا القول هو المنقول عن بعض السلف كالشعبي وغيره [٦] .

٢ـ أن هذا الاسم قد ذكر في عامة الأحاديث التي وردت في بيان الاسم الأعظم، وقد تقدم بعضها .

٣ـ أن هذا الاسم لا يطلق إلا على الله ﷻ ، ولا يشركه فيه غيره .

---

(١) فتح الباري (٢٢٥/١١)

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٥١٥ح٣٤٧٥) كتاب الدعوات، باب دعاء النبي ﷺ ، وابن ماجه (١٢٦٧/٢ح٣٨٥٧) كتاب الدعاء باب اسم الله الأعظم. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٩/٢) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي المالكي المعروف بالطرطوشي ، كان إماماً عالماً زاهداً ورعاً توفي سنه ٥٢٠ ، شذرات الذهب (٦٢/٤-٦٣) ، والأعلام (٣٥٩/٧) .

(٤) الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي ص (٩٦) تحقيق محمد رضوان ط/دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

(٥) لوامع الأنوار البهية (٣٥/١) وانظر: مشكل الآثار للطحاوي (٦٢/١) ط/ دار صادر الطبعة الأولى .

(٦) انظر: رد الدرامي على المريسي ص (١١) .

٤ـ أن جميع الأسماء ترجع إلى هذا الاسم ، فيقال (الرحيم من أسماء الله) ولا يقال (الله من أسماء الرحيم)[1].

ومما تقدم يتضح صحة ما ذهب إليه ابن العربي رحمه الله من أن اسم الله الأعظم هو اسم الجلالة (الله)، وموافقته في ذلك لقول أكثر العلماء. والله تعالى أعلم.

---

[1] لمزيد من التوسع انظر: فتح الباري (٢٢٥/١١) وتحفه الأحوذي (٤٤٦/٩) ط/موسسة قرطبة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، والنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد النجدي (٦٣/١) ومابعدها، ط/مكتبة الإمام الذهبي ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .

المبحث الخامس

موقف ابن العربي من اسم الجلالة (النور)

تعرض ابن العربي رحمه الله للكلام على اسم النور الذي هو أحد أسماء الله تعالى في عدة مواضع من كتبه، وذلك ضمن شرحه لأسماء الله تعالى. وبتأمل كلامه في تلك المواضع المختلفة من كتبه يتضح أن قوله قد اضطرب في بيان معنى هذا الاسم وحقيقته .

ففي بعض المواضع صرح بتأويل هذا الاسم وحمله على المجاز . وفي مواضع أخرى أثبت هذا الاسم على الحقيقة ورفض القول بالمجاز. فقال في كتابه (أحكام القرآن) في معرض تعداده لأسماء الله تعالى :

(السابع والثمانون : نور السموات والأرض ، ويرجع إلى الهدى) [1].

وقال في كتابه (عارضة الأحوذي) في معرض تعداده لأسماء الله تعالى :

(الاسم الثالث والتسعون : النور لم يرد مطلقا في القرآن ولا في السنة، وقال علماؤنا: هو بمعنى منورها وليس يريد به بناء العربية وإنما يريدون أن النور لما كان من جهته سمي به)[2]

فقد صرح ابن العربي في هذين الموضعين بتأويل اسم الجلالة (النور) فحمله في الموضع الأول على معنى الهدى ، وحمله في الموضع الثاني على معنى منَّور السموات والأرض . وقد جمع بين هذين التأويلين في كتابه (قانون التأويل) ونسب القول بهما إلى علماء الأشاعرة فقال في معرض تفسيره لقوله تعالى﴿ **الله نور السموات والأرض**﴾ [3]:

---

(١) أحكام القرآن (٢/٣٤٧) .

(٢) عارضة الأحوذي (١٣/٤٢) .

(٣) سورة النور (٣٥) .

(قال علماؤنا : أراد الله منّور السموات بما خلق فيها من الأنوار المحسوسة كالكواكب، ومنّور القلوب بما خلق فيها من الهدى، ولذلك قالوا : نور بمعنى هادي التفاتا إلى هذا المعنى)[١]

أما في كتابه الأمد الأقصى فقد صرح بإثبات هذا الاسم على حقيقته ورفض القول بالتأويل، فقال بعد أن سرد عدداً من الأقوال في معنى اسم النور (والصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار لأنه حقيقة، والعدول عن الحقيقة إلى انه هادي او منور وما أشبه ذلك مجاز من غير دليل فلا يصح)[٢] .

فابن العربي رحمه الله في هذا الموضع قد ذهب إلى إثبات اسم الجلالة (النور) على حقيقته، ورد ما قرره في المواضع السابقة من القول بتأويل هذا الاسم عن حقيقته إلى معنى هادي أو منّور كما تقدم .

قلت : قد يقال أن ابن العربي -رحمه الله - رجع إلى القول بإثبات هذا الاسم على حقيقته بعد ما كان يذهب إلى تأويله . وهذا توجيه حسن، إلا أننا لا يمكن أن نجزم بذلك، لعدم علمنا بالمتأخر من هذين القولين، فلم يبق إلا أن يحكم باضطراب قوله في ذلك، والله أعلم .

ومما تقدم يتضح لنا اضطراب قول ابن العربي رحمه الله : في معنى اسم الجلالة (النور) حيث أوله في كتابه (أحكام القرآن) و(عارضة الأحوذي) وأثبته على حقيقته في كتابه (الأمد الأقصى) كما تقدم .

والقول بتأويل اسم الجلالة (النور) هو مذهب المعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة كالجويني والقشيري وغيرهما [٣]، وقد أشار إلى ذلك ابن العربي كما تقدم

---

[١] قانون التأويل (٤٧٥) .

[٢] الأمد الأقصى (٢٤٠) مخطوط ، وانظر: قانون التأويل ص(٢٧٢) .

[٣] انظر: الاشارات للقشيري (٢٨٣/٤) ، وانظر: شرح أسماء الله الحسنى للرازي (٣٤٧) ط دار الكتاب العربي (١٤١٠هـ) الطبعة الثانية

بقوله (قال علمائنا : أراد منور السموات)[١].

ولا شك أن صرف هذا الاسم عن حقيقته إلى بعض المعاني المجازية المخالفة للظاهر قول خاطئ مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب أهل السنة والجماعة أن (النور) من أسماء الله تعالى الثابتة له ﷻ حقيقة. كما أن ذلك صفة من صفاته فهو ﷻ نور كالأنوار .

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

والنور من أسمائه أيضاً ومن ... أوصافه سبحان ذي البرهان

قال ابن مسعود كلاما قد حكاه ... الدارمي[٢] عنه بلا نكران

ما عنده ليل يكون ولا نها ... ر قلت تحت الفلك يوجد ذان

نور السموات العلي من نوره ... والأرض كيف النجم والقمران[٣]

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات النور لله تعالى اسماً وصفة بجملة من نصوص الكتاب والسنة ومن ذلك :

١- قوله ﷻ ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾ [٤]

٢- قوله ﷻ ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾[٥]

٣- قوله ﷺ في حديث ابن عباس ﷺ: «اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت نور السموات

---

[١] قانون التأويل (٤٧٥)

[٢] روى الدارمي في رده على بشر المريسي (٤٤٩) عن ابن مسعود ﷺ قال (إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه) .

[٣] توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن عيسى (٢/ ٢٣٧)

[٤] سورة النور آية (٣٥)

[٥] سورة الزمر آية (٦٩)

والأرض »[١] .

٤- وقوله ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو« ان الله خلق خلقه في ظلمة ، وألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»[٢].

قال الإمام أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله :

(فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به ﷺ . وان مما قضى الله علينا في كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك ان الله قال ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ ثم قال عقيب ذلك ﴿**نور على نور**﴾ وبذلك دعاه ﷺ «أنت نور السموات والأرض»[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(النص في كتاب الله وسنة رسوله قد سمى الله نور السموات والأرض، وقد أخبر النص أن الله نور ، وأخبر أيضاً انه يحتجب بالنور)[٤] .

وقال الشيخ الهراس[٥] رحمه الله :

(ومن أسمائه سبحانه النور ، وهو أيضاً صفة من صفاته ، فيقال : الله نور ، فيكون اسما مخبرا به على تأويله بالمشتق، ويقال: ذو نور، فيكون صفة قال تبارك وتعالى

---

[١] أخرجه البخاري : الفتح (٣/٣ ، ح ١١٢٠) كتاب التهجد ، باب التهجد بالليل ، وأخرجه مسلم (٤٤٨/١ ، ح ٧٦٩) كتاب صلاح المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل .

[٢] أخرجه أحمد (١٧٦/٢) وإسناده صحيح كما قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٢٧/١٠ ، ح ٦٦٤٤) .

[٣] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٣/٥) .

[٤] المرجع السابق (٣٨٦/٦) .

[٥] هو العلامة السلفي المحقق ، محمد خليل هرَّاس ، حاز على الشهادة العالمية العالية في التوحيد والمنطق ، ودرس بكلية أصول الدين بالازهر ، وكان شديداً في الحق ، قوي الحجة والبيان ، توفي ١٩٧٥م ، انظر: مقدمة شرح العقيدة الواسطية ص(٤١-٤٢) .

﴿الله نور السموات والأرض﴾[١] وقال ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾[٢])[٣] .

وقد تولى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله الرد على من تأول اسم النور من المعتزلة والأشاعرة، فأبطلا ذلك من وجوه عدة، أهمها:

١ـ أن هذا الاسم قد أثبته الله ﷻ لنفسه ، وأثبته له رسوله ﷺ ومحال أن يسمي نفسه نوراً وليس له نور ولا صفة النور ثابتة له .

٢ـ أن إثبات اسم النور لله تعالى هو مذهب جماهير المسلمين من أهل الحديث وجمهور الصفاتية من أهل الكلام والفقهاء والصوفية وغيرهم ، وهو قول ابن كلاب[٤] والأشعري.

٣ـ أن إنكار هذا الاسم لا يعرف إلا عن الجهمية والمعتزلة، ولم يصح عن أحد من السلف وأئمة السنة أنه أنكر ذلك ، بل الذي نقل عنهم التشنيع على الجهمية والمعتزلة في ذلك .

٤ـ أن المنكرين لهذا الاسم فهموا أن حقيقة النور ومدلوله هو هذا النور الواقع على الحيطان والجدران . وهذا الفهم الفاسد هو الذي أوقعهم في إنكار حقيقة النور. فجمعوا بين الفهم الفاسد وإنكار المعنى الحق .

٥ـ أن الله سبحانه اخبر في كتابه أن الأرض تشرق بنور ربها . فإذا كانت تشرق من نوره فكيف لا يكون هو نوراً ، كما سمى بذلك نفسه ﷻ[٥].

---

[١] سورة النور آية (٣٥) .

[٢] سورة الزمر آية (٦٩) .

[٣] شرح القصيدة النونية للهراس (٢/١١٥) ط/ دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

[٤] هو أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري من رؤوس المتكلمين بالبصرة ، إليه تنسب الكلابية، توفي سنة ٢٤٠هـ ، سير أعلام النبلاء (١١/١٧٤-١٧٦) والأعلام (٤/٩٠) .

[٥] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٣٧٤-٣٩٦) ومختصر الصواعق (٣٣٨-٣٥٢) .

ومما تقدم يتضح بطلان ما ذهب إليه المعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة من تأويل اسم الجلالة (النور) وصرفه عن حقيقته، وأن الصواب هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من وجوب إثبات هذا الاسم لله تعالى على الحقيقية كما ورد في نصوص الكتاب والسنة .

الفصل الثاني

موقف ابن العربي من صفات الله تعالى

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول : الصفات الذاتية .

المبحث الثاني : الصفات الفعلية .

تمهيد :

سبق أن عرفنا في مدخل هذا الباب ، تعريف الصفات والفرق بينها وبين الأسماء[١]، وقبل الشروع في بيان موقف ابن العربي ـ رحمه الله ـ من إثبات الصفات. يحسن بيان أقسام صفات الله تعالى ، وذلك كما يلي :

أولاً : أقسام الصفات عند السلف :

قسم السلف رحمهم الله صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة إلى قسمين:

١ـ **الصفات الذاتية** : وهي الصفات التي لا تنفك عن ذات الرب بحال من الاحوال. فلا يزال ﷻ متصفاً بها أزلاً وأبداً وليس لها تعلق بالمشيئة والإرادة . كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والوجه واليدين والقدم ونحو ذلك .

٢ـ **الصفات الفعلية** : وهي الصفات التي تتعلق بالمشيئة والإرادة إن شاء الرب ﷻ فعلها، وإن شاء امتنع عنها فلم يفعلها .

كالاستواء والنزول والغضب والفرح والضحك ونحو ذلك[٢].

ثانياً : اقسام الصفات عند الأشاعرة :

ذهب جمهور الأشاعرة إلى تقسيم صفات الله تعالى إلى أربعة أقسام :

١ـ **صفة نفسية** : وعرفوها بأنها الحال الواجبة للذات ، مادامت الذات غير معللة بعلة. وهي عندهم صفة الوجود ، وحدها .

---

(١) انظر: ص (٢٦٧-٢٧٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٦/٢١٧و٢٣٣) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (٧٩) وشرح العقيدة الواسطية لنهراس ص (١٥٩-١٦٠) ط/ دار الهجرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ .

٢ـ **صفات سلبية** : وهي التي تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي . وأنما تدل على سلب ما لا يليق با لله تعالى . وهي عندهم خمس صفات : القدم ، والبقاء، والقيام بالنفس ، ومخالفة الحوادث ، والوحدانية[١].

٣ـ **صفات المعاني** : ويعرفونها بأنها كل صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجبة له حكماً، وهي سبع صفات: القدرة، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والكلام، والسمع، والبصر .

وقد يسمونها أيضاً الصفات الذاتية ، لأنها لا تنفك عن الذات، أو الصفات الوجودية لأنها متحققة عندهم باعتبار نفسها .

٤ـ **الصفات المعنوية** : وتسميتها بذلك – عندهم – نسبة للسبع المعاني التي هي فرع منها. ويقصد بهذه الصفات : الأحوال الثابتة للذات إذا قامت بها المعاني[٢].

أما ابن العربي – رحمه ا لله – فلم أجد له تقسيماً واضحاً للصفات إلا أنه قد صرح في عدة مواضع – كما تقدم – بأنه على طريقة الأشاعرة[٣]، وقد أشار إلى بعض أقسام الصفات – عندهم – كصفات المعاني[٤].

---

(١) انظر: حاشية البيجوري على متن السنوسية ص (٢٩) وشرح أم البراهين ص (٢٥) وهداية المريد إلى جوهرة التوحيد لبكري رجب ص (٢٧) .

(٢) انظر: حاشية الدسوقي على أم البراهين ص (٩٣) وحاشية الصاوي على شرح الخريدة ص (٧٦) وهداية المريد إلى جوهرة التوحيد ص (٣٤ ، ٤٢)

(٣) انظر: ص (١٠١،١٦٦)

(٤) العواصم من القواصم ص (٢٢٧) وانظر: ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن د/ مصطفى المشني ص (٣٣٣) ط/ دار عمار ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

المبحث الأول
الصفات الذاتية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصفات الذاتية التي اثبتها ابن العربي:

١ـ صفة العلم . ٢ـ صفه القدرة .

٣ـ صفة الحياة . ٤ـ صفة الإرادة .

٥ـ صفتا السمع والبصر . ٦ـ صفة الكلام .

المطلب الثاني : الصفات الذاتية التي أوّلها ابن العربي :

١ـ صفة العلو . ٢ـ صفة اليدين .

٣ـ صفة القدم . ٤ـ صفة الأصابع .

المبحث الأول
الصفات الذاتية

تعرض ابن العربي - رحمه الله - للكلام على جملة من الصفات الذاتية فأثبت بعضها على حقيقته وأوّل البعض الآخر منها . وفيما يلي عرض لأهم تلك الصفات التي تناولها ابن العربي ، وذلك في المطلبين التاليين :

المطلب الأول
الصفات الذاتية التي أثبتها ابن العربي

لقد سلك ابن العربي مسلك عموم الأشاعرة ، فأثبت الصفات السبع التي تسمى عندهم بصفات المعاني ، وهي العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام .

وهذه الصفات السبع يتفق متأخرو الأشاعرة مع المتقدمين منهم على إثباتها، إلا إن هناك فرقاً بينهم في طرق إثباتها .

فالمتقدمون منهم كالأشعري والباقلاني يثبتون هذه الصفات عن طريق السمع والعقل[١]، وأما المتأخرون منهم كالجويني وأمثاله، فيعتمدون في إثبات هذه الصفات على العقل وحده ، ثم إنهم لما رأوا أن السمع قد دل عليها جعلوا ذلك مؤكدا لثبوتها[٢].

وابن العربي - رحمه الله - قد ارتضى في إثباته لهذه الصفات طريقة متأخري الأشاعرة. ولذلك اعتمد في إثباته لتلك الصفات على الأدلة العقلية، فاستدل على صفة القدرة بدلالة الوجود. وذلك أن إيجاد هذا الوجود على هذه الطريقة يدل عند ابن العربي على أنه كائن لموجد قادر .

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص (٢١٣) ط/ مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(٢) انظر: موقف ابن تيميه من الأشاعرة (١٠٥١/٣)

وفي ذلك يقول ابن العربي في معرض حديثه عن الصفات السبع: (لا إشكال في دلالة العقل على وجوب هذه الصفات، فالوجود يدل على القدرة والإتقان على العلم...)[١].

ويؤكد ابن العربي إثبات هذه الصفة عن طريق هذا الدليل العقلي فيقول: (لا يصح تقدير موجد لا علم له ولا قدرة)[٢].

وأما دليله على صفة العلم فهو يرتكز على مبدأ الإحكام والإتقان لهذا الكون. فإتقان هذا العالم وتنظيمه يدل عند ابن العربي على أن موجده عالم وفي ذلك يقول ابن العربي (ويدل إتقان جبلته وإحكام صنعته على أنه عالم)[٣].

وإذا ثبت عند ابن العربي أن الله ﷻ قادر عالم فهذا يقتضي عنده أن يكون حياً، إذ يستحيل – عنده – أن يكون عالماً قادراً ولا يكون حياً، وقد أكد ابن العربي ذلك بذكر بعض الأدلة السمعية لموافقتها لهذا الدليل العقلي . فقال ــ رحمه الله ــ بعد كلامه عن القدرة والعلم: (ويتحقق بعد انه حي إذ القدرة والعلم يستحيل وصف الموات بهما قال تعالى : ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾[٤] قال سبحانه ﴿**هو الحي**﴾)[٥]،[٦].

وأما صفة الإرادة فقد اعتمد ابن العربي في إثباتها على فكرة الإمكان أو الجواز . وذلك أن الصفتين اللتين يمكن أن تتعاقبا على موصوف أو محل ما ، فان اتصاف المحل بأحدهما لا يكون إلا بتعيين إحدى الصفتين على الأخرى ، وهذا إنما يكون – عنده –

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ص ٣٠ نقلا عن قانون التأويل " حاشية " ص ٤٦٠

(٢) قانون التأويل لابن العربي ص ٤٦٠

(٣) قانون التأويل ص ٤٦٠

(٤) سورة البقرة آية (٢٥٣)

(٥) سورة غافر آية (٦٥)

(٦) قانون التأويل ص (٤٦٠)

إلى ما يلائمه ويناسبه ، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده، ومفتقر إليه، يزداد بوجوده وينقص بعدمه . فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء ، فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قالوا : الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة؟ قيل له : فقل : إن الغضب والرضا الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد ، وإن كان كل منهما حقيقة . فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل ، بل يجب تركه ، لأنك تسلم من التناقص ، وتسلم أيضا من تعطيل معنى أسماء الله وتعالى وصفاته بلا موجب)[1].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة والمعتزلة في إنكارهم لصفتي الرضا والغضب ، وتأويلهم لما ورد من النصوص في إثبات ذلك ، وان الصواب هو إثبات هاتين الصفتين لله تعالى على الحقيقة كما ذهب إلى ذلك أهل السنة والجماعة .

رابعاً : صفة الضحك :

من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى صفة الضحك ، وقد أثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى على الحقيقة كما وردت في النصوص، مع اعتقاد أن ضحكه ﷻ كما يليق به لا يشبه ضحك أحد من خلقه .

رأي ابن العربي في صفة الضحك :

يرى ابن العربي أن صفة الضحك الواردة في النصوص ليست على ظاهرها، وإنما ذلك عنده عبارة عما يكون من فضله ويفيض من عطائه ، وفي ذلك يقول :

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٤٧٢-٤٧٣)

(الضحك عبارة عما يكون من فضله ويفيض من عطائه ، كما يقال : ضحكت الأرض إذا أبرزت زينتها)[١].

وفي موطن آخر عبر عن ذلك بقوله: (وأما الضحك فهو دليل على سرور النفس بما طرأ عليها ورضاها فعبر به عنه أيضاً)[٢].

وقد ادعى ابن العربي الإجماع على أن الضحك ليس من صفات الله تعالى ، فقال في معرض كلامه عن الصفات: (وأما الضحك والفرح ، فحديث ، ولكن أجمعت الأمة على أنها ليست بصفات)[٣].

فابن العربي بهذا ينكر صفة الضحك الواردة في الأحاديث الصحيحة كما سيأتي، ويحمل ذلك على غير الحقيقة ، ويدعي إجماع الأمة على ذلك .

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي تأويل باطل مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة في وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ، ونفي ما نفاه عن نفسه مما لا يليق به ﷻ، ولذلك اثبتوا صفة الضحك لله تعالى على الحقيقة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ومن ذلك :

١ـ ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

(يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة)[٤].

٢ـ حديث عبد الله بن مسعود ﷺ في آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة

---

[١] العواصم ص (٢٢٤) وانظر: العارضة (٣٠٧/٩)

[٢] العارضة (١٩٠/١٢)

[٣] العواصم ص (٢٢٤)

[٤] أخرجه البخاري ، الفتح (٣٩/٦ ح ٢٨٢٦) كتاب الجهاد. باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم. وأخرجه مسلم (١١٩٥/٣ ح ١٩٨٠) كتاب الامارة ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر .

دخولاً فيها ، وفيه أنه قال وهو يخاطب الله ﷻ (أتسخر بي ؟ أو تضحك بي وأنت الملك ...)[١].

٣ـ حديث أبي هريرة – ﷺ – أن ناساً قالوا للنبي ﷺ هل نرى ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ «هل تضارون في رؤية القمر» وذكر تمام الحديث وفيه:«فيقول ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، ألم تعطي عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيتك ؟ فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو حتى يضحك الرب منه ، فإذا ضحك الله منه قال له : ادخل الجنة)[٢].

والأحاديث في إثبات هذه الصفة كثيرة ، ذكرها الأئمة – رحمهم الله – في مصنفاتهم ، كما فعل الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – حيث قال :

(باب ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ ، بلا صفه تصف ضحكه جل ثناؤه ، ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك ، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا ، إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك ، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله تعالى بعلمه) ثم ذكر – رحمه الله – جملة من الأحاديث في إثبات هذه الصفة لله تعالى[٣].

وقال الإمام الآجري (باب الإيمان بأن الله ﷻ يضحك ، قال محمد بن الحسين – رحمه الله – اعلموا –وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل– أن أهل

---

(١) أخرجه البخاري ، الفتح (١١/٤١٨ ح ٦٥٧١) كتاب الرقاق، باب صفى الجنة والنار. وأخرجه مسلم (١/١٤٨ ح ١٨٦) كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً .

(٢) أخرجه البخاري ، الفتح (١١/٤٤٤ ح ٦٥٧٣) كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم، وأخرجه مسلم (١/١٤٣ ح ١٨٢) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية

(٣) التوحيد لابن خزيمة (٢٣٠) ومابعدها

بالإرادة. ولا يمكن أن يكون بغيرها من القدرة أو الحياة أو العلم. وقد عبر ابن العربي عن ذلك بقوله: (ويثبت عنه أنه مريد لأنه يرى نفسه على أحوال وصفات تقرر عنده أن كون المحل على غيرها بدلاً منها ممكن ، فلابد والحالة هذه من معنى تستند إليه هذه الخصيصة ، وهي صفة شأنها تمييز الشيء عن مثله وهي الإرادة)[١].

وأما دليل ابن العربي على إثباته صفتي السمع والبصر ، فقد اختار أيضاً في إثباتها الدليل العقلي ، وهو استحالة أن يخلق الله للعبد الإدراك الحقيقي بالمسموعات والمبصرات، ولا يدرك الرب سبحانه حقيقة ذلك . وقد اعتمد في ذلك على نص لأبي إسحاق الاسفرايني ولذلك اكتفى بذكره دون غيره ، فقا: (ولابد من الاعتقاد بأنه سميع بصير. وقد اختلفت أغراض العلماء في الدليل على ذلك ، فقال الأستاذ أبو إسحاق : لأنه خلقهما للعبد ومحال أن يخلق ما لا يعلم)[٢].

وأما صفة الكلام فقد أثبتها ابن العربي ضمن هذه الصفات السبع إلا أن الكلام عنها يحتاج إلى بسط ، إذ هي من المسائل العويصة التي اختلفت فيها الأقوال . وقد رأيت تأخير الكلام عنها إلى مبحث الصفات الفعلية خاصة أنها من الصفات الذاتية الفعلية كما يتضح ذلك هناك .

ولاشك أن ما قرره ابن العربي من إثبات هذه الصفات هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، إلا أنه يؤخذ على ابن العربي اعتماده في إثباته لهذه الصفات على الأدلة العقلية دون الأدلة النقلية متأثراً في ذلك بطريقة المتكلمين . وقد سبق الرد على ابن العربي ومناقشته في ذلك في مباحث العقل من الباب الأول[٣].

وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون هذه الصفات عن طريق دلالة السمع والعقل معاً مع كون الأصل عندهم في ذلك هو السمع كما تقدم .

---

(١) المرجع السابق ص (٤٦٠)

(٢) قانون التأويل ص (٤٦١)

(٣) انظر: ص (٧١).

أولاً : دلالة السمع :

لقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصوص كثيرة تدل دلالة واضحة على إثبات تلك الصفات السبع. وتفصيل ذلك كما يلي :

١ـ صفتا العلم والقدرة :

يثبت أهل السنة والجماعة هاتين الصفتين على حقيقتهما كما دل على ذلك قوله تعالى﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت أن الله عليم خبير**﴾[١]، وقوله ﴿**ألم يعلوا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب**﴾[٢] وقوله ﷻ ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾[٣] وقوله ﴿**إنه كان عليماً قديراً**﴾[٤].

وكما ورد في حديث جابر ﷺ في دعاء الاستخارة قال :كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول:«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسالك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب...)[٥].

٢ـ صفة الحياة :

صفة الحياة ثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿**الله لا اله إلا هو الحي القيوم**﴾[٦]، وقوله ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾[٧]

---

(١) سورة لقمان آية (٣٤)

(٢) سورة التوبة آية (٧٨)

(٣) سورة آل عمران آية ٢٩)

(٤) سورة فاطر آية (٤٤)

(٥) أخرجه البخاري (١١/١٨٣) الفتح (١١/١٨٣ح٦٣٨٢) كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة .

(٦) سورة البقرة آية (٢٥٣) .

(٧) سورة الفرقان آية (٥٨) .

وقوله ﴿**وعنت الوجوه للحي القيوم**﴾[١] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وكما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والأنس يموتون»[٢].

٣ـ صفة الإرادة :

الإرادة صفة من صفات الله تعالى أثبتها أهل السنة لله تعالى كما أثبتها لنفسه في قوله تعالى«**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**»[٣] وقوله «**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كأنما يصعد في السماء**»[٤] وقوله تعالى «**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**»[٥] وكما في حديث معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...» [٦].

٤ـ صفتا السمع والبصر :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله سميع بصير، كما تواتر ذلك في نصوص الكتاب والسنة. فمن الكتاب قوله تعالى ﴿**إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً**

---

(١) سورة طه آية (١١١).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٧/٤ح٢٧١٧) كتاب الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل.

(٣) سورة يس آية (٨٢).

(٤) سورة الانعام آية (١٢٥).

(٥) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٦) أخرجه البخاري الفتح (١٦٤/١ح٧١) كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً، ومسلم (٥٩٣/٢ح١٠٣٧) كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة.

بصيراً﴾(١)، وقوله ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً﴾(٢)، وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾(٣) . ومن السنة قوله ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكن تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٤).

فهذه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صريحة في إثبات هذه الصفات لله تعالى على الحقيقة مع نفي التشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل كما قال ﷻ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾

ثانياً : دلالة العقل :

أما دلالة العقل على إثبات هذه الصفات إجمالاً فمن وجهين :

الوجه الأول : أن هذه الصفات صفات كمال ، وقد اتصف بها بعض المخلوقين، وما كان كمالا مما اتصف به المخلوق ، فالخالق سبحانه أولى بالاتصاف به .

الوجه الثاني : أن الله ﷻ لو لم يتصف بهذه الصفات لاتصف بأضدادها من الجهل والعجز ونحوهما ، وهذا مما يمتنع في حق الرب ﷻ فوجب ان يوصف بهذه الصفات لا بضدها(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

(إن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة في هذا الباب : انه

---

(١) سورة النساء آية (٥٨) .

(٢) سورة النساء آية (١٣٤) .

(٣) سورة الشورى آية (١١) .

(٤) رواه البخاري الفتح (١٣/٣٧٢ح٧٣٨٦) كتاب التوحيد ، باب ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ ومسلم (٤/١٦٤٩ح٢٧٠٤) كتاب الذكر ، باب استحباب خفض الصوت .

(٥) نظر: فتاوى شيخ الإسلام (٣/د-هـ ، ٦/٨٨-٨٩ ، ١٦/٣٥٦-٣٥٧) .

لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصاف بالأخرى ، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز ، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبكم ...) وهذه الطريق غير قولنا أن هذه صفات كمال يتصف بها المخلوق ، فالخالق أولى، فإن طريق إثبات صفات الكمال بأنفسها مغاير لطريق إثباتها بنفي ما يناقضها)[1].

ومما تقدم يتضح صحة ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في إثباتهم لهذه الصفات من طريق السمع والعقل ، ومجانبة ابن العربي للصواب في اعتماده في إثبات تلك الصفات على العقل وحده، مع أن النصوص صريحة في الدلالة على إثباتها. والله تعالى أعلم .

---

[1] فتاوى شيخ الإسلام (٣/د-هـ) القاعدة السابعة .

المطلب الثاني
الصفات الذاتية التي أوَّلها ابن العربي

أولاً : صفة العلو :

تمهيد :

علو الله تعالى على خلقه ينقسم إلى قسمين :

١- **علو معنوي** : كعلو القدر والجلالة وعلو القهر والسلطان ، وهذا النوع من العلو ثابت لله تعالى بإجماع المسلمين لا خلاف بينهم في ذلك .

٢- **علو ذاتي** : وهو علوه سبحانه بذاته على خلقه حقيقة وهذا النوع ثابت لله تعالى عند أهل السنة والجماعة ، وأما أهل البدعة من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم فقد أنكروا اتصاف الله تعالى بعلو الذات وحملوا ما ورد في ذلك من النصوص على العلو المعنوي[١].

وسيكون الكلام مع ابن العربي -رحمه الله- عن هذا النوع من العلو ، وهو علو الذات .

رأي ابن العربي في صفة العلو :

أنكر ابن العربي أن يكون الله تعالى عالياً على خلقه علواً ذاتياً، وصرف النصوص الواردة في إثبات علو الذات إلى أن المراد بها العلو المعنوي من علو الرفعة والجلالة ونحوها، فقال في معرض كلامه عن قوله ﷺ: « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢]:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين (١/٣٤٨) تحقيق أشرف عبد المقصود ، ط/ مكتبة طبرية الرياض .

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٠) وأبو داود (٢/٦٣٥) كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢١٦) ، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢/٦٣٠ح٩٢٥) .

(وقوله "في السماء" إخبار -كما تقدم- عن غاية الرفعة ومنتهى الجلالة لاعن محل استقر فيه ...)[١].

وهذا الذي أشار إليه ابن العربي تأويل واضح ، حيث حمل قوله "في السماء" على علو الرفعة والجلال ، مع صراحة اللفظ في علو الذات .

ويعبر ابن العربي في كثير من الأحيان عن لفظ (العلو) باصطلاح حادث دأب عليه المتكلمون ، وهو لفظ (الجهة) وفي ذلك يقول عند قوله تعالى﴿**فثم وجه الله**﴾[٢]: (قيل معناه ، فثم الله ، وهذا يدل على نفي الجهة والمكان عنه تعالى لاستحالة ذلك عليه)[٣].

فقد صرح ابن العربي بنفي الجهة والمكان عن الله تعالى ، ومراده بذلك نفي علو الله تعالى على خلقه .

وفي موطن آخر يقول عند تفسير قوله تعالى﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء**﴾[٤]: (رفعه بصره إلى السماء لم يكن لأن الباري في جهة يتعالى عن ذلك)[٥].

وقد ذكر ابن العربي قصة الجويني المشهورة في استدلاله على نفي الجهة وذلك في معرض تفسيره لقوله ﷻ ﴿**فساهم فكان من المدحضين**﴾[٦] فقال :(اخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أنه سئل، هل الباري تعالى في جهة؟ فقال : لا وهو يتعالى عن ذلك وقيل له : ما الدليل

---

(١) عارضة الأحوذي (١٠٨/٨)

(٢) سورة البقرة آية (١١٥) .

(٣) أحكام القرآن (٥٣/١)

(٤) سورة البقرة آية (١٤٤) .

(٥) عارضة الأحوذي (٨٦/١١)

(٦) سورة الصافات آية (١٠٦) .

على ذلك، قال : الدليل عليه قوله ﷺ "لا تفضلوني على يونس بن متى"[١] قيل له: ما وجه الاستدلال من هذا الخبر؟ قال : لا أقوله حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها دينه. فقام رجلان فقالا: هي علينا، فقال: لا يتبع بها اثنين، لأنه يشق عليه فقال واحد: هي عليَّ. فقال: إن يونس بن متى رمى بنفسه في البحر ، فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ، ونادى : ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾[٢] و لم يكن محمد ﷺ بأقرب من الله من يونس حين جلس على الرفرف الأخضر ، وارتقى به، وصعد حتى انتهى به إلى موضع يسمع منه صرير الأقلام ، وناجاه ربه بما ناجاه ، وأوحى إلى عبده ما أوحى ، بأقرب من الله من يونس بن متى في بطن الحوت وظلمه البحر)[٣].

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي من إنكاره صفة العلو الذاتي لله تعالى قول باطل، مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ، ولما تواتر من الأدلة الصريحة في إثبات هذه الصفة .

ومذهب أهل السنة والجماعة ان الله تعالى موصوف بعلو الذات حقيقة، كما انه موصوف بعلو القدر والقهر حقيقة ، فله سبحانه العلو المطلق من جميع الجهات.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات علو الذات لله تعالى ، بدلالة السمع والعقل والفطرة .

اولاً : دلالة السمع :

تعددت أدلة العلو من الكتاب والسنة حتى ذكر بعض العلماء أنها تصل إلى ألف دليل، وذلك لكثرة أنواعها ، ومن هذه الأنواع :

١ـ التصريح بالفوقية مقرونا بأداة (من) المعينة للفوقية بالذات كقوله ﴿**يخافون**

---

(١) سيأتي تخريجة، انظر ص ٣١٦.

(٢) سورة الأنبياء آية (٨٧) .

(٣) أحكام القرآن (٤/٣٥)

ربهم من فوقهم﴾[١].

٢ـ التصريح بالصعود والعروج إليه كقوله ﷻ :﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾[٢] وقوله﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾[٣] .

٣ـ التصريح بالعلو المطلق ، الدال على جميع مراتب العلو ، ذاتاً وقدراً وشرفاً ، كقوله ﷻ: ﴿**وهو العلي العظيم**﴾[٤] وقوله ﴿**وهو العلي الكبير**﴾[٥].

٤ـ التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله ﷻ ﴿**تنزيل الكتاب من ا لله العزيز العليم**﴾[٦] وقوله ﴿**قل نزله روح القدس من ربك**﴾[٧].

٥ـ التصريح بالاستواء مقروناً بأداة (على) مختصاً بالعرش ، الذي هو أعلى المخلوقات

٦ـ التصريح بأنه تعالى في السماء كقوله ﷻ «**أأمنتم من في السماء**»[٨].

وقوله ﷺ «ربنا ا لله الذي في السماء»[٩] وهذا عند المفسرين من أهل السنة عىى أحد وجهين:

إما إن تكون(في) بمعنى(على) وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك. ولا يجوز الحمل على غيره وكلاهما صريح في إثبات العلو .

٧ـ وقوع الإشارة إلى العلو حساً، كما أشار إليه النبي ﷺ في حجة الوداع في ذلك المجمع

---

[١] سورة النحل آية (٥٠) .

[٢] سورة فاطر آية (١٠) .

[٣] سورة المعارج آية (٤) .

[٤] سورة البقرة آية (٢٥٥) .

[٥] سورة سبأ آية (٢٣) .

[٦] سورة غافر آية (٢) .

[٧] سورة النحل آية (١٠٢) .

[٨] سورة الملك آية (١٦) .

[٩] تقدم تخريجه .

العظيم ، حين قال لهم: «أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون» قالوا : نشهد أنت قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شئ ، قائلاً : (اللهم اشهد)[١].

٨ ـ التصريح بلفظ الأين (كقول أعلم الخلق به ، وأنصحهم لأمته وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح ، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه (أين الله)[٢] في غير موضع[٣].

ثانياً : دلالة العقل :

علو الله تعالى كما ثبت بدلالة السمع فهو أيضاً ثابت بدلالة العقل وذلك من وجوه:

الوجه الأول : أن يقال : إن الله لما خلق العالم ، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته ، والأول باطل : أما أولاً : فبالاتفاق ، وأما ثانياً : فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والثاني : يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته ، فيكون منفصلاً ، فتعينت المباينة ، لان القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه ، غير معقول[٤].

الوجه الثاني : أن يقال : إذا ثبت بصريح العقل أن الله مباين للمخلوقات. فالمباينة تستلزم إما العلو على العالم أو السفول عنه ، وقد ثبت بصريح العقل أيضاً ان الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص ، فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما دون النقص، وصفة العلو هي صفة الكمال ، فيوصف الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٧٢٤ح١٢١٨) كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

(٢) ومن ذلك ما أخرجه مسلم (١/٣١٨ح٥٣٧) كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في صلاة (في قصة الجارية التي لطمها سيدها أن النبي ﷺ قال لها (أين الله ؟) قالت : في السماء ...) .

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٦٣-٢٦٦)و انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص(٣٥٥) .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٦٩)

بها دون صفة السفول فيتنزه عنها[١].

الوجه الثالث : أنه قد ثبت أن العالم كري ، كما اعترف بذلك المنكرون للعلو، وإذا ثبت أن العالم كري، وثبتت مباينة الله لمخلوقاته ، لزم أن يكون الرب تعالى في العلو ضرورة . وذلك لان العالم إذا كان مستديراً فله جهتان حقيقتان العلو والسفل فقط ، فيمتنع أن يكون الله في السفل مع مباينته للعالم ، فوجب قطعاً أن يكون في العلو[٢].

الوجه الرابع : أنه قد ثبت بالعقل إمكان رؤية الله ﷻ ، وثبت بالشرع وقوعها يوم القيامة، فاتفق العقل والشرع على إمكان الرؤية ووقوعها ، وإذا جاز أن يرى سبحانه، فالرؤية المعقولة عند جميع بني آدم أن يكون المرئي مقابلاً للرائي : مواجها له مبايناً عنه، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينته للمرئي لزم ضرورة أن يكون مرئياً له من فوقه أو من تحته او عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، وقد دل النقل الصريح على أنهم يرونه سبحانه من فوقهم[٣].

ثالثاً : دلالة الفطرة :

أما ثبوت العلو بالفطرة ، فذلك أمر معلوم بالضرورة ، مستقر في فطر العباد، فإن الخلق جميعاً بطابعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى . ولذلك تجد العامي يعرف ذلك بفطرته السليمة، ولو قيل له إن الله ليس في العلو لأنكر ذلك غاية الإنكار .

وهذا مما حير المنكرين لهذه الصفة ، كما في قصة الجويني مع الشيخ أبي جعفر الهمداني، حينما حضر الهمداني مجلس الجويني وهو يتكلم في نفي صفة العلو ، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان. فقال الشيخ أبو جعفر : اخبرنا يا أستاذ عن

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٣٠٧/٤)

(٢) المرجع السابق (٢٨٠/٤) انظر: درء التعارض (٣٢٧/٦)

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (١٣٣١/٤)

هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: (فلطم أبوالمعالي على رأسه ونزل ، وقال : حيرني الهمداني حيرني . أراد الشيخ أبوجعفر: أن هذا الأمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين ، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو[١].

أما أقوال السلف والأئمة في إثبات هذه الصفة لله تعالى فكثيرة جداً مما يدل على إجماعهم على ذلك، وهي مدونة في مصنفات الأئمة من أهل السنة والجماعة، وقد سرد الإمام ابن القيم جملة منها في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية[٢].

والحاصل أن علو الله تعالى بذاته على خلقه ثابت ثبوتاً قطعياً بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة ، مما لا يدع مجالاً لإنكاره أو تأويله .

الرد على ابن العربي في إنكاره لعلو الله ﷻ :

١- أن إنكار ابن العربي لعلو الله بذاته على خلقه مخالف لأدلة السمع والعقل والفطرة وإجماع الأمة، وكفى بذلك مخالفة .

٢- أن ما ذهب إليه ابن العربي من تأويل النصوص الواردة في علو الذات باطل، سواء قال: إن المراد بذلك علو الرفعة والجلالة أو علو القهر . وذلك أن ظاهر النصوص وحقيقتها إثبات علو الذات لله ﷻ، ولا يجوز العدول عن ذلك الظاهر إلا بدليل يُسوغ ذلك ، وقد تقدم الرد على ابن العربي في مسألة التأويل ، وذلك في الفصل الثاني من الباب الأول[٣] .

٣- أن لفظه لجهة «الذي نفاه ابن العربي عن الله ﷻ، لفظاً فيه إجمال وتلبيس، وقد

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٧٠) ، وانظر: إجتماع الجيوش الإسلامين ص (١٧٤) ط/دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

[٢] انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٦٢) وما بعدها ، وانظر في ذلك أيضاً: درء التعارض ص (٦/ ٢٥٠) وما بعدها .

[٣] انظر: ص (١٠٩) .

ساقه ابن العربي للتعبير به على نفيه للعلو، والصواب أن هذا اللفظ من الألفاظ المحدثة، فإن أريد بالجهة ما فوق العالم ، فهذا ثابت لله ﷻ لا يجوز أن ينفى عنه ، وإن أريد بالجهة أن الله ﷻ ليس موجوداً داخل العالم ، فنفي ذلك عن الله ﷻ هو الواجب، لان الله ﷻ منزه عن ان يكون في شئ من مخلوقاته .

٤ـ أما الدليل الذي نقله ابن العربي عن الجويني ، في استدلاله على نفي العلو فباطل من وجهين:

الوجه الأول : أن ذلك مبني على حديث لا يصح عن النبي ﷺ وهو قوله : «لا تفضلوني على يونس بن متى»[١] وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله ﷺ لفظاً ومعناً.

الوجه الثاني : على فرض صحته فالاستدلال به على نفي العلو ممتنع لما في ذلك من التكلف الواضح[٢].

قال ابن العز ـ رحمه الله ـ (وأما ما يروى أن النبي ﷺ قال : «لا تفضلوني على يونس بن متى» وأن بعض الشيوخ قال : لاتفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالاً جزيلاً ، فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج! وعدوا هذا تفسيراً عظيماً ، وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنى، فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها...)[٣].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من المتكلمين الذين ذهبوا إلى إنكار صفة

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وقال الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص(١٦٢):(لا أعرف له أصلاً بهذا اللفظ) ؛ قلت: وفي صحيح البخاري الفتح (٦/٤٥٠ ح٣٤١٢) ان النبي ﷺ قال:«لايقولن أحدكم إني خير من يونس»وفي حديث آخر عند البخاري (٥/٧٠ح٢٤١٢) أن النبي ﷺ قال في قصة الأنصاري مع اليهودي:«لاتخيروا بين الأنبياء»

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٣٠٥) ودرء التعارض (٧/٢٧) وشرح العقيدة الطحاوية ص (١٩٤)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(١٢٠-١٢١) .

العلو الذاتي لله تعالى. وأن الحق هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات ذلك لله تعالى على الحقيقة : كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة .

ثانياً : صفة اليدين :

من الصفات الذاتية التي جاءت بإثباتها نصوص الكتاب والسنة صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته . وقد ذكر ابن العربي أن الأشاعرة اختلفوا في إثبات هذه الصفة على قولين :

القول الأول : أن اليدين صفة ثابتة لله كما وردت في القرآن الكريم، وقد نسب هذا القول إلى المتقدمين من الأشاعرة .

القول الثاني : ان اليدين ليستا من صفات الله ، وإنما هي عبارة عن القدرة، وقد نسب ابن العربي ذلك إلى متأخري الأشاعرة .

يقول ابن العربي في ذلك :

(قال علماؤنا المتقدمون : إن اليدين صفة ثابتة في القرآن ليس لها كيفية ، وحملها المتأخرون من أصحابنا على القدرة)[١].

رأي ابن العربي في صفة اليدين :

ذهب ابن العربي إلى اختيار قول متأخري الأشاعرة، فأنكر اتصاف الله تعالى بصفة اليدين، وحمل ذلك على معنى القدرة ، فقال بعد سياقه لعدد من النصوص الواردة في إثبات اليدين كقوله ﷻ﴿**لما خلقت بيدي**﴾[٢] وقوله ﴿**والسموات مطويات**

---

(١) العواصم ص (٢٢٠) .

(٢) سورة ص آية (٧٥) .

بيمينه﴾[١] قال: (وهذا كله عبارة عن القدرة ، وضرب الله اليد مثلاً إذ هي آلة التصرف عندنا)[٢].

فابن العربي يرى أن تلك النصوص الواردة في إثبات صفة اليدين ليس على ظاهرها، وإنما هي عبارة عن القدرة ، وذكر اليدين أو اليمين ـ عنده ـ إنما هو على سبيل التمثيل .

وفي موطن آخر حمل لفظ (اليد) على معنى القدرة والإرادة جميعاً، فقال عند حديث «يمين الرحمن ملأى»[٣] (قوله : وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض وذلك عبارة عن التقدير والتدبير الصادر عن الإرادة ، فعبر عن القدرة والإرادة باليدين اللتين تتصرفان بحسب العلم)[٤].

وأما وجه تعلق اليدين بالقدرة ، فقد بين ذلك ابن العربي بقوله :

(و لله تعالى اليد العليا واليمنى ، وكلا يديه يمين ، وله الأصبع ، وله الكف ، وكل واحد منهما عبارة عن القدرة ، وتعقلها بالمقدورات، فاليد عبارة عن القدرة جملة بجملة، واليمين عبارة عن الشرف أو فضل قوة في التصرف ، والكف عبارة عن تمهيد محل القبول أو بسط القابض كفه ليأخذ بها ما يعطى...)[٥].

وما قرره ابن العربي من تأويل صفة اليدين وجعلها عبارة عن القدرة أو الإرادة، تأويل باطل ، مخالف لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به ﷻ ، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وتواتر عن سلف هذه الأمة .

---

(١) سورة الزمر آية (٦٧) .

(٢) العواصم ص (٢٢٠) .

(٣) سيأتي تخريجه، انظر ص ٣١٩.

(٤) عارضة الأحوذي (١١/١٧٣-١٧٥)

(٥) القبس شرح الموطأ (٣/١١٨٨ - ١١٨٩)

فمن أدلة الكتاب قوله ﷻ ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان**﴾[١] فقد أنكر سبحانه على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب، ولم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى، وقوله ﷻ ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾[٢]، وقوله ﷻ عن إبليس ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾[٣]، ومن أدلة السنة: ما رواه أبو هريرة ﷺ، ان النبي ﷺ قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده، وقال «عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[٤]، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا»[٥].

ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[٦].

والآيات والأحاديث في إثبات صفة اليدين لله تعالى كثيرة جداً لمن تتبعها في مصنفات العلماء من أهل السنة والجماعة. فقد بوب العلماء في كتبهم أبواباً مستقلة، ذكروا فيها أدلة إثبات صفة اليدين من الكتاب والسنة وكلام السلف، كما فعل الإمام

---

(١) سورة المائدة آية (٦٤)

(٢) سورة الزمر آية (٦٧)

(٣) سورة ص آية (٧٥)

(٤) أخرجه البخاري، الفتح (١٣/٣٩٣ح٧٤١١)كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي)، وأخرجه مسلم (٢/٥٧٣ح٩٩٣)، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة.

(٥) أخرجه مسلم (٣/١٤٥٨ح١٨٢٧)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

(٦) أخرجه مسلم (٤/٢١١٣ح٢٧٥٩)، في كتاب التوبة، باب قبول التوبة.

ابن خزيمة - رحمه الله - في كتاب (التوحيد) حيث قال (باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان بأن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله)[١] وكما في كتاب الشريعة للإمام أبي بكر الآجري، حيث قال (باب الأيمان بأن لله ﷻ يدين . وكلتا يديه يمين)[٢] وكما فعل قوام السنة الأصبهاني في كتاب (الحجة) حيث قال (فصل في إثبات صفة اليد لله تعالى)[٣].

قال ابن القيم رحمه الله :

(ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد، والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوارة بيده، وغرس جنة عدن بيده ...)[٤].

وأما تأويل ابن العربي لصفة اليدين بحملها على القدرة أو الإرادة أو غيرها فتأويل باطل؛ وذلك لأمور عدة :

١ـ أن النصوص قد تواترت في إثبات صفة اليدين ، والأصل حمل تلك النصوص على حقيقتها، ولا يجوز صرفها عن حقيقتها إلا بدليل يسوغ ذلك .

٢ـ أنه لا يجوز حمل تلك النصوص على القدرة أو الإرادة ، لكون اليد وردت في بعض النصوص بلفظ التثنية ، ولم يعهد إطلاق القدرة أو الإرادة على الله تعالى بلفظ التثنية، إضافة إلى ان ذلك مما تأباه اللغة ، فلا يصح أن يقال : لما خلقت بنعمتي .

٣ـ أن صفة اليدين ، قد تنوعت النصوص في إثباتها كما تقدم في كلام ابن القيم، فقد وردت بالإفراد والتثنية وبلفظ (اليمين) و(الكف) وغير ذلك مما يدل على أنها على

---

[١] التوحيد لابن خزيمة ص (٥٣) .

[٢] الشريعة للآجري (١١٧٤/٣) تحقيق د/عبدالله الدميجي ، ط/دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

[٣] الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٨٥/١) .

[٤] مختصر الصواعق المرسلة ص(٣٣٤)

حقيقتها ، ويمنع من تأويلها بالقدرة أو غيرها[١].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي في تأويله لصفة اليدين ، وحملها على القدرة أو الارادة، ومخالفته في ذلك لما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة على حقيقتها كما وردت في نصوص الكتاب والسنة .

ثالثاً : صفة القدم :

القدم صفة ثابتة لله تعالى كغيرها من الصفات الذاتية الخبرية ، دلت على إثباتها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ، كحديث أنس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه ، فتقول قط قط، وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض»[٢] وفي بعض الروايات لفظ (الرجل) بدل (القدم) كما سيأتي في سياق أدلة إثبات هذه الصفة لله تعالى.

رأي ابن العربي في إثبات صفة القدم لله تعالى :

ذهب ابن العربي إلى إنكار صفة القدم لله تعالى ، وحمل ما ورد من الأحاديث في إثبات هذه الصفة لله تعالى على أن المراد بلفظ (القدم) الوارد في النصوص هي مقدمة سبقت في علم الله على جمع أنهم من أهل النار، فيجعلون فيها طبقات.

وفي ذلك يقول ابن العربي عند قوله ﷺ «حتى يضع الرحمن قدمه فيها : قال :«إن القدم عبارة عن مقدمة سبقت في علم الله على جمع أنهم من أهل النار فيجعلون فيها طبقات...)[٣] .

وأما ما ورد في النصوص بلفظ (الرجل) فقد حمله ابن العربي على أن المراد به الجماعة من الناس ، فأعاده إلى معنى القدم .

يقول ابن العربي في ذلك: (وقد روى فيها«حتى يضع الرحمن فيها رجله» وإلى

---

[١] انظر: مختصر الصواعق ص(٣٢٢ - ٣٢٦) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لغنيمان (١/٣٢٢-٣٢٩)

[٢] أخرجه مسلم (٤/١٧٣٤-٢٨٤٨) في كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

[٣] عارضة الأحوذي (١٠/٢٦)

الأول يعود، وإنما المراد به جملة من الخلق، فتارة عبر عنهم بلفظ القدم من تقدم العلم فيهم بذلك، وتارة عبر عنهم بالرجل أي الجماعة من الناس وغيرهم)[١].

وفي موطن آخر يقول عند الحديث المتقدم:

(قوله «قدمه» القدم هاهنا عبارة عن الذين سبق عليهم الشقاء وكل شئ قدمته فهو قدم)[٢].

فابن العربي بهذا ، يرى تأويل هذه الصفة ، وعدم إثباتها على ظاهرها سواء عبر عنها بلفظ (القدم) أو بلفظ (الرجل)، فذلك كله محمول عنده على جماعة من الناس سبق في علم الله انهم من أهل النار فيجعلون فيها فينزوي بعضها إلى بعض.

وقد علل ابن العربي إنكاره لصفة القدم وعدم إثباتها كما هو ظاهر النصوص بقوله: (أنها توضع في النار ، ولا توضع صفة الله في النار)[٣].

هكذا عبر ابن العربي عن سبب إنكاره لهذه الصفة بأنه يستحيل أن توضع صفة الله في النار.

وقد ادعى ابن العربي أنه لا خلاف بين الناس ان القدم ليست من صفات الله تعالى فقال: (ومهما اختلف الناس في اليدين هل هي صفة ام لا فلا يختلفون في القدم أنها ليست بصفة)[٤].

ومما تقدم من كلام ابن العربي على صفة القدم وإنكاره أن تكون هذه الصفة من صفات الله تعالى ، يتضح انه قد خالف في ذلك مذهب أهل السنة والجماعة في وجوب إثبات صفة القدم لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، وانه سبحانه يضع قدمه الحقيقية في النار فتقول: قط قط ، كما نطقت بذلك الأحاديث عن الصادق المصدوق ﷺ، كما تقدم في حديث أنس ﷺ، وكما ورد في حديث ابي هريرة ﷺ عن

---

(١) عارضة الأحوذي (١٠/٢٦)

(٢) المرجع السابق (١٢/١٦٠)

(٣) المرجع السابق (١٢/١٦١) .

(٤) المرجع السابق (١٠/٢٥) .

النبي ﷺ قال : «تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. فقال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط فهنالك تمتلئ ...»[١].

وكما في صحيح مسلم عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :«لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»[٢].

فهذه الأحاديث وغيرها صريحة في إثبات صفة القدم لله تعالى على الحقيقة كما وردت من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل .

الرد على ابن العربي في إنكاره لصفة القدم لله تعالى :

١ـ أن إنكار ابن العربي لهذه الصفة مخالف لما تقدم من الأحاديث الصريحة في إثبات صفة القدم لله تعالى . والأصل ان الكلام الواضح إذا سمعه السامع لم يتبادر إلى ذهنه إلا ظاهره اللائق بجلال الله تعالى .

٢ـ أن تأويل ابن العربي لصفة القدم او الرجل بالجماعة والجملة من الناس الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار ، تأويل باطل من وجهين :

الوجه الأول : أن قوله (قدمه) أو (رجله) لا يفهم منه هذا المعنى الذي ذكره ابن العربي ، لا حقيقة ولا مجازاً ، كما تدل على ذلك الإضافة .

الوجه الثاني : أن قوله (فينزوي بعضها إلى بعض) دليل على أنها تنضم على من

---

[١] أخرجه البخاري الفتح(٥٩٥/٨ح٤٨٥٠) ، كتاب التفسير ، باب ﴿وتقول هل من مزيد﴾، ومسلم (١٧٣٣/٤ح٢٨٤٦)، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

[٢] تقدم تخريجه .

فيها فتضيق بهم ، من دون أن يلقى فيها شئ ، وكذلك قوله: «حتى يضع» ولم يقل: «حتى يلقى فيها» كما في قوله «لا يزال يلقى في النار»[١].

٣- أن القول باستحالة وضع صفة القدم في النار قول باطل مبني على تشبيه الخالق بالمخلوق، والله ﷻ رب كل شئ ومليكه فلا يقاس بخلقه ، فانه سبحانه ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(أما وضعه تعالى قدمه في النار فهذا لا استحالة فيه بالنسبة لله تبارك وتعالى رب كل شئ ، وقياسكم ذلك على الخلق باستحالة وضع القدم منهم ، هو عين التشبيه الذي ادعيتم الفرار منه ، فوقعتم في أعظمه ، فقياسكم الله تعالى على خلقه هو الذي أوقعكم في تعطيله بعد تشبيهه فجمعتم بين محذورين ، تشبيه الله بخلقه، وتعطيله بنفي صفاته اللائقة بجلاله وعظمته)[٣].

٤- أن دعوى ابن العربي أنه لا خلاف بين الناس في أن القدم ليست من صفات الله تعالى دعوى مردودة بما تواتر عن أئمة السلف في إثبات صفة القدم لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ومن ذلك :

قول إمام الأئمة ابن خزيمة – رحمه الله – (باب ذكر إثبات الرجل لله ﷻ وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا ﷻ التي أثبتها الله لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ ، قال الله ﷻ وعلا يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله ﴿ **ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها**

---

(١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيميه ص (٦٤٧) وانظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لنغيمان (١٥٥/١)

(٢) سورة الشورى آية (١١) .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (لابن تيميه (١٥١/٣) مطابع المجد وانظر: مختصر الفتاوى المصرية ص (٦٤٧-٦٤٨) ط/دار ابن القيم ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم﴾[١] فأعلمنا ربنا جل وعلا أن من لا رجل له ولا يد ولا عين ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل...)[٢] ثم ساق رحمه الله جملة من الأحاديث الواردة في إثبات القدم لله تعالى.

وقال الإمام ابن بطة[٣] – رحمه الله – في سياق عقيدة أهل السنة والجماعة : (ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله ﷺ ، ونتلقاها بالقبول ، ولا ترد بالمعاريض ، ولا يقال لِمَ وكيف ... مثل أحاديث الصفات والرؤية، ومثل ما روي أن الله ﷻ يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع، وأن الله ﷻ يضع قدمه في النار فتقول : قط قط...)[٤].

وقال البغوي – رحمه الله –بعد سياقه للأحاديث الواردة في صفة القدم : قال: (قلت : والقدم والرجلان المذكوران في هذا الحديث من صفات الله ﷻ المنزه عن التكييف والتشبيه ، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والأصبع والعين والمجيء والإتيان، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل ، والمكيف مشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**[٥]﴾[٦].

---

[١] سورة الاعراف آية (١٩٥) .

[٢] التوحيد لابن خزيمة . ص (٩٠) دار الكتب العلمية

[٣] هو أبو عبدالله ، عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، الإمام العابد الفقيه المحدث صاحب التصانيف ، ولد سنة٣٠٤هـ وتوفي سنة٣٨٧هـ سيراعلام النبلاء (٥٢٩/١٦) ، البداية والنهاية (٣٤٣/١١) .

[٤] الشرح والإبانه على اصول السنة والديانة ، لابن بطة العكبري ، ص (٢٣٥-٢٣٧) تحقيق د. رضا نعسان . الطبعة الثانية ١٤١١.

[٥] سورة الشورى آية (١١) .

[٦] شرح السنة للبغوي (٢٥٧/١٥)

وقال الهراس – رحمه الله – عند قوله (لا تزال جهنم يلقى فيها) :

(في هذا الحديث إثبات الرجل لله – ﷻ – وهذه صفة تجرى مجرى بقية الصفات، فتثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه)[1].

وكلام الأئمة في إثبات هذه الصفة لله تعالى أكثر من أن يحصر، مما يدل على اتفاقهم على إثبات صفة القدم لله تعالى كما وردت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، وهذا يدل على بطلان ما زعمه ابن العربي من انه لا خلاف بين الناس أنها ليست بصفة.

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من المعتزلة والأشاعرة في إنكارهم لصفة القدم لله تعالى ، وان الصواب هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

رابعاً : صفة الأصابع :

لله تعالى أصابع حقيقية لا تشبه أصابع المخلوقين ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، ففي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: « ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»[2] .

رأي ابن العربي في صفة الأصابع لله تعالى :

يذهب ابن العربي إلى تأويل ما ورد في النصوص من ذكر صفة الأصابع لله تعالى، ويرى أن ذلك من باب ضرب المثل ، وليس يراد به الحقيقة ، وفي ذلك يقول :

(إذا ذكر أصبع الله أو قدم الله فذلك في قول من يتأول وهو الأصح لمن قدر أنه

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ، للهراس ص (١٧١-١٧٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٦٢٣ح٢٦٥٤) كتاب القدر ، باب تصريف الله القلوب .

ضرب مثل، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)[١].

فابن العربي يرى ان تأويل صفة الاصابع هو الصحيح، وذلك بحملها على المعنى الذي حمل عليه صفة اليد وهو القدرة وقد تقدم نقل قوله :

(و لله تعالى اليد العليا واليمنى ، وكلا يديه يمين ، وله الأصبع ، وله الكف، وكل ذلك عبارة عن القدرة)[٢].

فقد جعل ابن العربي صفة الأصابع عبارة عن القدرة كما فعل في صفة اليد، إلا أنه يعبر بالأصابع – عنده – عن التصرف في الأمور الخفية ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : (والأصبع كناية عن التصرف في الأمور الخفية بارتباط العلم والقدرة)[٣].

وفي موطن آخر يقول في بيان معنى قوله: (إن القلوب بين أصبعين ...) .

(اراد في جعل القلب بين أصبعين الإشارة في ذلك إلى سرعة تقليبه وخفائه وحقارته، وهو والمخلوقات سواء في هوان ذلك عنده وحقارته، بالإضافة إلى قدرته)[٤].

فاتضح مما تقدم أن ابن العربي لا يرى حمل الأحاديث الواردة في صفة الأصابع على ظاهرها، وإنما يذهب إلى تأويلها بجعلها عبارة عن قدرة الله تعالى، ويرى أن الأصابع إنما ذكرت في ذلك للتمثيل والتقريب .

وبالنظر فيما ذهب إليه ابن العربي من تأويل صفة الأصابع الواردة في النصوص يتضح مخالفته في ذلك لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة الأصابع لله تعالى على الحقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق ﷺ ومن ذلك :

١ـ ما سبق في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه من قوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين

---

(١) عارضة الأحوذي (٣٠٧/٨)

(٢) القبس الموطأ (١١٨٨/٣)

(٣) المرجع السابق (١١٨٩/٣)

(٤) العواصم ص (٢٣٠)

أصبعين من أصابع الرحمن»[١] وهذا الحديث قد رواه غير واحد من الصحابة - ﷺ - منهم عبد الله بن عمرو كما في هذه الرواية ، وأبوذر، وجابر بن عبد الله. وأنس بن مالك، ونعيم بن عمار، وعائشة وأم سلمة، وأبو هريرة، والنواس بن سمعان، وسيرة من فاتك الأسدي وغيرهم[٢].

٢ـ ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم ، إن الله يمسك السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك أنا الملك ، فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ :﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾[٣] وفي بعض الروايات «فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً لقوله»[٤].

وضحك النبي ﷺ في هذا الحديث تعجباً وتصديقاً لقول هذا اليهودي في وصفه لله تعالى بهذه الأصابع العظيمة التي يمسك بها جميع مخلوقاته ، مما يدل على عظمته وكماله ﷻ .

وقد زعم بعض المتكلمين أن النبي ﷺ إنما ضحك من قول الحبر إنكاراً عليه ، وتعجباً من جهله فيما وصف الله به[٥].

قال الخطابي: (لعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي ، فإن اليهود مشبهة ... وأما ضحكه ﷺ من قول الحبر فيحتمل الرضا والإنكار ، وأما قول الراوي "تصديقا له" فظن

---

[١] تقدم تخريجه .

[٢] انظر: الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص (١٢٨-١٣٠) تحقيق عبدالقادر صوفي ، ط/مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى١٤١٣هـ .

[٣] سورة الزمر آية (٦٧) .

[٤] أخرجه البخاري (٤٧٤/١٣ح٧٥١٣) كتاب التوحيد ، باب قوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ ومسلم (١٧٠٣/٤ح٢٧٨٦) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار .

[٥] انظر: فتح الباري (٣٩٨/١٣)

منه وحسبان)[١].

وقد أنكر ابن العربي هذا القول ورفضه فقال في ذلك :

(توهم قوم أن ذلك لما أراده من التمثيل والتشبيه، وأن أكثر اليهود مجسمة مشبهة ممثلة، ولكن هذا الحبر لم يقصد التشبيه ولو قصده وأراده لما ضحك النبي ﷺ ولا صدقه في الحديث المطلق وبعضه كفر)[٢].

فابن العربي مع أنه يرى تأويل صفة الأصابع ، إلا أنه لا يرضى ما قاله بعض المتكلمين من أن النبي ﷺ إنما ضحك تعجباً من جهل هذا اليهودي أو إنكاراً عليه .

ولاشك أن ابن العربي رحمه الله قد أصاب في رد قول الخطابي وغيره من المتكلمين، إذ إنه لا يعقل أن يضحك النبي ﷺ حتى تبدو نواجذه على أمر لا يجوز على الله تعالى .

قال الإمام ابن خزيمة –رحمه الله–:

(قد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله ، لايصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته)[٣].

والحاصل أن صفة الأصابع ثابتة لله تعالى كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة برواية جمع من الصحابة ﷺ، وقد أثبتها أهل السنة والجماعة وآمنوا بها كما وردت، وقد نص على ذلك أئمة السنة في مصنفاتهم كالإمام ابن خزيمة والآجري وغيرهما.

---

(١) فتح الباري (٣٩٨/١٣)

(٢) عارضة الأحوذي (١٢١/١٢)

(٣) التوحيد لابن خزيمة ص (٧٦)

يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله:

(باب إثبات الأصابع لله عز وجل من سنة النبي ﷺ قيلا له لا حكاية عن غيره كما زعم أهل الجهل)[(١)] ثم سرد رحمه الله جملة من الروايات في ذلك.

وقال الإمام الآجري رحمه الله:

(باب الإيمان بأن الله عز وجل يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق كلها على إصبع)[(٢)] ثم ساق رحمه الله- الأحاديث الثابتة في ذلك.

يقول البغوي رحمه الله- في معرض كلامه عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم:

(والإصبع المذكور في الحديث صفة من صفات الله عزل وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى كالنفس والوجه..)[(٣)].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي في تأويله لصفة الأصابع لله تعالى، ومخالفته في ذلك لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة لله تعالى كغيرها من الصفات الواردة في النصوص على ما يليق بجلال الله سبحانه، كما هي طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات كل ما جاء به الكتاب والسنة من صفات الله تعالى مع نفي التشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل.

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ص (٧٩-٨٠)

(٢) الشريعة للآجري ص (١١٦٤/٣).

(٣) شرح السنة للبغوي (١٦٨/١).

المبحث الثاني

الصفات الفعلية

أولاً : صفة الكلام .

ثانياً : صفة الاستواء على العرش .

ثالثاً : صفة النزول .

رابعاً : صفتا الرضا والغضب .

خامساً : صفة الضحك .

أولاً : صفة الكلام

صفة الكلام صفة ذاتية فعلية ثابتة لله تعالى ، فهي صفة ذاتية من حيث ملازمتها لذات الرب تعالى ، وهي صفة فعلية من حيث تعلقها بالمشيئة والإرادة، وقد دل على إثباتها الكتاب والسنة ، كما في قوله تعالى ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾[١] وقوله سبحانه ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه**﴾[٢] وكما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت إن الله يأمرك ...»[٣] وقد اتفق السلف - رحمهم الله - على إثبات هذه الصفة لله تعالى كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ ، فكلامه ﷻ قديم النوع متجدد الآحاد لا يشبه كلام أحد من خلقه[٤].

رأي ابن العربي في صفة الكلام :

سبقت الإشارة إلى أن ابن العربي قد أثبت صفة الكلام لله تعالى ، كما اثبت سائر الصفات السبع التي تقدم الكلام عنها ، إلا أن إثبات ابن العربي لهذه الصفة يختلف في مضمونه عن إثباته لغيرها من الصفات ، إذ يرى ابن العربي إن كلام الله تعالى خبر قائم بنفسه، متعلق بعلمه، ليس بحرف ولا صوت، قديم قدم ذاته ، وأنه معنى واحد لا يتجزأ ، وإليك مصداق ذلك من كلام ابن العربي نفسه مع مناقشته فيما ذهب إليه وذلك كما يلي :

١- حقيقة كلام الله عند ابن العربي:

يطلق ابن العربي مسمى الكلام على الخبر القائم في نفس المقترن بالعلم وفي

---

(١) سورة النساء آية (١٦٤) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٤٣) .

(٣) رواه البخاري (١٣/٤٥٣ح٧٤٨٣) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده ...﴾ .

(٤) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (٥٢/١٢) وشرح النونية للهراس (١٠٨/١) وشرح الطحاوية ص (١٢٩) .

ذلك يقول: (إن العلم لابدان يقوم عنه في النفس خبر وذلك الخبر هو الكلام)[١].

فابن العربي يرى أن الكلام الحقيقي هو ما يكون في النفس مما له علاقة بالعلم، وأما ما يكون في النفس مما لا علاقة له بالعلم ـ عنده ـ كالوساوس والخواطر فليست داخلة في مسمى الكلام ـ عنده ـ وقد أشار إلى ذلك بقوله في معرض كلامه على ما يدور في نفس: (إن كان على مقتضى العلم فهو الكلام ، وإن لم يقترن بعلمه فهو الوساوس والخواطر ...)[٢].

وأما ما يكون باللسان فيرى ابن العربي أن تسميته كلاماً ليس على الحقيقة ، وإنما ذلك من باب المجاز ، كما تسمى الإشارة كلاماً من هذا الباب ، وفي ذلك يقول: (وأما العبارة باللسان فيسمى كلاماً على المجاز الغالب وكما أن الإشارة أيضاً قد تسمى كلاماً...)[٣].

وبهذا يتضح مراد ابن العربي بمسمى الكلام، وأنه يطلق ذلك على الخبر القائم بالنفس المتعلق بالعلم ، فلا يدخل في ذلك ـ عنده ـ ما يكون في النفس من الوساوس والأفكار لعدم تعلق ذلك بالعلم ، ولاما يجرى من عبارات اللسان لعدم قيامه ـ عنده ـ بالنفس ، وإن كان قد يسمى كلاماً ـ عنده ـ من باب المجاز .

وبهذا الإطلاق لمسمى الكلام أثبت ابن العربي صفة الكلام لله تعالى وقد نفى ابن العربي أن يكون كلام الله ـ القائم بنفسه ـ حرفاً وصوتاً فقال: (القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق ... صفة من صفات الله ليست له كيفية، ولا يشبه كلام مخلوق، ولا يوصف بأنه حرف وصوت)[٤].

وبهذا تتضح حقيقة كلام الله عند ابن العربي، وأنه خبر قائم بنفسه متعلق

---

(١) قانون التأويل ص (٥٠٧) .

(٢) المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ، ورقه (٤٠) .

(٣) المتوسط في الاعتقاد مخطوط ورقة (٤٠) .

(٤) عارضة الأحوذي (٣/١١) .

بعلمه ليس بحرف ولا صوت ، وأما أدلة ابن العربي على ذلك فتتمثل فيما يلي :

١ـ قوله تعالى ﴿**ويقولون في أنفسهم**﴾[(١)].

٢ـ قول عمر ـ ﷺ ـ يوم السقيفة (زورت في نفسي كلاماً)[(٢)].

٣ـ قول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلاً.

وقد أشار ابن العربي إلى هذه الأدلة بقوله في معرض تقريره لمسمى الكلام (وقد جاء به الكتاب نحو قوله ﴿**ويقولون في أنفسهم**﴾ ومثله قول عمر يوم السقيفة (زورت في نفسي كلاماً) وقال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلاً)[(٣)].

وما قرره ابن العربي في هذه المسألة هو مذهب أصحابه الأشاعرة حيث أطلقوا مسمى الكلام على ما يقوم بالنفس، ونفوا أن يكون ذلك بحرف وصوت، يقول الجويني في تعريف الكلام: (الكلام عند أهل الحق ـ يعنى الأشاعرة ـ معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت)[(٤)] وكذلك قال البيهقي والغزالي وغيرهما من أئمة الأشاعرة[(٥)]. ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي وغيره من الأشاعرة في هذه المسألة قول باطل مخالف لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الله ﷻ يتكلم بكلام يسمع بحرف وصوت، وأن كلامه سبحانه لا يشبه كلام أحد من خلقه .

---

(١) سورة المجادلة آية (٨) .

(٢) رواه البخاري الفتح (١٢/١٤٤ح٦٨٣٠) كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى .

(٣) المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ورقه (٤٠) .

(٤) الإرشاد للجويني ص (١٠٦) .

(٥) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٨) والاقتصاد في الاعتقاد للغزلي ص (٧٥) ونهاية الإقدام للشهرستاني ص(٢٧٢-٢٧٣) وأم البراهين للسنوسي ص(٣) ضمن مجموع مهمات المتون ، ط/دار الفكر .

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من أن الله ﷻ يتكلم يسمع بحرف وصوت ، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

اولاً: دلالة الكتاب :

١- قوله تعالى لموسى عليه السلام حينما كلمه ﴿**فاستمع لما يوحى**﴾[١] فدل على أن موسى - عليه السلام - سمع كلام الله تعالى ، ولو كان كلامه سبحانه في نفسه - كما يقول ابن العربي وغيره من الأشاعرة - لم يقل له "فاستمع" إذ أن ما يكون في النفس لا يمكن أن يسمعه أحد، ودل ذلك أيضاً على أن كلامه ﷻ بحرف وصوت وإلا لم يكن سمعه موسى عليه السلام إذ لا يحصل سماع من غير صوت[٢].

٢- قوله تعالى ﴿**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين**﴾[٣] والنداء لا يكون إلا بصوت كما قال أهل اللغة ، قال ابن منظور : (النداء - ممدود - الدعاء بأرفع صوت ، وقد ناديته نداءً)[٤] فدل ذلك على أن الله تعالى ينادي عباده يوم القيامة بكلام مسموع ، لا يسمع إلا ما هو صوت[٥].

والآيات في هذا كثيرة جداً لا يتسع المقام لذكرها .

ثانياً : دلالة السنة :

١- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً «يقول الله : يا آدم! فيقول :

---

[١] سورة القصص آية (١٣) .

[٢] انظر: درء التعارض (٩٣/٢) .

[٣] سورة القصص آية (٦٥) .

[٤] لسان العرب (٣١٥/١٥) .

[٥] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٣١/٦) والعقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبدالله الجديع ص (١٤٥) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

لبيك وسعديك، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار»[١].

فهذا الحديث صريح في أن كلام الله تعالى بصوت يسمعه المخاطب ، ولذلك يسمعه آدم عليه السلام حينما يناديه ربه ، ويجيب بقوله: (لبيك وسعديك) ولو كان كلامه سبحانه في نفسه لم يكن بصوت ، ولما سمعه آدم عليه السلام .

٢ـ حديث عبدالله بن أنيس ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد ـ أو الناس ـ عراة غرلاً بهماً» قلنا : ما بهما؟ قال :«ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد ـ أحسبه قال : كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان...»[٢].

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ عند هذا الحديث :(إن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغيره جل ذكره ، وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ، لان صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما سمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته ...)[٣].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المصرحة بأن كلامه عز وجل بصوت يسمع كحديث أبي هريرة[٤] وعدي بن حاتم[٥] وغيرهما من الصحابة رضوان

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٥/٣) والبخاري تعليقاً الفتح (٤٥٣/١٣) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له...﴾ وقال الألباني في ظلال الجنة (٢٢٥/١) (حديث صحيح) .

(٣) خلق أفعال العباد ص(١٤٩) ط/الدار السلفية ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ .

(٤) أخرجه البخاري الفتح (٤٥٣/١٣ح٧٤٨١) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ...﴾ ولفظه «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ...» الحديث .

(٥) أخرجه البخاري الفتح (٤٧٤/١٣ح٧٥١٢) كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة ولفظه «ما منكم من أحد إلاسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ...» الحديث .

الله عليهم أجمعين.

قال ابن عيسى[١] ـ رحمه الله ـ: (وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثاً بعضها صحاح وبعضها حسان)[٢].

ثالثاً : الإجماع :

استفاضت الآثار عن السلف ـ رحمهم الله ـ في إثبات الكلام لله تعالى وأن ذلك بحرف وبصوت يسمعه المخاطب فمن ذلك :

١ـ قول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ لما سئل عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت قال: (بلى أن ربك ﷻ تكلم بصوت وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت)[٣].

٢ـ وقال الحافظ أبو نصر السجزي: (وليس في وجود الصوت من الله تعالى تشبيه بمن يوجد الصوت منه من الخلق ، كما لم يكن في إثبات الكلام له تشبيه بمن له كلام من خلقه)[٤].

٣ـ وقال ابن أبي عاصم[٥] في السنة (باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك) ثم ذكر ـ رحمه الله ـ جملة من الأحاديث في إثبات الصوت لله تعالى[٦].

٤ـ وقال قوام السنة الأصبهاني (كلام الله تعالى مدرك مسموع بحاسة الأذن

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي ، العلامة المحقق ، له عدة مصنفات من أشهرها شرح نونية ابن القيم ، توفي رحمه الله سنة١٣٢٩هـ ببلدة المجمعة ، انظر: مقدمة شرح النونية (١٧/١-١٨) .

(٢) شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٢٢٩/١) .

(٣) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٣٠٢/١) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩٣/٢) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، كان إماماً صالحاً ورعاً كبير القدر ، له مصنفات على طريقة السلف ، توفي سنة٢٨٧هـ ، انظر: البداية والنهاية (٩٠/١١) ، وشذرات الذهب (١٩٥/٢) .

(٦) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢٢٥/١) ط/ المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

فتارة يسمع من الله تعالى ، وتارة يسمع من التالي ، فالذي يسمعه من الله تعالى من تولى خطابه بنفسه بلا واسطة ولا ترجمان ... ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله تعالى على الحقيقة من التالي خلافاً لأصحاب الأشعري)[١].

إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة التي تدل على إجماع السلف ـ رحمهم الله ـ على ذلك، إذ أن ذلك قد استفاض عنهم ، ولم ينقل عن أحد منهم خلافه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة ، أنه سبحانه ينادي بصوت ، نادى موسى ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت ، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم بصوت أو حرف)[٢].

الجواب عن أدلة ابن العربي :

١ـ قوله تعالى ﴿**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾[٣] حيث نسب القول الى الأنفس ، وقد أجاب أهل السنة عن ذلك بجوابين :

أحدهما: أن المراد أن المنافقين قالوا ذلك بألسنتهم سراً ، وحينئذ فلا حجه لهم فيه فانهم كانوا يقولون : سام عليك ، فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم أي يقول بعضهم لبعض : لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول[٤].

والثاني : أنه لو أريد انهم قالوا في قلوبهم ، فانه مقيد بالنفس ، وإذا قيد القول بالنفس كانت دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق ، وهذا كقوله ﷺ: «إن الله

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢٦٣/١) .

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٤/١٢) .

(٣) سورة المجادلة آية (٨) .

(٤) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٥/٧،١٥/٣٥) .

تجاوز لأمتي عما حدثت بـه أنفسـها مـا لم تتكلـم أو تعمـل»[١] فقوله «حدثـت بـه أنفسها ما لم تتكلم» دليل على أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق[٢].

٢ـ قول عمر ﷺ في قصة السقيفة (زورت في نفسي كلاماً) وهـذا الدليـل لا يدل على ما ذهبوا إليه بل هو حجه عليهم، وذلـك أن التزوير في لغة العرب هـو : إصلاح الكلام وتهيئته قبل إخراجه ، فقـول عمـر ﷺ يـدل علـى أنـه قـدّر في نفسـه كلاماً يريد أن يقوله و لم يقله ، فعلم أنه لا يكـون قـولاً إلا إذا قيـل باللسـان ، وقيـل ذلك لم يكن قولاً ، وهذا كما يقدر الإنسان في نفسه انه يحج أو يسافر ، فيكـون لمـا يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس ، لكنه لا يسمى قولاً وعمـلاً إلا إذا وجد في الخارج[٣] يدل على ذلك الحديث المتقدم «إن ا لله تجـاوز لأمـتي عمـا حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»[٤].

٣ـ قول الأخطل النصراني :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً.

وهذا البيت الذي تمسك به ابن العربي وغـيره مـن الأشـاعرة، واعتـبروا ذلـك دليلاً على ما ذهبوا إليه من الكلام النفسي مردود عليهم بما يلي :

أ ـ أن هذا البيت منسوب إلى شاعر نصراني ضال لا يعتمد كلامـه في إثبـات شيء من اللغة فكيف بمسمى الكلام ، ثم إن ابن العربي وغيره من الأشاعرة قـد ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بحجة أنها أخبار آحـاد ، فكيـف يستدلون بمثـل هـذا

---

(١) اخرجه البخاري الفتح (١١/٥٤٨ح٦٦٦٤) كتاب الأيمان والنذر، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان ، ومسلم (١/ ١٠٨ح١٢٧) كتاب الأيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس .

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/٣٥) ، موقف ابن تيمية من الاشاعرة (٣/١٢٧٠) .

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/١٣٧-١٣٨) .

(٤) تقدم تخريجه .

البيت في مثل هذه المسألة العظيمة من مسائل العقيدة[١].

ب ـ إن هذا البيت لاوجود له في ديوان الأخطل ، و لم تصح نسبته إليه كما قال أبو محمد بن الخشاب[٢] إمام أهل العربية في زمان: (فتشت دواوين الأخطل فلم أجد هذا البيت فيها)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا اكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول)[٤].

جـ ـ إن هذا البيت لو صحت نسبته إلى الأخطل ، فإنه لم يرد به المعنى الذي أرادوه من إثبات الكلام النفسي العاري عن الحرف والصوت، ولكن يريد بذلك أن الإنسان إذا أراد أن يتكلم فإنه يزور في نفسه الكلام أولاً ثم ينطق به ، وهذا موافق لما تقدم في قصة عمر رضي الله عنه[٥].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة في قولهم بأن كلام الله نفسي ليس بحرف ولا صوت، وأن الصواب هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة الكلام لله تعالى بحرف وصوت يسمع كما جاءت بذلك النصوص.

٢- قدم كلام الله عند ابن العربي :

يرى ابن العربي أن كلام الله تعالى قديم قدم ذاته الإلهية الأزلية ليس شيئاً منه حادثاً فيقول في تقرير ذلك (ليس للقرآن أول إلا آخر لأن صفات الله تعالى لا نهاية

---

[١] انظر: فتاوى شيخ الإسلام (١٣٨/٧) وشرح الطحاوية ص(١٤٧-١٤٨) .

[٢] هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن نصر البغدادي ، المعروف بابن الخشاب الإمام اللغوي المحدث ، كان يضرب به المثل في معرفة العربية توفي سنة٥٦٧هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢٣/٢٠) وشذرات الذهب (٢٢٠/٤) .

[٣] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٨/٧) .

[٤] المرجع السابق (١٣٨/٧) .

[٥] انظر: شرح نونية ابن القيم للهراس (١١٢/١) .

لها ولا ابتداء ، وهي لم تزل ، وهي دائمة والصحف التي عندنا لها أول وآخر)[١].

فهذا الكلام من ابن العربي يدل على أنه يذهب إلى أن كلام الله تعالى قديم ليس شيء منه حادث ، وقد صرح بذلك في موطن آخر فقال في كتابه المتوسط (الفصل الرابع في إثبات قدم الكلام الأزلي ...)[٢].

وهذا القول الذي قرره ابن العربي هو القول الذي ذهب إليه عموم الأشاعرة، حيث قرروا أن كلام الله تعالى قديم قدم ذاته لا يوصف شيء من كلامه بالحدوث.

يقول ابن فورك في تقرير ذلك: (كلام الله تعالى أزلي قديم سابق لجمله الحوادث)[٣] ويقول البيهقي (إنما كلامه صفة له أزلية موجودة بذاته ، لم يزل كان موصوفاً به ولا يزال موصوفاً به)[٤] .

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي وغيره من الأشاعرة من القول بقدم كلام الله وعدم حدوث شيء منه قول باطل مخالف لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى يتكلم متى شاء وإذا شاء وكيف شاء، فكلامه ﷻ متعلق بمشيئته وقدرته، فهو قديم في نوعه متجدد في آحاده[٥].

---

(١) عارضة الأحوذي (٣٤/١١) .

(٢) المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ورقه (٤١) .

(٣) مشكل الحديث لابن فورك ، ص(١٣٣-١٣٤) نقلاً عن العقيدة السلفية ص(٣٧٠) .

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٥٧٧/١-٥٧٨) .

(٥) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (١٧٧/٦) والعقيدة السلفية ص(٦٣) والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ عبدالله بن جبرين ص(٤١) ط/ دار الصميعي ١٤١٢هـ .

أدلة أهل السنة على أن الله يتكلم كيف شاء ومتى شاء وأن كلامه سبحانه متعلق بمشيئته وقدرته:

١- ما ورد في القرآن الكريم من أن الله تعالى تكلم في أوقات معينة، كقوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**فلما أتاها نُودي يا موسى إني أنا ربك**﴾(٢) وثبت أنه تعالى ينادي يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين**﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿**ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذه الآيات: (فإنه وقت النداء بظرف محدد، فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف، وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه)(٥).

٢- ما ورد في السنة من أن الله تعالى تكلم ويتكلم كقوله ﷺ: (إذا قضى الله الأمر من السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله...)(٦) وقوله ﷺ لما صلى صلاة الصبح بالحديبية: (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)(٧) وقوله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل

---

(١) سورة البقرة، آية (٣٠).

(٢) سورة طه، آية (١١).

(٣) سورة القصص، آية (٦٥).

(٤) سورة القصص، آية (٧٤).

(٥) فتاوى شيخ الإسلام (١٢/١٣١)..

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه البخاري، الفتح (٢/٣٣٣ ح٨٤٦) كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس، ومسلم (١/٨٢ح٧١) كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

الجنة: يا أهل الجنة)[١].

فهذه النصوص وغيرها كثير صريحة في أن الله سبحانه وتعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء وإذا شاء، وإن كان نوع كلامه سبحانه وتعالى قديم إلا أن آحاده متجددة. يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله- في بيان عقيدته في كلام الله تعالى: (الذي أقول به أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال: إن القرآن أو شيئاً منه ومن وحيه وتنزيله مخلوق، أو يقول: إن الله لا يتكلم بعد ما كان يتكلم في الأزل فهو عندي جهمي يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه)[٢].

وقال أبو إسماعيل الأنصاري[٣]: (اعلم أن الله متكلم قائل، مادح نفسه بالتكلم، إذ عاب الأصنام أن لا يتكلم وهو متكلم كلما شاء تكلم لا مانع له ولا مكره والقرآن كلامه هو تكلم به)[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقاً، ولا يقولون إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً، ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو هو حادث، بل ما زال متكلماً إذا شاء... فكلامه لا ينفذ)[٥].

وبهذا يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة فيما ذهبوا إليه من القول

---

[١] أخرجه البخاري، الفتح (٤٧٨/١٣ ح٧٥١٨) كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة.

[٢] درء تعارض العقل والنقل (٧٩/٢).

[٣] هو أبو إسماعيل، عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، الإمام القدوة الحافظ، شيخ خراسان. ولد سنة ٣٩٦هـ، وتوفي سنة ٤٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٠٣/١٨-٥٢٠) وطبقات المفسرين للداودي (٢٥٥/١).

[٤] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧٧/٦).

[٥] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧٣/١٢).

بقدم كلام الله تعالى وأن الصواب ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء وأن كلامه سبحانه متعلق بمشيئته وقدرته.

٣- وحدة الكلام الإلهي عند ابن العربي:

يذهب ابن العربي إلى أن كلام الله تعالى كما أنه قديم فهو واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، إن قرئ باللغة العربية فهو قرآن، وإن قرئ بالعبرانية فهو توراة وإن قرئ بالسريانية فهو إنجيل.

وقد أشار إلى ذلك بقوله: (كلام الله شيء واحد لا يتجزأ بعشر ولا تسع ولا نصف... لأن القديم لا يتجزأ ولا ينقسم لا من ذات ولا من صفات... إن قرئ بالعبرانية توراة، وإن قرئ بالسريانية إنجيل...)[١].

فهذا الكلام من ابن العربي صريح في أنه يرى أن كلام الله تعالى معنى واحد لا يتبعض، وذلك أن كلام الله تعالى -عنده- قديم أزلي كما أن ذاته سبحانه قديمة أزلية. فكما أن ذاته سبحانه لا تتبعض ولا تنقسم، فكذلك صفاته عند ابن العربي- لا تتبعض ولا تنقسم إذ أنها ملازمة للذات.

وابن العربي بهذا الكلام يتفق مع أصحابه الأشاعرة كما اتفق معهم في حقيقة الكلام وقدمه. فكلام الله-عندهم- شيء واحد لا يتبعض كما قرر ذلك ابن العربي، وغيره من أئمة الأشاعرة. يقول البيهقي في ذلك: (كلام الله واحد لا يختلف باختلاف العبارات فبأي لسان قرئ كان قد قرئ كلام الله تعالى)[٢].

ويقول الرازي: (هذه الصفة القديمة المسماة بالكلام عندنا واحدة)[٣].

ولا ريب أن ما قرره ابن العربي وغيره من الأشاعرة من القول بوحدة كلام

---

(١) المتوسط في الاعتقاد. مخطوط ورقة (٤٨).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٥).

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. ص (٢٦٧).

ا لله تعالى قول باطل مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، بل مخالف لبدائة العقول ولواقع الأمر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله-: (ومن المعلوم أن مجرد تصور هذا القول يوجب العلم الضروري بفساده، كما اتفق على ذلك سائر العقلاء. فإن أظهر المعارف أن الأمر ليس هو الخبر، وأن الأمر بالسبت ليس هو الأمر بالحج وأن الخبر عن ا لله ليس هو الخبر عن الشيطان الرجيم)[١].

الأدلة على تعدد كلام الله تعالى:

١-قوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته)[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ..﴾[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿ويحق ا لله الحق بكلماته﴾[٤].

٤- قوله ﷺ: (من نزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات ا لله التامات من شر ما خلق)[٥].

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المصرحة بتعدد كلام ا لله تعالى، وأنه ليس شيئاً واحداً كما زعم ابن العربي وغيره من الأشاعرة.

الرد على ابن العربي وغيره من الأشاعرة في قولهم بوحدة كلام الله:

١-أن هذا القول مخالف لما تقدم من النصوص المصرحة بتعدد كلام ا لله تعالى.

---

(١) التسعينية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى الكبرى (١٧٥/٥) ط/ دار الفكر.

(٢) سورة الأنعام، آية (١١٥).

(٣) سورة الكهف، آية (١٠٩).

(٤) سورة الأنفال، آية (٧).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٥٢/٤ ح ٢٧٠٨) كتاب الذكر، باب التعوذ من سوء القضاء.

٢- أن يقال موسى لما كلمه الله، أفهم كلامه كله أو بعضه؟ فإن قالوا: كله، فقد صار موسى يعلم علم الله. وهذا من أعظم الباطل. وإن قالوا بعضه. فقد قالوا بتبعيض كلام الله تعالى.

٣- أن هذا القول مخالف لواقع الأمر، فإن المعاني التي أخبر الله تعالى بها في القرآن في قصة بدر وأحد والخندق، لم ينزلها على لسان موسى، كما لم ينزل على محمد تحريم السبت ونحو ذلك.

٤- أنه يلزم من هذا القول أن معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين ومعنى سورة الإخلاص هو معنى سورة الفيل. وهذا معلوم الفساد[١].

قال ابن أبي العز رحمه الله-: (وكلما تأمل الإنسان هذا القول تبين له فساده، وعلم أنه مخالف لكلام السلف. والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء)[٢].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة فيما ذهبوا إليه من وحدة الكلام الإلهي، وأن الحق هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من تعدد كلام الله تعالى. كما هو ظاهر في نصوص الكتاب والسنة. والله أعلم.

ثانياً: صفة الاستواء على العرش:

الاستواء صفة فعلية ثابتة لله تعالى، ورد إثباتها في سبعة مواضع من القرآن، كما ورد إثباتها في سنة رسول الله ﷺ، واتفق السلف رحمهم الله على إثباتها لله تعالى، فهو ﷻ مستو على عرشه حقيقة كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦٧/١٢) ودرء التعارض (٢٧١/٧). وشرح الطحاوية ص(١٤٠) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٢٩٠/٣-١٢٩٥).

(٢) شرح الطحاوية ص (١٤١).

رأي ابن العربي في صفة الاستواء :

تعرض ابن العربي للكلام على آية الاستواء وهي قوله﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[١] وذكر أن الناس اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال، فقال في معرض حديثه عن الآيات المتشابهات (المسألة الثانية : آية الاستواء ، اختلف الناس فيها على ثلاثة أقوال : منهم من قال : تمر كما جاءت ولا يتكلم فيها ، ومنهم من قال : إنه يتكلم فيها مع من يتحقق حسن معتقده وطلب إرشاده ، ويروى ذلك عن مالك بن انس، لأنه قال لرجل سأله عن الاستواء ، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة وأراك بدعياً .

ومنهم من أطلق القول فيه قاصداً البيان ، منهم سفيان بن عيينه قال ، وقد سئل عن قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ فقال هذه الآية وقوله تعالى ﴿**ثم استوى الى السماء وهي دخان**﴾[٢] سواء ...)[٣] وأما رأي ابن العربي في آية الاستواء فيتضح ذلك بما يلي :

أ- معنى العرش عند ابن العربي :

يرى ابن العربي أن العرش يطلق في اللغة على معان عدة ، فيقول في معرض رده على المثبتين لصفة الاستواء (وأما العرش فهو في العربية لمعان فأيها تريدون)[٤]، ولم يذكر ابن العربي من هذه المعان التي أشار إليها إلا ثلاثة معان :

أ - أن العرش بمعنى الملك ، وقد عبر عن ذلك بقوله عند آية الأعراف (فإذا كان

---

(١) سورة طه آية (٥) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٩) .

(٣) المحصول في علم الأصول لابن العربي ، ص (٣٨٥-٣٨٦) تحقيق عبداللطيف الحمد . مطبوع على آلة كاتبة، وانظر: قانون التأويل ص (٦٦٨) .

(٤) العواصم ص (٢١٤) .

العرش الملك فهو استيلاؤه عليه)[١].

ب - أن العرش عبارة عن مخلوق عظيم لا يعلم قدره إلا الله : وفي ذلك يقول بعد كلامه السابق على آية الأعراف: (وإذا كان العرش مخلوقاً عظيماً فمعناه منع غيره من أن يكون فوقه)[٢].

ج - أن العرش يراد به المخلوقات بجملتها، وقد عبر عن ذلك بقوله في معرض كلامه عن العرش: (اختلفوا هل هو عبارة عن المخلوقات أجمع أم مخلوق أعظم منها قدراً والصحيح انهما جميعاً صحيحان موجدان)[٣].

فهذه المعاني الثلاثة هي حاصل ما ذكره ابن العربي في معنى العرش، والمعنى الثالث راجع الى المعنى الأول فإن المخلوقات بجملتها هي الملك ، ولذلك لم يجمع بينهما ابن العربي في سياق واحد وإنما يعبر بأحدهما في موضع ويعبر بالآخر في موضع آخر ، فترجع المعاني التي أشار إليها ابن العربي إلى معنيين :

- أن العرش بمعنى الملك (المخلوقات كلها)
- أن العرش بمعنى مخلوق عظيم لا يقدر قدره إلا الله .

وقد رجح ابن العربي المعنى الأول وهو أن المراد بالعرش الملك (المخلوقات كلها) فقال عند قوله ﷺ (وعرشه على الماء) (والذي عندي أنه أراد به وعرشه يعني الخلق كله على الماء)[٤] وفي موطن آخر قال بعد ذكره للأقوال في آية الاستواء (وقد جمعنا من أقوال العلماء في هذه الآية خمسة عشر قولاً أشبهها بكم الآن :

أن معنى العرش : المخلوقات بجملتها ...)[٥].

---

(١) الأفعال ، ص (١٥٤) .

(٢) الأفعال ، ص ١٥٤

(٣) العواصم ص ٢٢٣

(٤) عارضة الأحوذي (١٧٣/١١-١٧٤)

(٥) المحصول ص (٣٨٥-٣٨٦)

وإن كان ابن العربي قد أشار إلى أن المعنيين جميعاً صحيحان كما تقدم في قوله: (اختلفوا هل هو أي العرش عبارة عن المخلوقات أجمع أم مخلوق اعظم منها قدراً ، والصحيح أنهما جميعاً صحيحان موجودان)[1].

ب- معنى الاستواء عند ابن العربي :

صرح ابن العربي في عدة مواطن من كتبه بأن الاستواء يطلق في اللغة على خمسة عشر معنى ، فقال (للاستواء في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز)[2] وفي موطن آخر قال بعد كلامه عن العرش: (وكذا استوى عليه يحتمل خمسة عشر معنى في اللغة)[3].

وقد تتبعت ما أورده ابن العربي من هذه المعاني في كتبه التي بين يدي فلم أجده ذكر من ذلك إلا تسعة معان وهي :

١ - التمكن ٢ - الاستقرار

٣ - الاتصال ٤ - المحاذاة

يقول ابن العربي في بيان هذه المعان الأربعة وذلك في معرض كلامه عن معان الاستواء في اللغة: (منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية ومنها ما لا يجوز على الله بحال ، وهو إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة...)[4].

٥ - قصد ٦ - علا علو قهر ٧ - فعل فعلا سماه استوى

وقد عبر عن ذلك بقوله عند قوله تعالى في آية البقرة ﴿ثم استوى الى

---

(١) العواصم ص (٢٣٣

(٢) عارضة الأحوذي (٢/٢٣٥-٢٣٦)

(٣) العواصم ص (٢١٤)

(٤) عارضة الأحوذي (٢/٢٣٦)

السماء﴾(١).

قال: (قيل قصد ، وقيل علا ، علو قهر)(٢).

وقال عند قوله تعالى في آية السجدة ﴿ثم استوى إلى السماء﴾(٣) قال :
(أي فعل فعلا سماه استواء وهو التسوية لها وقيل قصد ، وهو امثل في التأويل)(٤).

٨ - الاستيلاء

٩ - منع غيره من ان يكون فوق العرش .

وفي ذلك يقول عند آية الأعراف: (فإذا كان العرش الملك فهو استيلاؤه عليه، وإذا كان العرش مخلوقاً عظيماً فمعناه منع غيره من أن يكون فوقه)(٥).

فهذه المعاني التسعة هي ما تحصل لدي مما ذكره ابن العربي من معاني الاستواء.

فأما المعاني الأربعة الأولى وهي (التمكن ، والاستقرار ، والاتصال والمحاذاة) فإن ابن العربي يرى أنها مما لا يجوز على الله بحال، فلا يرتضي أن يكون واحد منها بمعنى استواء الله تعالى، وإن كانت عنده جميعاً مما يجوز لغة إطلاقها على معنى الاستواء ، كما تقدم .

وأما المعنى الخامس والسادس والسابع فقد ذكرها ابن العربي في آية البقرة وآية السجدة ، وذلك يتعلق بالاستواء الى السماء ، والكلام إنما هو عن الاستواء على العرش ، وليس الاستواء الى السماء .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٩)

(٢) الأفعال ص (١٥٠)

(٣) سورة السجدة آية (١١) .

(٤) الأفعال (٢٢٢)

(٥) المرجع السابق (١٥٤)

المعنيان الآخران: وأما المعنيين الآخرين فقد ذكرهما ابن العربي عند آية الأعراف وهي من الآيات الواردة في مسألة الاستواء على العرش ، وقد علق ابن العربي إطلاق كل من هذين المعنيين على لفظ الاستواء على المسألة المتقدمة في معنى العرش وذلك كما يلي:

١- إن كان العرش بمعنى الملك (المخلوقات كلها) فيكون الاستواء هنا - عند ابن العربي- بمعنى الاستيلاء . وقد عبر عن ذلك بقوله عند آية الأعراف فقال (فإن كان العرش الملك فهو استيلاؤه عليه)[١] .

٢- إن كان العرش بمعنى: مخلوق عظيم لا يقدر قدره إلا الله فيكون معنى الاستواء -عنده- أي منع غيره من ان يكون فوق العرش .

وقد أشار الى ذلك بعد كلامه السابق عن آية الأعراف (وإذا كان العرش مخلوقاً عظيماً فمعناه منع غيره من أن يكون فوقه)[٢] .

وبغض النظر عما رجحه ابن العربي في معنى : العرش والاستواء فإن هذين المعنيين الذين أشار إليهما ابن العربي في معنى الاستواء يرجعان إلى معنى واحد . فإن من استولى على شئ فقد منع غيره من أن يكون فوقه ، فالمعنى الثاني داخل في المعنى الأول .

وخلاصة القول : أن ابن العربي يذهب إلى تأويل صفة الاستواء على العرش فيحمل معنى الاستواء الوارد في النصوص على معنى استولى ، وهو بهذا يتفق مع الأشاعرة والجهمية في تأويل هذه الصفة، وحملها على غير حقيقتها الواردة في نصوص الشرع .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ مستو على عرشه حقيقة ، كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وهذا مما اتفقت عليه جميع الشرائع السماوية.

---

(١) الأفعال ص (١٥٤)

(٢) الأفعال ص (١٥٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن القول بأن الله فوق العرش هو مما اتفقت عليه الأنبياء كلهم ، وذكر في كل كتاب انزل على كل نبي أرسل ، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف، وجميع طوائف الصفاتية تقول بذلك)[1].

وتفسير استواء الله على عرشه عند أهل السنة يدور على أربعة معان وهي :

١ - العلو ٢ - الارتفاع

٣ - الصعود ٤ - الاستقرار .

وقد جمع العلامة ابن القيم - رحمه الله - هذه المعاني الأربعة التي وردت عن السلف ، فقال في نونيته :

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن[2]

فهذه هي معاني الاستواء عند أهل السنة والجماعة لا تخرج عن هذه المعاني الأربعة، وهي متقاربة ، كما أنها هي اللائقة بالله ﷻ .

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الاستواء لله تعالى على الحقيقة ، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

أولاً : دلالة الكتاب :

فقد ورد إثبات صفة الاستواء لله تعالى على العرش في سبعة مواضع من القرآن.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/٩) بتعليق محمد بن قاسم ، ط/موسسة قرطبة .

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، لأحمد بن عيسى تحقيق زهير الشاويش (٤٤٠/١)

وهي كما يلي :

١ـ في سورة الأعراف في قوله ﷻ :﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش**﴾[١].

٢ـ في سورة يونس في قوله ﷻ ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾[٢].

٣ـ في سورة الرعد في قوله ﷻ ﴿**الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استواء على العرش**﴾[٣].

٤ـ في سورة طه في قوله ﷻ ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[٤].

٥ـ في سورة الفرقان في قوله ﷻ ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾[٥].

٦ـ في سورة آلم السجدة في قوله ﷻ ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾[٦].

٧ـ في سورة الحديد في قوله ﷻ ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾[٧].

ففي كل هذه المواضع السبعة يذكر الله ﷻ استواءه على عرشه على وجه

---

(١) سورة الأعراف، آية (٥٤)

(٢) سورة يونس، آية (٣)

(٣) سورة الرعد، آية (٢)

(٤) سورة طه، آية (٥)

(٥) سورة الفرقان، آية (٥٩)

(٦) سورة السجدة، آية (٤)

(٧) سورة الحديد، آية (٤)

التمدح بذلك، مما يدل على أن ذلك على حقيقته كما أخبر به سبحانه وتعالى(١).

ثانياً : دلالة السنة :

كما ثبتت صفة الاستواء على العرش بنصوص الكتاب ، فهي أيضا ثابتة في السنة، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله ﷻ كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش»(٢).

وكما في حديث قتادة بن النعمان رضى الله عنه انه سمع النبي ﷺ يقول (لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه)(٣).

والأحاديث في ذلك كثيرة لمن تتبعها ، فقد ورد ذلك من رواية جمع من الصحابة ﷺ، وقد أشار إلى ذلك الإمام الذهبي رحمه الله بقوله (وكونه تعالى فوق العرش رواه عن النبي ﷺ جبير بن مطعم والعباس بن عبد المطلب وأبو هريرة ، وسعد بن أبي وقاص وجابر بن عبد الله وانس بن مالك ، وابن عباس ، وقتادة بن النعمان وعبادة بن الصامت ، وابن مسعود وجابر بن سليم ، ﷺ وهو مروي عن غير واحد من الصحابة والتابعين)(٤).

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي ص (١٧) الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ .

(٢) رواه البخاري (٢٨٧/٦ح٣١٩٤) كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ ورواه مسلم (١٦٧٤/٤ح٢٧٥١) كتاب التوبة، باب سعة رحمه الله وأنها سبقت غضبه .

(٣) قال الذهبي: (رواته ثقات ، رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة له) انظر: مختصر العلو ص (٩٨) وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٥٤: (روى الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان ..) فذكر الحديث

(٤) الأربعين في صفات رب العالمين ص (٨٢)

ثالثاً : الاجماع :

أجمع السلف – رحمهم الله – على أن الله مستو على عرشه حقيقة كما وصف بذلك نفسه ووصفة به رسول الله ﷺ ، وممن نقل الإجماع في ذلك ، الإمام الأوزاعي[١] في قول: (كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)[٢].

وقد صرح أبو عمر الطلمنكي[٣] بإجماع أهل السنة على ذلك فقال :
(واجمعوا – يعني أهل السنة والجماعة – على أن لله عرشاً، وعلى أنه مستو على عرشه، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه)

وقال أيضاً: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾[٤]، ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء)

وقال أبو نصر السجزي[٥]: (أئمتنا كسفيان الثوري ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل

---

(١) هو أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الدمشقي الإمام الحافظ الفقيه المحدث جمع بين العلم والعبادة ، وتوفي ـ رحمه الله ـ ١٥٧هـ ، تذكره الحفاظ (١/١٨٣-١٨٦) شذرات الذهب (١/٢٤١-٢٤٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٤) تحقيق عبد الله الحاشدي وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (٥/٣٩) وجود إسناده ابن حجر في الفتح (١٣/٤٠٦)

(٣) هو أبوعمر أحمد بن محمد بن عبدالله الأندلسي الطلمنكي الإمام المقرئ المحقق المحدث ، كان من بحور العلم، له مصنفات كثيرة مفيدة ، توفي٤٢٩هـ سير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٦-٥٦٨) ، بغية الملتمس ص(١٣٩) .

(٤) سورة الحديد آية (٤) .

(٥) هو أبو نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي كان متقناً بصيراً بالحديث والسنة ، سكن مكة وتوفي بها سنة٤٤٤هـ ، انظر: شذرات الذهب (٣/٢٧١-٢٧٢) والأعلام (٤/١٩٤) .

وإسحاق بن راهوية الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان)[١].

وقال زكريا الساجي[٢] (القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء)[٣].

وكلام السلف في ذلك اكثر من أن يحصر أو يحاط به، وإنما أردت بذلك الإشارة إلى بعض من نقل الإجماع على أن الله مستو على عرشه ﷻ .

الرد على ابن العربي فيما ذهب إليه في معنى العرش والاستواء :

أ- ما يتعلق بمسمى العرش :

رجح ابن العربي - كما تقدم - كون العرش بمعنى الملك (المخلوقات كلها) وهذا المعنى الذي رجحه ابن العربي ليس بصحيح للأمور التالية :

١ـ أن ذلك لا يستقيم من جهة اللغة ، فإن العرش في اللغة ، يدل على ارتفاع في شئ مبني، ولذلك فسره أهل اللغة بما يدل على ذلك ، كما قال الأزهري: (العرش في كلام العرب : سرير الملك)[٤] وقال الجوهري (العرش سرير الملك وعرش البيت سقفه) ومنه قوله تعالى ﴿**ورفع أبويه على العرش**﴾[٥]، وقوله ﴿**ولها**

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/٣٨) وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٥١٩) .

(٢) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي البصري الحافظ محدث البصرة شيخ أبي الحسن الأشعري في السنة والحديث ، توفي سنة٣٠٧هـ ، انظر: البداية والنهاية (١١/١٤٠) وشذرات الذهب (٢/٢٥٠-٢٥١).

(٣) مختصر العلو للذهبي ص (٢٢٣) بتحقيق الألباني ط/ المكتب الإسلامي ، الطبعة الاولى ١٤٠١هـ .

(٤) تهذيب اللغة (١/٤١٣)

(٥) سورة يوسف، آية (١٠٠) .

عرش عظيم﴾[١][٢].

٢ـ أنه لم يرد عن أحد من السلف انه فسر العرش (بالملك) أو بما يفيد هذا المعنى ، وإنما فسروه بمعناه الوارد في اللغة ، وبما دلت عليه النصوص، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ،وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات[٣].

٣ـ أن تفسير العرش بالملك لا ينسجم مع قوله تعالى﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾[٤] وقوله ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾[٥].

قال ابن أبي العز – رحمه الله – في معرض كلامه عن العرش :

(وأما من حرف كلام الله ، وجعل العرش عبارة عن الملك ، كيف يصنع بقوله تعالى ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ وقوله ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾؟ يقول : يحمل ملكه يومئذ ثمانية؟ (وكان ملكه على الماء ، ويكون موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم الملك؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟)[٦].

ثانيا : ما يتعلق بتفسير ابن العربي للاستواء :

ذهب ابن العربي – كما تقدم – إلى تأويل صفة الاستواء على العرش ، وحمل ذلك على معنى الاستيلاء، ففسر استواء الله على عرشه الوارد في النصوص بأن المراد بذلك أن الله استولى على العرش .

ولاشك أن تفسير الاستواء على العرش بهذا المعنى الذي ذكره ابن العربي

---

[١] سورة النمل، آية (٢٣) .

[٢] الصحاح (٣/١٠١٠) وانظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٢٦٤) ولسان العرب (٦/٣١٣).

[٣] انظر: شرح الطحاوية ص(٢٥٦) .

[٤] سورة الحاقة آية (١٧) .

[٥] سورة هود آية (٧) .

[٦] شرح الطحاوية ص (٢٥٦-٢٥٧)

تفسير باطل ، لا يجوز أن يفسر به استواء الله على عرشه ، وقد رده شيخ الإسلام ابن تيميه من اثني عشر وجهاً، وأبطله العلامة ابن القيم من اثنين وأربعين وجهاً[١] ، ومن أهم هذه الأوجه في إبطال هذا المعنى ما يلي :

١ـ أن الاستيلاء ليس من معاني الاستواء المعروفة في لغة العرب ، وقد أنكره أئمة اللغة، فقد سئل الخليل : (هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ، فقال: هذا مالا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغتها)[٢].

قال ابن القيم – رحمه الله – :

(إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان مطلق ومقيد ، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله ﴿**ولما بلغ اشده واستوى**﴾[٣] وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام .

وأما المقيد فثلاثة اضرب :

أحدها : مقيد (بالى) كقوله ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ واستوى فلان الى السطح والى الغرفة ، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في البقرة في قوله تعالى ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء**﴾[٤] والثاني في سورة السجدة ﴿**ثم استوى الى السماء وهي دخان**﴾[٥] وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

والثاني : مقيد بعلى كقوله : ﴿**لتستووا على ظهوره**﴾[٦] وقوله

---

[١] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/١٤٤-١٤٩) وانظر: مختصر الصواعق (٣٠٦-٣٢٢) .

[٢] مجموع الفتاوى (٥/١٤٦)

[٣] سورة القصص آية (١٤) .

[٤] سورة البقرة، آية (٢٩) .

[٥] سورة فصلت، آية (١١) .

[٦] سورة الزخرف، آية (١٣)

﴿واستوت على الجودي﴾[١] وقوله ﴿فاستوى على سوقه﴾[٢] وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

الثالث : المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل الى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها. فهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ، وليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية)[٣].

٢ـ أنه روي عن جماعة من أهل اللغة انهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله سبحانه لأي عجزه شئ والعرش لا يغالبه . فامتنع أن يكون بمعنى استولى[٤].

٣ـ إن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين ولم يذكر في الكتب الصحيحة عنهم ، بل أول من قال به نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة[٥].

٤ـ أنه لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال : إن الله استوى على ابن آدم وعلى الدواب وعلى الشجر وعلى كل شئ كما يقال : إن الله رب العرش . وانه رب كل شئ[٦].

٥ـ أن هذا المعنى لا يتفق مع معنى الآيات الواردة في إثبات الاستواء فهل يعقل أن يخبر الله ﷻ بأنه بعد الفراغ من خلقه للسموات والأرض غلب العرش واستولى

---

(١) سورة هود، آية (٤٤)

(٢) سورة الفتح، آية (٢٩)

(٣) مختصر الصواعق ص (٣٠٦)

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٥)

(٥) انظر: المرجع السابق (١٤٤/٥)

(٦) انظر: مختصر الصواعق (٣١٥)

عليه هذا لا يقوله عاقل[١].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي فيما ذهب إليه من تأويل صفة الاستواء على العرش ، بما يخالف حقيقة الاستواء المعلومة في النصوص، والتي أخذ بها أهل السنة والجماعة كما تقدم .

ثالثاً : صفة النزول :

صفة النزول من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله ﷻ، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، بل قد دل القرآن الكريم على ذلك كما سيأتي.

رأي ابن العربي في صفة النزول :

يذهب ابن العربي إلى إنكار صفة النزول ، ويرى وجوب تأويل ماورد من النصوص في ذلك بحملها على أحد أمرين :

١- إما أن يحمل النزول على نزول الأجسام ، فيكون معنى ذلك عند ابن العربي ، نزول ملكه ورسوله وعبده .

٢- وإما أن يحمل النزول على نزول المعاني ، فيكون معنى ذلك عنده عَبارة عن كثرة ما يفيض من الرحمة ، وينشر على الخلق منها ويوسعهم من عطائه على جميع المعاني .

وفي ذلك يقول ابن العربي في معرض كلامه على حديث النزول :

(والنزول قد يكون في المعاني وقد يكون في الأجسام ، والنزول الذي أخبر الله عنه إن حملته على أنه جسم فذلك ملكه ورسوله وعبده، وإن حملته على أنه كان لا يفعل شيئاً من ذلك ثم فعله عند ثلث الليل فاستجاب وغفر وأعطى وسمى ذلك

---

[١] انظر: مختصر الصواعق ص (٣١٥)

نزولاً...)(١).

وفي مواطن آخر قال عند حديث النزول :

(والنزول في اللغة في الحقيقة حركة والحركة لا تجوز على الله ﷻ فلم يبق إلا العدول عن حقيقة النزول إلى مجازه وهو النزول بالمعاني ... ويكون ذلك عبارة عن كثرة ما يفيض من الرحمة ، وينشر على الخلق منها ويوسعهم من عطائه على جميع المعاني من إجابة دعوة، وقضاء حاجة ونيل مغفرة)(٢).

فابن العربي ينكر صفة النزول الواردة في النصوص ، ويرى أن ذلك لا يجوز على الله تعالى، لان حقيقة النزول الحركة ، والحركة عند ابن العربي لا تجوز على الله.

ويرى ابن العربي أن إضافة النزول الى الله تعالى إضافة تشريف وذلك لنزول الملائكة بأمره، وفي ذلك يقول في معرض كلامه عن النزول :

(فأما إضافته إلى الله ﷻ في قوله (ينزل ربنا)(٣) فمعناه: يفعل من الخير ما يشاء، وعبر عنه باسمه سبحانه تشريفاً أن تنزل ملائكته بأمره ..)(٤).

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن العربي من تأويل صفة النزول وحملها على غير حقيقتها قول باطل مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة النزول لله تعالى على الحقيقة كما وردت في النصوص ، على ما يليق بالله ﷻ مع اعتقاد انه سبحانه ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته .

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة النزول لله تعالى على الحقيقة بدلالة القرآن والسنة وإجماع السلف رحمهم الله .

---

(١) عارضة الأحوذي (٢/٢٣٧)

(٢) القبس شرح موطأ مالك (١/٨٩)

(٣) سيأتي تخريجه، انظر ص ٣٦٣.

(٤) كتاب الأفعال ص (١٠١)

أولاً : دلالة القرآن :

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على إثبات صفتي المجيء والإتيان. وهي دالة أيضاً على إثبات صفة النزول كقوله تعالى ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾[١] وقوله ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة**﴾[٢].

وهذا النزول إنما يقع يوم القيامة ، حينما ينزل الرب ﷻ لفصل القضاء بين العباد.

قال ابن القيم - رحمه الله - (وهذا النزول إلى الأرض يوم القيامة قد تواترت به الأحاديث والآثار، ودل عليه القرآن صريحاً في قوله ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك**﴾[٣]...)[٤].

ثانياً : دلالة السنة :

تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات نزول الرب ﷻ . حتى إن ابن القيم رحمه الله ذكر ذلك من رواية ثماني وعشرين نفساً من الصحابة - رضوان الله عليهم[٥] ومن ذلك :

١ـ ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**ينزل ربنا جل وعلا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له**»[٦].

---

(١) سورة الفجر آية (٢٢)

(٢) سورة البقرة آية (٢١٠)

(٣) سورة الانعام آية (١٥٨)

(٤) مختصر الصواعق ص (٣٨٣)

(٥) انظر: المرجع السابق ص (٣٦٦)

(٦) أخرجه البخاري ، الفتح (٣/٣٥) رقم ١١٤٥ كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة ومسلم : (١/٢٢١)

=

٢- ما رواه أحمد وغيره من حديث رفاعة الجهني - ﷺ - أن رسول ﷺ قال :"إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل ا لله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيقول : لا أسال عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ حتى ينفجر الصبح"[١].

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً كما تقدم، ولو ذهبت اسرد ما ورد في ذلك لطال بنا المقام، وقد جمعها الأئمة في مصنفاتهم وتكلموا عليها كما فعل العلامة ابن القيم[٢] والإمام الذهبي[٣] وغيرهما .

وأما ما ورد في ذلك من الآثار عن السلف فأكثر من أن تحصى، مما يدل على إجماعهم على إثبات صفة النزول لله تعالى .

قال أبو سعيد الدارمي، بعد أن ذكر جملة من أحاديث النزول .

(فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها)[٤].

وقال حرب بن إسماعيل -رحمه ا لله - في صفة النزول:

(هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الحديث والأثر وأهل السنة المعروفين بها، وهو مذهب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية والحميدي وغيرهم ، كان قولهم: إن

=

رقم (٧٥٨) صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والصلاة آخر الليل .

[١] رواه أحمد في المسند (١٦/٤) والنسائي ي عمل اليوم والللية ص (٣٣٧) وابن ماجه (٤٣٥/١) قال ابن تيميه رواه النسائي ، وابن ماجه وغيرهما وسندهما صحيح ، شرح حديث النزول ص (١٤٣) وقال ابن القيم: هذا حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده ، مختصر الصواعق (٣٧٥)

[٢] انظر: مختصر الصواعق (٣٧١-٣٨٣)

[٣] العلو للعلي الغفار ص (٧٣) ط ٢ ، دار الفكر ببيروت

[٤] الرد على الجهمية للدارمي ص (٧٩) الطبعة الأولى ، ط ، الدار السلفية، تحقيق بدر البدر

ا لله ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء ، وكما شاء : ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾[١])[٢].

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه ا لله :

(باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام ، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة ، نشهد شهادة مقر بلسانه ، مصدق بقلبه ، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية)[٣].

وقال الإمام الصابوني – رحمه ا لله – :

(ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبته رسول ا لله ﷺ ، وينتهون فيه إليه)[٤].

ومما تقدم يتضح أن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة النزول لله تعالى على الحقيقة، وانه ﷻ يفعل ذلك كيف شاء ومتى شاء ، كما يليق به ﷻ .

الرد على ابن العربي فيما ذهب إليه من تأويل صفة النزول :

١ـ أن تأويل صفة النزول مخالف لما تواتر في الأحاديث من إثبات ذلك على حقيقته، إذ لم يرد في حديث واحد ما يحتمل المجاز ، كما يزعم ابن العربي وغيره من المؤولة لذلك[٥].

---

[١] سورة الشورى ، آية (١١)

[٢] درء التعارض (٢/٢٢) وشرح حديث النزول ص (١٩٤)

[٣] التوحيد لابن خزيمة ص (١٢٥)

[٤] عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، للصابوني ، ص (١٩١) تحقيق د/ ناصر الجديع

[٥] انظر: مختصر الصواعق ص (٣٦٦)

٢ـ أن حمل صفة النزول على غير الحقيقة مخالف لما اجمع عليه السلف - رحمهم الله - من إثبات هذه الصفة على الحقيقة على ما يليق با لله ﷻ، كما تقدم النقل عنهم في ذلك[١].

٣ـ انه لم يقتصر في إثبات هذه الصفة على لفظ (النزول) مع صراحته في ذلك ، بل وردت عبارات متنوعة كلها تدل على إثبات حقيقة هذه الصفة كالهبوط والدنو والمجيء والإتيان[٢].

٤ـ أن إثبات صفة النزول لا يستلزم الحركة ، كما يقول ابن العربي ، فإن الله ﷻ ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ والواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، والإمساك عما سكت عنه كلفظ الحركة والانتقال ونحوهما[٣].

٥ـ أن حمل ابن العربي صفة النزول على نزول الملائكة أو الرحمة غير ممكن لما ورد في النصوص من القرائن المخالفة لذلك، كقوله: (من يسألني فأعطيه) وقوله: (ينزل ربنا) وقوله: (لا أسال عن عبادي غيري) فهل يعقل أن تقول الملائكة أو الرحمة (لا أسال عن عبادي غيري) ونحو ذلك من العبارات التي لا تكون إلا لله ﷻ، ثم إن الملائكة والرحمة تنزل من الله ﷻ بالليل والنهار إلى الأرض، فلا يختص ذلك بوقت دون وقت ، بل ذلك بحسب أمر الله كما قال تعالى ﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده**[٤]﴾[٥].

وبهذا يتضح خطأ ابن العربي وغيره من المنكرين في إثبات صفه النزول لله تعالى على الحقيقة ، ومخالفتهم في ذلك لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات ذلك

---

[١] انظر: شرح حديث النزول ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ص (١٩٠) ومابعدها ، ودرء التعارض (٢/٢٢)

[٢] انظر: مختصر الصواعق ص (٣٦٧)

[٣] المرجع السابق ص (٣٨٩)

[٤] سورة النحل آية (٢)

[٥] انظر: شرح حديث النزول ص (١٣٩-١٤٣)

على الحقيقة كما نطقت به الأحاديث عن النبي ﷺ ، وأجمع عليه سلف الأمة رحمهم الله تعالى .

ثالثاً : الرضا والغضب :

من الصفات الثابتة لله تعالى على الحقيقة صفتا الرضا والغضب ، وقد أثبتهما أهل السنة والجماعة لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله ﷻ ، فرضاه سبحانه لا يشبه رضى أحد من خلقه، وكذلك غضبه لا يشبه غضب أحد من خلقه.

رأي ابن العربي في صفتي الرضا والغضب :

ذهب ابن العربي إلى إنكار صفتي الرضا والغضب ، وأوجب تأويل ما ورد من النصوص في إثبات ذلك ، بحمله على غير ظاهره الذي نطقت به النصوص ، فحمل هاتين الصفتين على معنى الإرادة فقال عند قوله ﷺ: «أعوذ برضاك من سخطك»[1].

(الرضا هو تعلق الإرادة بالثواب ، والسخط هو تعليق الإرادة بالعقاب)[2].

وقال عند حديث: (من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان)[3] قال: (قد بينا أن الغضب يرجع إلى إرادة العقاب تارة بالخبر عنه، وتارة يرجع إلى نفس العقاب بالخبر عنه به، والرجوع إلى الإرادة هي الحقيقة الأولى)[4].

فقد صرح ابن العربي بتأويل هاتين الصفتين ، وحملهما على غير الحقيقة الى

---

(١) سيأتي تخريجه، انظر: ص ٣٦٧.

(٢) القبس شرح موطأ مالك (٢/٤١٤)

(٣) أخرجه البخاري ، الفتح (١١/٥٥٨ ح ٦٦٧٦) كتاب الإيمان، باب قوله تعالى " إن الذين يشترون" وأخرجه مسلم (١/١١٣ ، ح ١٣٨) كتاب الايمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فأجره

(٤) عارضة الأحوذي (١١/١٢٤)

معنى الارادة، فالرضا - عنده - يرجع إلى تعلق الإرادة بالثواب . والغضب - عنده - يرجع إلى تعلق الإرادة بالعقاب وان كان الغضب - عنده - قد يفسر بالعقاب، إلا أن الظاهر من كلامه انه يرجح المعنى الأول وهو إرجاعه إلى الإرادة ، كما تقدم في قوله: (والرجوع إلى الإرادة هي الحقيقة الأولى) .

ومما تقدم يتضح أن ابن العربي يذهب الى تأويل صفتي الرضا والغضب ويحملهما على معنى الإرادة ، وهو بهذا يتفق مع عموم المعتزلة والأشاعرة في تأويلهم لهاتين الصفتين على غير ظاهرهما الذي وردت به النصوص .

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفتي الرضا والغضب على الحقيقة ، كبقية الصفات الثابتة لله تعالى ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل .

وقد استدل أهل السنة والجماعة في إثباتهم لهاتين الصفتين على الحقيقة بما يلي:

أولاً : ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي تدل على إثبات هاتين الصفتين لله تعالى ، كقوله تعالى ﴿**رضي ا لله عنهم ورضوا عنه**﴾[1] وقوله ﴿**لقد رضي ا لله عن المؤمنين**﴾[2] وقوله ﴿**والخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين**﴾[3] وقوله تعالى ﴿**يا أيها الذين أمنوا لا تتولوا قوماً غضب ا لله عليهم**﴾[4] وغير ذلك من الآيات.

ثانياً : الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في إثبات هاتين الصفتين لله تعالى، كقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك»[5] وقوله: «إن ا لله يرضى

---

(١) سورة المائدة، آية (١١٩)

(٢) سورة الفتح، آية (١٨)

(٣) سورة النور، آية (٩)

(٤) سورة الممتحنة، آية (١٣)

(٥) رواه مسلم من حديث عائشة رضى ا لله عنه (١/٢٩٤) ح (٤٨٦) كتاب الصلاة (باب مايقال في الركوع =

لكم ثلاثاً»(١) وقوله: «إن رحمتي سبقت غضبي»(٢) وقوله في حديث الشفاعة الطويل: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله...»(٣) إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة. قال أبو عثمان الصابوني في سياق عقيدة السلف وأهل الحديث :

(وكذلك يقولون (أي : الإثبات) في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت به الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه ... والرضى والسخط والحب والبغض ...)(٤).

وقال البغوي - رحمه الله - في معرض كلامه على حديث الشفاعة :

(قوله :«غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله» أراد به إظهار الغضب في ذلك الوقت ، وإلا فالغضب والرضى من صفات الله ﷻ لم يزل موصوفاً بهما قبل أن يخلق الخلق وكذلك جميع صفات الله تعالى)(٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي(ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها

=

ورواه أبو داود عو المعبود (٣/١٣٢) كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه (٣/١٠٨٠) ح (١٧١٥) كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه (٤/١٦٧٤) ح (٢٧٥١) كتاب التوبة باب سعة رحمه الله .

(٣) أخرجه البخاري ، فتح الباري (٦/٣٧١) ح (٣٣٤٠) كتاب الانبياء، باب قول الله ﷻ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ وأخرجه مسلم (١/١٥٧) ح (١٩٤) كتاب الإيمان باب أوفى أهل الجنة منزلة فيه .

(٤) عقيدة السلف واصحاب الحديث للصابوني ص (١٦٥)

(٥) شرح السنة للبغوي (١٥/١٥٧)

الكتاب والسنة)[١].

الرد على ابن العربي فيما ذهب إليه من تأويل صفتي الرضى والغضب :

١ـ أن تأويل ابن العربي وغيره لصفتي الرضى والغضب مخالف لما ثبت من نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات هاتين الصفتين ، والأصل إجراء النصوص على ظاهرها كما وردت .

٢ـ أن تأويل ابن العربي لهاتين الصفتين مخالف لما ذهب إليه السلف وسائر الأئمة من إثبات هاتين الصفتين على الحقيقة - كما تقدم النقل عنهم في ذلك .

٣ـ أن إثبات هاتين الصفتين على الحقيقة ، لا يقتضي التشبيه كما يظنه ابن العربي وغيره من المؤولة ، فإن رضى الرب وغضبه يليق به سبحانه ليس كرضى المخلوق الذي هو الميل والشهوة ، وكذلك غضبه ليس كغضب المخلوق الذي هو غليان دم القلب، فإن الله ﷻ ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[٢].

٤ـ أن ابن العربي وغيره من الأشاعرة يثبتون بعض الصفات كالإرادة والمشيئة. وهذه الإرادة التي يثبتونها مخالفة عندهم لإرادة المخلوق فيقال لهم : وكذلك الرضى والغضب ، فلا فرق بين الإرادة وغيرها من الصفات الثابتة لله تعالى[٣].

قال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - :

(يقال لمن تأول الغضب . والرضى بإرادة الإحسان : لم تأولت ذلك ؟ فلابد أن يقول : أن الغضب غليان دم القلب ، والرضى الميل والشهوة ، وذلك لا يليق بالله تعالى : فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه الغضب .

ويقال له أيضاً : وكذلك الإرادة والمشيئة فينا ، هي ميل الحي إلى الشيء أو

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٧٢)

(٢) سورة الشورى، آية (١١)

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (١٤٥١/٤) ومابعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ص (٤٧٢-٤٧٤)

الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، وبما وصفه الصحابة ﷺ .

وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع ، ولا يقال فيه : كيف؟ بل التسليم له والإيمان به : أن الله ﷻ يضحك ، كذا روى عن النبي ﷺ وعن صحابته ﷺ ، فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق) ، ثم ذكر عدداً من الأحاديث الثابتة في ذلك[١].

وقال قوام السنة الأصبهاني - رحمه الله - (وأنكر قوم في الصفات الضحك، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة فيقاتل هذا في سبيل الله فيقتل فيتوب الله على القاتل، فيقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد)[٢] ، وإذا صح الحديث لم يحل لمسلم رده ، وخيف على من يرده الكفر. قال بعض العلماء : من أنكر الضحك فقد جهل جهلاً شديداً...)[٣].

الرد على ابن العربي فيما ذهب إليه من تأويل صفة الضحك :

١- أن تأويل ابن العربي لصفة الضحك مخالف لما ورد من الأحاديث الصحيحة في إثبات هذه الصفة، والأصل إثباتها على ظاهرها كما وردت .

٢- إن دعوى ابن العربي إجماع الأمة على أن الضحك ليس من صفات الله ، دعوى باطلة ، يردها ما تقدم من كلام الأئمة رحمهم الله ، بل لم ينكر هذه الصفة إلا

---

[١] الشريعة للآجري (٢٤٧) ومابعدها

[٢] تقدم تخريجه .

[٣] الحجة في بيان المحجة ، للاصفاني (٢/٤٥٧-٤٥٨)

أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم .

٣ـ أن الضحك في موضعه المناسب يعد صفة مدح وكمال . وإذا كان صفة كمال في حق المخلوق فالخالق أولى بذلك ، مع اعتقاد ان ضحكه سبحانه لا يشبه ضحك أحد من خلقه[1].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة في تأويل صفة الضحك وحملها على غير حقيقتها ، وان الصواب هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة لله تعالى حقيقة كغيرها من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة .

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٦/١٢١-١٢٢) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٤)

الفصل الثالث

موقف ابن العربي من رؤية الله تعالى

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : رؤية الله تعالى في الآخرة .

المبحث الثاني : رؤية الله تعالى في الدنيا .

الفصل الثالث

موقف ابن العربي من رؤية الله تعالى

تعرض ابن العربي - رحمه الله - للكلام على رؤية الله تبارك وتعالى، وذلك في عدة مواضع من كتبه. وقد شمل كلامه عن مسألة الرؤية الكلام على أصل هذه المسألة، وهي رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة التي هي من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، ولأجل هذه المسألة شمر المشمرون وتنافس المتنافسون[١].

كما شمل كلامه - رحمه الله - مسألة أخرى تتعلق بالرؤية وهي رؤية الله تعالى في الدنيا .

وسأعرض كلام ابن العربي على المسألة الأولى وهي رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة. إذ هي الغرض من هذا المبحث. ثم اعرج على المسألة الثانية وهي رؤية الله تعالى في الدنيا، وذلك في المبحثين التاليين :

المبحث الأول

رؤية الله تعالى في الآخرة

يرى ابن العربي - رحمه الله - أن الله ﷻ يُرى في الدار الآخرة رؤية حقيقية بالأبصار . وقد عبر عن ذلك بقولة: (الباري رأي مرئي، يرى الخلق ويرونه، فأما رؤيتهم له ففي محل مخصوص ومن قوم مخصوصين ...)[٢]. وفي موطن آخر قال في معرض كلامه عن رؤية الله تعالى: (إنه يُرى بالأبصار حقيقة)[٣].

فابن العربي - رحمه الله - يثبت رؤية الله تعالى في الآخرة، ويرى ان تلك

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(١٥٣) . وحادي الأرواح ص(٤٨١) .

[٢] أحكام القرآن (٢/٥٦٤) .

[٣] المتوسط في الاعتقاد ، لابن العربي ، مخطوط ، لوحة (٢٢) .

الرؤية رؤية حقيقة عياناً بالأبصار .

وقد استدل ابن العربي ـ رحمه الله ـ على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بجملة من نصوص الكتاب والسنة ومن ذلك :

١ـ قوله ﷻ ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[١] فقال رحمه الله في معرض كلامه عن رؤية الله تعالى: (أنه يرى بالأبصار حقيقة ودليله قوله ﷻ ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ فقرن النظر بالوجه وعداه بإلى)[٢].

وهذه الآية الكريمة لاشك في دلالتها على رؤية الله تعالى في الآخرة كما ذكر ابن العربي ـ رحمه الله، ـ وقد فسرها السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ بذلك، كما روى ذلك عن ابن عباس ﷺ والحسن البصري وعكرمة والشافعي وغيرهم[٣].

قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني (قال أهل السنة: الدليل على أن المؤمنين يرون ربهم ﷻ قوله تعالى ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ قال أهل اللغة : النظر إذا قرن بالوجه، وعدي بحرف الجر اقتضى نظر العين)[٤].

٢ـ قوله تعالى عن موسى ﷺ ﴿**رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل...**﴾[٥].

وقد بين ابن العربي وجه الاستدلال من هذه الآية من ستة أوجه فقال:

(وجه الدليل من هذه الآية من ستة أوجه :

الأول : قوله تعالى ﴿**قال رب أرني انظر إليك**﴾ فسأل الرؤية وهي جائزة أو مستحيلة ومحال كونها مستحيلة ...

---

[١] سورة القيامة، آية (٢٢،٢٣) .

[٢] المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ، لوحة (٢٢) .

[٣] انظر: تفسير ابن كثير ، (٤/٤٨٠) وانظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٠٢) .

[٤] الحجة في بيان المحجة (٢/٢٥٠) .

[٥] سورة الأعراف ، آية (١٤٣) .

الثاني : قوله ﴿**لـن ترانـي**﴾ وذلـك يقتضـي نفـي الرؤيـة في الحـال ولـو أراد التعميم الدائم قال: لا تراني .

الثالث : قوله ﴿**فإن استقر مكانه**﴾ فعلق الرؤية بالاستقرار وهو جائز بالمعلق به، ففي الرؤية جائز .

الرابع : قوله ﴿**فسوف تراني**﴾ فلما لم يستقر انتفـى بعـدم اسـتقراره سـرعة الرؤية وهي في الدنيا، لا أصل الرؤية وذلك بعيد في الآخرة .

الخامس : قوله ﴿**فلما تجلى ربـه للجبـل**﴾ ومـا تجلى للجبـل جـاز أن يتجلى لغيره.

السـادس : قولـه ﴿**جعلـه دكـا**﴾ و لم يقـل صـار دكـا ، ولـو شـاء لجعلـه ثابتاً...)[1].

وهذه الآية التي استدل بها ابن العربي على ثبوت الرؤية قد استدل بهـا أهـل السنة والجماعة على ذلك .

فقد ذكر ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ قريباً مـن هـذه الأوجـه الـتي ذكرهـا ابـن العربي في هذه الآيـة ، وزاد علـى ذلـك وجهـاً سـابعاً فقـال (السـابع : أن الله كلـم موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز...)[2].

وهذه الآية قد استدل بها أيضـاً نفـاة الرؤيـة مـن المعتزلـة والخـوارج والشـيعة فادعوا تأبيد النفي بـ «لن» في قوله تعالى ﴿**لن تراني**﴾ وقـالوا : إن ذلـك يـدل علـى نفي الرؤية في الآخرة .

وقد رد عليهم ابن العربي ـ رحمه الله ـ كما تقدم، فبين أن قوله تعالى لموسـى ﴿**لن تراني**﴾ يقتضي نفي الرؤية في الحال، ولو أراد التعميم الدائم في الدنيا والآخـرة

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، لوحة (٢٢) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٥٦-١٥٧) .

لقال: لا تراني . هكذا رد ابن العربي ـ رحمه الله ـ على المعتزلة[١]. واحسن من ذلك أن يقال : إن «لن» المقيدة بالتأبيد لا تدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت ؟ قال تعالى ﴿**ولن يتمنوه أبداً**﴾[٢] مع قوله ﴿**ونادوا يامالك ليقضى علينا ربك**﴾[٣] ولأنها لو كانت للتأبيد ـ كما يقول المعتزلة ـ لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي**﴾[٤] فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد[٥].

قال الشيخ : جمال الدين ابن مالك[٦] ـ رحمه الله ـ :

ومن رأى النفي بـ «لن» مؤبداً   فقوله اردد وسواه فاعضدا[٧].

٣ـ قوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[٨].

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ في بيان الاستدلال بهذه الآية على إثبات الرؤية: (إن الآية وردت مورد المدح، فلو كانت الرؤية مستحيلة لما كان فيها مدح،

---

(١) انظر: المتوسط في الاعتقاد ، لوحة (٢٢) .

(٢) سورة البقرة آية (٩٥) .

(٣) سورة الزخرف آية (٧٧) .

(٤) سورة يوسف آية (٨٠) .

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (١٥٧) . .

(٦) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني أحد الأئمة في علوم العربية ، صاحب الألفية المشهورة في النحو ولد سنة ٦٠٠هـ انظر: نفح الطيب (٤٣٢/٢) والأعلام (٢٣٣/٦) .

(٧) متن الشافية الكافية في علم العربية ، لابن مالك ص(٨٦) ط/مطبعة الهلال بمصر .

(٨) سورة الانعام آية (١٠٣) .

ألا ترى أن العدم لا يرى باتفاق)[1].

واستدلال ابن العربي ـ رحمه الله ـ بهذه الآية على الرؤية استدلال حسن وجيه، فإن الله ﷻ ، قد تمدح بقوله ﴿ **لا تدركه الأبصار**﴾ ولو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح. والرب ﷻ يمدح بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتياً، فقوله ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ يدل على عظمته سبحانه، فإنه يُرى ولا يُدرك ولا يحاط به[2].

وهذه الآية التي استدل بها ابن العربي على إثبات الرؤية، قد استدل بها أيضاً من ينفي ذلك من المعتزلة والخوارج وغيرهم .

وقد أبطل ابن العربي ـ رحمه الله ـ استدلال نفاة الرؤية بهذه الآية وبين أن الآية لا دليل فيها على ما ذهبوا إليه فقال رحمه الله: (فإن تعلقوا ـ يعني النفاة ـ بقوله ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ قلنا عنه سبعة أوجه : أحدها: أن آيتكم هذه مطلقة، وآيتنا المتقدمة مقيدة بإثبات الرؤية في وقت مخصوص ، والمطلق يقضي عليه المقيد، بمعنى لا تدركه في الدنيا وتراه في الآخرة .

الثاني :أن آيتكم مطلقة في الأبصار كلها وآيتنا مقيدة فيمن كان ناضر الوجه، فمعنى ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ ـ أي ـ الكافرة وتراه الوجوه الناضرة)[3].

فابن العربي ـ رحمه الله ـ قد أبطل استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي الرؤية وبين ـ رحمه الله ـ أن الآية دليل على ثبوت الرؤية كما تقدم .

---

[1] المتوسط في الاعتقاد ، لوحة (٢٤) .

[2] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(١٥٨) وحادي الأرواح ص(٤٩٢-٤٩٣) تحقيق محمد الزغلي ط/ رمادي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

[3] المتوسط في الاعتقاد ، لوحة (٢٣) لم أستطع قراءة بقية هذه الأوجه .

ولاشك أن استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي الرؤية استدلال باطل. فالآية دليل عليهم ـ كما ذكر ابن العربي رحمه الله ـ لأنها لا تدل على نفي الرؤية، وإنما تدل على نفي الإحاطة به ﷻ مع ثبوت الرؤية. قال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ: (فإن قال قائل قوله ﷻ ﴿لا تدركه الأبصار﴾ قيل له : معناها عند أهل العلم: أي لا تحيط به الأبصار ، ولا تحويه ﷻ ، وهم يرونه من غير إدراك ولا يشكون في رؤيته كما يقول الرجل : رأيت السماء، وهو صادق، ولم يحط بصره بكل السماء ولم يدركها، وكما يقول الرجل : رأيت البحر، وهو صادق، ولم يدرك بصره كل البحر، ولم يحط ببصره، هكذا فسره العلماء إن كنت تعقل)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في معرض ردّه على الجهمية :

(وكذلك احتجاجهم على نفي الرؤية بقوله **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾** فإنها تدل على إثبات الرؤية ونفي الإحاطة)[٢].

وبهذا يتضح اتفاق ابن العربي ـ رحمه الله ـ مع أهل السنة والجماعة في إبطال استدلال المعتزلة بهذه الآية .

والآيات في إثبات الرؤية كثيرة جداً، سوى ما ذكره ابن العربي ـ رحمه الله ـ ومن ذلك :

٤ـ قوله تعالى **﴿ للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾**[٣] وقد فسرت الزيادة في الآية بالنظر الى وجه الله ﷻ ، كما ورد ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وابن عباس ﷺ، ومن التابعين سعيد بن المسيب ومجاهد وعكرمة وغيرهم[٤].

---

(١) كتاب الشريعة ، للآجري، تحقيق د.عبدالله الدميجي(١٠٤٨/٢) .

(٢) فتاوى شيخ الإسلام (٢٨٩/٦) .

(٣) سورة يونس ـ آية (٢٦) .

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٠٥/٧) وتفسير ابن كثير(٤٥٤/٢) والرد على الجهمية للإمام الدارمي ص(٩٩-١٠١) .

٥- ومن ذلك قوله تعالى ﴿**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**﴾[(١)] فقد فسر ﴿المزيد﴾ بالنظر إلى وجه الله ﷻ . وهو مروي عن علي وأنس بن مالك وزيد وابن وهب ﷺ [(٢)].

٦- ومن الأدلة على إثبات ذلك قوله تعالى ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾[(٣)]. وقد روي الاستدلال بهذه الآية عن جمع من السلف، منهم الحسن ومالك والشافعي والإمام أحمد وغيرهم . قال الشافعي ـ رحمه الله ـ (ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه ﷻ)[(٤)].

وأما الأحاديث الدالة على إثبات رؤية الله تعالى فكثيرة جداً، وقد أشار ابن العربي الى بعضها في شرحه للترمذي، ومن تلك الأحاديث الواردة في ذلك :

١- حديث جرير بن عبدالله البجلي قال :كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر فقال :«إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته...»[(٥)].

٢- حديث أبي سعيد ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:«هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ قلنا : لا . قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ...»[(٦)] الحديث.

---

(١) سورة قَ آية (٣٥) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٤٤) وحادي الأرواح ص (٤٩٢) والرد على الجهمية للدارمي ص(١٠٢) .

(٣) سورة المطففين آية (١٥) .

(٤) رواه اللالكائي (٣/٥٦٠) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٨٠) وحادي الأرواح (٤٩١).

(٥) أخرجه البخاري الفتح (١٣/٤١٩ح٧٤٣٦) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظرة﴾ وأخرجه مسلم (١/٣٦٧ح٦٣٣) كتاب المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر .

(٦) أخرجه البخاري (١٣/٤٢٠ح٧٤٣٩) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى﴿وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظرة﴾ .

٣- حديث صهيب ﷺ، عن النبي ﷺ في قوله ﴿**للذين احسنوا الحسنى وزيادة**﴾[١] قال :«إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعداً قالوا: ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة؟ قال: بلى قال: فيكشف الحجاب قال فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه»[٢].

٤- حديث عبدالله بن قيس - ﷺ - عن النبي ﷺ قال:«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة والتي بلغت حد التواتر فرواها نحو ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهي مدونه في الصحاح والسنن والمسانيد لا يمكن دفعها ولا ردها[٤].

ومما تقدم تتضح صحة ما ذهب إليه ابن العربي - رحمه الله - من إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة على الحقيقة كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام على مر العصور والأزمان.

قال الإمام أبو سعيد الدارمي بعد سياقه لأحاديث الرؤية :(فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ويؤمنون بها لا

---

(١) سورة يونس، آية (٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم (١/١٤٢ح١٨١) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم .

(٣) أخرجه البخاري (١٣/٤٢٣ح٧٤٤٤) كتاب التوحيد، باب وقول الله﴿وجوه يومئذ ناضره﴾ ومسلم (١/١٤٢ح١٨٠) كتاب الإيمان، باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ .

(٤) انظر: الشريعة للآجري (٢/٩٧٨) وما بعدها، والحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٦) وما بعدها .

يستنكرونها ولاينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال)[١].

وقال الإمام أبو عبدا لله بن بطة ـ رحمه ا لله ــ بعد أن سرد جملة من الأدلة والآثار في مسألة الرؤية: (فقد ذكرت لكم ـ رحمكم ا لله ـ من تثبيت رؤية المؤمنين ربهم تعالى يوم القيامة في الجنة، وشرحت ذلك وبينته ملخصاً من كتاب ا لله تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ، وإجماع العلماء ، وأئمة المسلمين ولغات العرب ما في بعضه كفاية، وغنى ، وهداية ، وشفاء لمن وهب بصيرة، وأراد به مولاه الكريم الخير والسلامة)[٢].

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه ا لله ـ : (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ويزك[٣] الإيمان وخاصة رسول ا لله ﷺ على ان ا لله ﷻ يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة)[٤].

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه ا لله ـ: (وقد ثبتت رؤية المؤمنين للهﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها) وقال أيضاً بعد كلامه عن الرؤية: (وهذا بحمد ا لله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام)[٥].

والحاصل أن ابن العربي ـ رحمه ا لله ـ يتفق مع أهل السنة والجماعة في إثبات رؤية ا لله تعالى في الآخرة . إلا أن ثمة مسألة لابد من التنبيه عليها وهي : أن اتفاق ابن العربي مع أهل السنة والجماعة في مسألة رؤية ا لله تعالى في الآخرة ليس اتفاقاً

---

(١) الرد على الجهمية ص(١٠٣) .

(٢) الابانه لابن بطه (٣/٧٠) تحقيق الوليد بن محمد نبيه، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ دار الرآية .

(٣) اليَزَك بالتحريك : فارسية تعني : طَليع الجيش أو طلائعه. انظر: حادي الأرواح (٥٥٢) .

(٤) حادي الأرواح (٥٦٤-٥٦٥) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٩-٤٨٠) .

كاملاً . وذلك ان ابن العربي وسائر الأشاعرة حين اثبتوا الرؤية لم يثبتوا لازمها.
فقالوا : أنه تعالى يُرى لا في جهة . ففرقوا بين اللازم والملزوم، وقد قرر ذلك ابن العربي بقوله :(ومن الثابت الواجب اعتقاده استحالة المكان والجهة على الباري تعالى؛ لان المكان والجهة مخلوقان...) ثم قال بعد ذلك (ومع استحالة وصفه بالجهة والمكان فإنه يرى بالأبصار حقيقة ...)(١).

فابن العربي يرى أن الرؤية ثابتة لله تعالى في غير جهة ولا مكان، وذلك أن الجهة والمكان ـ عنده ـ مستحيلة على ا لله تعالى .

وقد أنكر ابن العربي أن تكون المقابلة شرطاً في الرؤية حتى لا يُلزم بالجهة فقال (ليس من شرط الرؤية المقابلة، فإن الإنسان يرى نفسه في المرآة ولا يقابلها)(٢) فابن العربي أدرك أن إثبات المقابلة في الرؤية يقتضي إثبات الجهة. والجهة ــ عنده ــ مستحيلة، ولذلك قرر أن الرؤية قد تكون من غير مقابلة، ومثل على ذلك برؤية الإنسان لنفسه في المرآة .

هكذا قرر ابن العربي مذهبه في هذه المسألة تبعاً لمذهب أصحابه الأشاعرة الذين انفردوا بذلك من بين فرق الإسلام .

وقد استدل كثير من الأشاعرة على ما ذهبوا إليه من نفي الجهة مع إثبات الرؤية بحديث جرير بن عبدا لله المتقدم وفيه «لا تضامون في رؤيته»(٣) .

قال ابن فورك في كلام له عن الرؤية :(خبر الرؤية صحيح . وهي واجبة كما بشرهم النبي ﷺ، وفيه دلالة على أنّ ا لله يرى لا في جهة لأنه ﷺ قال:«لا تضامون في رؤيته» ومعناه: لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة)(٤).

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ، لوحه (٢٠و٢٢) .

(٢) المرجع السابق ، لوحة (٢٣) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨٣/١٩) .

وابن العربي ـ رحمه الله ـ قد شرح هذا الحديث وأشار الى معنى «لا تضامون» إلا أنه لم يربط هذه الكلمة بمسألة الجهة ، فقال (معنى هذه الكلمة روي تضارون بضم التاء وفتحها فإذا ضممتها كان المعنى لا يدرككم ضير وإذا فتحتها كان المعنى: لا يضم بعضكم بعضاً بالمزاحمة علية والمراجعة فيه فإنه نوع من المشقة. وروي تضامون بالميم على تلك الهيئة، فإذا ضممت التاء وضممت الميم المشددة كان معناه لا يزاحمكم أحد وإذا فتحتها كان معناه لا تزاحمون عليه)(١).

والحق أن ما ذهب إليه ابن العربي بخاصة والأشاعرة عامة من إثبات رؤية الله تعالى مع نفي الجهة والمقابلة رأي غير معقول . ولا يمكن تصوره، والقول الصحيح المتفق مع العقل والشرع هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الرؤية وإثبات لازمها وهي المقابلة ثم الجهة، إذ لا يعقل أن تحصل رؤية من غير مقابلة ولا جهة .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه عن الرؤية: (فالرؤية المعقولة له عند جميع بني آدم، عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم، أن يكون المرئي مقابلاً للرائي مواجهاً له بائنا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك)(٢).

وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ (من قال :يرى لا في جهة فليراجع عقله! فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال : يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولاعن يمينه ولا عن يسار ولا فوقه ولا تحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة)(٣).

ولما كان هذا القول مخالف للعقل والفطرة ضحك جمهور العقلاء من القائلين به، وقالوا: هذا رد لما هو مركوز في أوائل العقول .

---

(١) عارضة الأحوذي (٢٤/١٠) .

(٢) الصواعق المرسلة (١٣٣٢/٤) ومختصر الصواعق ص(١٧٢) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(١٦٠) وانظر: درء التعارض (٢٥١/١) .

وقد حكى ابن العربي عن أحد قضاة المعتزلة أنه سُئل : هل يحكم بكفر الأشعرية في قولهم: إن الباري يُرى؟ فقال له القاضي : لا يحكم بكفرهم لأنهم يقولون إنه يرى في غير جهة، فيذكرون ما لا يعقل، ومن قال مالا يعقل لا يكفر[١].

فابن العربي وأصحابه الأشاعرة أثبتوا ما لا يمكن رويته، فجمعوا بين أمرين متناقضين لا يعقل اجتماعهما البتة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

(وهؤلاء القوم ـ أي الأشاعرة ـ أثبتوا م الا يمكن رؤيته وأحبوا نصر مذهب أهل السنة والجماعة والحديث، فجمعوا بين أمرين متناقضين، فإن ما لا يكون داخل العالم الخارجي ولا خارجه ولا يشار إليه يمتنع أن يرى بالعين لو كان وجوده في الخارج ممكناً، فكيف وهو ممتنع؟ وإنما يقدر في الأذهان غير أن يكون له وجود في الأعيان، فهو من باب الوهم والخيال الباطل)[٢].

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ما تمسك به بعض الأشاعرة من قوله ﷺ في حديث جرير «لا تضامون في رؤيته» . وبين رحمه الله أن الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه من نفي الجهة فقال رحمه الله في معرض رده على ابن فورك: (وإما قوله : إن الخبر يدل على أنهم يرونه لا في جهة، وقوله«لا تضامّون» معناه لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة، فهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه، ولا قاله أحد من أئمة العلم، بل هو تفسير منكر عقلاً وشرعاً ولغة . فإن قوله «لا تضامّون» يروى بالتخفيف أي لا يلحقكم ضيم في رؤية كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال ... وقيل «لا تضامون» بالتشديد أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال . وكذلك «تضارون» و«تضارون» . فإما أن يروى بالتشديد ويقال :«لا تضامون» أي لا تضمكم جهة

---

[١] العواصم من القواصم ص(٣٣) .

[٢] فتاوى شيخ الإسلام (٨٧/١٦) .

واحدة فهذا باطل ...)[١].

وأما ما مثل به ابن العربي على إمكان الرؤية بغير مقابلة، برؤية الإنسان نفسه في المرآة مع أنه لا يقابلها . فهذا ليس مثلاً صحيحاً، وإنما هو ضرب من الوهم والخيال. فإن الإنسان إنما يرى خيال صورته، وهو عرض منطبع في الجسم الصقيل، وهو في جهة منها . ولا يرى حقيقة صورته القائمة به . حتى يقال أنها ليست في جهة منه[٢].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة فيما ذهبوا إليه من إثبات الرؤية مع نفي المقابلة والجهة . فأثبتوا الرؤية ونفوا لازمها، وأن الحق الموافق للشرع والعقل هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الرؤية مع لازمها وهذه هي الرؤية المعقولة كما تقدم .

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (١٦/٨٥-٨٦) .

(٢) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٣٣٣) .

المبحث الثاني

رؤية الله تعالى في الدنيا:

أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك الا في نبينا محمد ﷺ خاصة . فمنهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، والخلاف في هذه المسألة خلاف قديم منذ زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم[١].

وقد حكى ابن العربي ـ رحمه الله ـ عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في هذه المسألة قولين:

أحدهما : إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج، وقد نسب ابن العربي هذا القول إلى ابن عباس وانس رضي الله عنهما .

الثاني : إنكار رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا ، ونسب هذا القول الى عائشة وابى ذر رضي الله عنهما .

يقول ابن العربي ـ رحمه الله ـ في ذلك: (واختلف الصحابة في رؤية النبي ﷺ لربه في المعراج فقالت طائفة : أنه رآه ، منهم ابن عباس وأنس . وقالت طائفة لم يره، منهم عائشة وأبو ذر ...)[٢].

وقد اختار ابن العربي القول الأول وهو إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج فقال عند قوله تعالى ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾[٣]:(وقوله:﴿**ما كذب الفؤاد ما**

---

[١] انظر: فتاوى شيخ الإسلام (٥٠٩/٦) وشرح العقيدة الطحاوية ص(١٦٢) .

[٢] المتوسط في الاعتقاد ، لابن العربي ،مخطوط ، لوحة (٢٦) .

[٣] سورة النجم، آية (١١) .

رأى﴾ أي رأى ربه على الوصف الذي علمه لم يتكاذب في ذلك الفؤاد والبصر)(١).

وقال عند قوله تعالى **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**(٢) قال (قوله **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** فيه أقوال كثيرة بيناها في الأنوار، ومن أعظم الآيات ثبوت فؤاده وصحة بصره وقوته على رؤية ربه)(٣).

فهذا الكلام من ابن العربي ـ رحمه الله ـ يدل على أنه يذهب إلى إثبات رؤية النبي ﷺ لربه حقيقة ببصره وذلك حينما عرج به إلى السماء . وهذا القول الذي اختاره ابن العربي هو ما ذهب إليه شيخه أبوالحسن الأشعرى كما ذكر ذلك عنه ابن العربي نفسه في قوله في معرض كلامه عن رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ قال (وذهب شيخنا أبو الحسن إلى أنه رآه بعيني رأسه ليلة المعراج عند سدرة المنتهى)(٤).

وقد استدل ابن العربي ـ رحمه الله ـ على ما ذهب إليه من إثبات رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا بما يلي :

١ـ قوله تعالى **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**(٥) فقال في معرض تفسيره لسورة النجم (قوله **﴿ماكذب الفؤاد مارأى﴾** أي رأى ربه على الوصف الذي علمه لم يتكاذب في ذلك الفؤاد والبصر)(٦).

٢ـ قوله تعالى **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء...﴾**(٧).

---

(١) أحكام القرآن (١٢/١٦٩) .

(٢) سورة النجم، آية (١٣) .

(٣) أحكام القرآن (١٢/١٧٢) .

(٤) المتوسط في الاعتقاد ، لابن العربي ، مخطوط ، لوحة (٢٦) .

(٥) سورة النجم، آية (١١) .

(٦) أحكام القرآن (١٢/١٦٩) .

(٧) سورة الشورى، آية (٥١) .

يقول ابن العربي بعد ذكره لقول شيخه أبي الحسن الأشعرى وما ذهب إليه من أنه ﷺ رآه بعيني رأسه، قال: (والذي يدل عليه قوله تعالى ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء...**﴾ فقسم الباري تكليمه للخلق على ثلاثة أقسام، فوجب أن تكون متغايرة المعاني مستوفاة الوجوه، فتكليمه للخلق بإرسال رسول كتكليمه لسائر الأنبياء وللمكلفين بإرسال الرسل إليهم . وتكليمه من وراء حجاب كتكليمه لموسى ونحوه، وتكليمه بوحيه هو تكليمه لمن يكلمه بلا واسطة مع الرؤية)[١].

وبهذا يتضح رأى ابن العربي ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة ، وأنه يذهب إلى إثبات رؤية النبي ﷺ لربه حقيقة ليله المعراج .

وهذه المسألة ، مسألة خلافية بين أهل السنة والجماعة ــ كما تقدم ــ إلا أن الذي عليه جماهير الأمة من الصحابة ومن بعدهم من أئمة الدين ، انه ﷺ لم يره بعينه في الدنيا لا في ليلة المعراج ولا في غيرها .

ومما يدل على ذلك ما ورد صريحاً في حديث أبي ذر ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك ؟ فقال «نور أنى أراه» وفي رواية «رأيت نوراً»[٢].

فهذا الحديث نص في انه ﷺ لم ير ربه ﷻ في الدنيا ، ولذلك قال ﷺ «نور أنى أراه» .

قال ابن أبي العز (معنى قوله «نور أنى أراه» : هو الحجاب يمنع رؤيته فأنى أراه؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفى الرؤية ، والله أعلم)[٣].

وكذلك ما ورد في الصحيح عن مسروق قال:«كنت متكئاً عند عائشة رضي

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، مخطوط ، لوحة (٢٦)، وانظر: عارضة الأحوذي (١٢/ ١٦٩) .

(٢) أخرجه مسلم (١/١٤١ح١٧٨) كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ :«نور أنى أراه» .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٣.

ا لله عنها فقالت يا أبا عائشة : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم عى ا لله الفرية . قلت ماهن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على ا لله الفرية. قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولاتعجليني ، أَلَمْ يقل ا لله :ﷻ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾[1] ﴿ولقد رآه نزله أخرى﴾[2] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول ﷺ فقال:« إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض» فقالت أو لم تسمع أن ا لله يقول :﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[3] أو لم تسمع أن ا لله يقول :﴿وما كان لبشر أن يكلمه ا لله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم﴾[4] ... الحديث»[5].

ففي هذا الحديث التصريح بان النبي ﷺ إنما راى جبريل عليه السلام و لم ير ربهﷻ.

وأما استدلال ابن العربي ـ رحمه ا لله ـ بآية النجم على أن النبي ﷺ رأى ربه فهذا مردود بحديث عائشة رضى ا لله عنها المتقدم ، وهو صريح في ان المرئي هو جبريل عليه السلام . وسياق الآيات في ذلك واحد، يدل على أن المراد بذلك جبريل عليه السلام.

وقد جزم ابن مسعود ﷺ بذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ماكذب **الفؤاد ما** رأى﴾[6] قال: (رأى جبريل في حله من رفرف قد ملأ مابين السماء والأرض)[7].

وأما استدلال ابن العربي بقوله تعالى **﴿وما كان لبشر أن يكلمه ا لله إلا**

---

(1) سورة التكوير آية (٢٣) .

(2) سورة النجم آية (١٣) .

(3) سورة الانعام ، آية (١٠٣) .

(4) سورة الشورى آية (٥١) .

(5) أخرجه مسلم (١/١٣٩ح١٧٧) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ .

(6) سورة النجم آية (١١) .

(7) أخرجه الترمذي ، (٥/٣٩٦ح٣٢٨٣) .

وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء ...﴾ وقوله ﴿**إلا وحياً**﴾ يعني تكليمه مع رؤيته فذلك لايدل على رؤية النبي ﷺ كما ذكر ابن العربي. بل هو دليل على نفي ذلك، ولذلك استدلت عائشة ـ رضى ا لله عنها ـ بهذه الآية على نفي رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا ـ كما تقدم في قولها ـ رضى ا لله عنها لمسروق (أو لم تسمع أن ا لله يقول ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه ا لله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً...**﴾[1] الآية .

ومما يؤيد قو ل عائشة رضى ا لله عنها ما ورد في سبب نزول هذه الآية وهو (أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم ا لله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال : لم ينظر موسى إلى ا لله ﷻ ، فأنزل ا لله تعالى هذه الآية)[2].

و لم يرد عن أحد من السلف أنه فسر قوله ﴿**إلا وحياً**﴾ بأنه التكيم مع الرؤية، كما ذكر ابن العربي ، بل الذي ورد عنهم أن المراد بذلك الإلهام من ا لله تعالى بالنفث في صدر النبي ﷺ أو الرؤيا في المنام[3].

وأما نسبة هذا القول الى ابن عباس ﷺ فلم يثبت عنه في ذلك لفظ صريح يدل على أنه ﷺ رأى ربه بعينه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه ا لله ـ (والألفاظ الثابتة عن (ابن عباس) هي مطلقة، او مقيدة بالفؤاد، تارة يقول : رأى محمد ربه، وتارة يقول رآه محمد ؛ و لم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه)[4].

ومما تقدم يتضح أن ابن العربي ـ رحمه ا لله ـ قد جانب الصواب فيما ذهب إليه من إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج . وان القول الصحيح الذي تدل عليه

---

(١) سورة الشورى آية (٥١) .

(٢) انظر: تفسير البغوي (٧/٢٠٠) وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٥/٨٦) .

(٣) انظر: المرجعين السابقين بنفس الصفحات وانظر: تفسير ابن كثير (٤/١٣١) .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام (٦/٥٠٩) .

النصوص الصحيحة هو ما ذهب إليه جماهير العلماء من الصحابة ومن بعدهم من أنـه ﷺ لم ير ربه في الدنيا .

وقد حكي الإمام عثمان بن سعيد الإجمـاع على ذلـك فقـال في معـرض رده على المريسي: (أن رسول الله ﷺ قـال في حديـث أبـي ذر: إنـه لم يـر ربـه[١] وقـال رسول الله ﷺ «لن تروا ربكم حتى تموتوا»[٢] وقالت عائشة رضـي الله عنهـا «مـن زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية»[٣] واجمع المسلمون عل ذلك مـع قول الله ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾[٤] يعنون أبصار أهل الدنيا)[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (ليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة مايدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل)[٦].

وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ بعـد نقلـه لكـلام القـاضي عيـاض في إنكـاره لذلك: (وهذا القول الذي قاله القاضي عياض ـ رحمه الله ـ هو الحق ، فإن الرؤيـة في الدنيا غير ممكنة، إذ لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه بل ورد ما يدل على نفي الرؤية)[٧].

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٤/١٧٧٨ح٢٩٣١) كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) سورة الانعام آية (١٠٣) .

(٥) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيـد. تحقيـق محمـد حـامد الفقـي ص(١٦٦) الطبعـة الأولى، دار الكتب العلمية.

(٦) فتاوى شيخ الإسلام (٦/٥٠٩-٥١٠) .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية ، ص(١٦٣) .

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ بعد سياقه الخلاف في هذه المسألة :(التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع : أنه ﷺ لم يره بعين رأسه، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه، فالمراد به الرؤية القلبية)[1].

(١) أضواء البيان (٣/٣٦٣) .

الفصل الرابع

موقف ابن العربي من قضاء الله وقدرة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بقضاء الله وقدره .

المبحث الثاني : أفعال العباد .

المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر .

الفصل الرابع

موقف ابن العربي من قضاء الله وقدره

تمهيد :

أولاً: معنى القضاء والقدر لغة:

١ـ معنى القضاء لغة : الحكم ، وأصله قضايٌ لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف هُمزت والجمع الأقضية[1].

قال ابن فارس :(القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدلُّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال تعالى:﴿**فقضاهن سبع سموات في يومين**﴾[2] أي أحكم خلقهن)[3].

قال الزهري: (القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم علمه، أواتم، أوختم، أو أدِّى، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي، فقد قضي)[4].

وبهذا يتضح معنى القضاء في اللغة، وأن ذلك راجع إلى إحكام الشيء وإتمام الأمر، والى هذا المعنى ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة كما تقدم .

---

(١) الصحاح للجوهري (٦/٢٤٦٣) .

(٢) سورة فصلت آية (١٢) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/٩٩) .

(٤) النهآية في غريب الحديث لابن الاثير (٤/٧٨) .

٢ـ معنى القدر لغة :

قدر: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته[١].

وقَدْر الشيء : مبلغه . وقَدَرُ الله وقَدْرُهُ بمعنى، وهو في الأصل مصدر[٢].

ويأتي القدر بمعنى القضاء والحكم[٣] ومنه قوله في حديث الاستخارة: «فاقدره لي ويسره لي»[٤] وقدرتُ الشيء اقدُرُهُ قدراً، من التقدير،[٥] وفي الحديث :«إذا غمّ عليكم الهلال فاقدروا له»[٦] أي أتموا ثلاثين . وقُدر على الإنسان رزقه قَدْراً مثل قُتَرَ. ومنه قوله تعالى ﴿**وأما إذا ما بتلاه فقدر عليه رزقه**﴾[٧] وهو بمعنى ضُيق[٨]. الى غير ذلك من معاني القدر الكثيرة . والتي ترجع في غالبها الى التقدير .

ثانياً : معنى القضاء والقدر شرعاً :

يطلق القضاء والقدر في عرف الشرع على تعلق علم الله تعالى بالأشياء في الأزل. وتقديره لها في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[٩].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٦٢) .

(٢) الصحاح للجوهري (٢/٧٨٦) .

(٣) لسان العرب (٥/٧٤) والقاموس المحيط (٥٩١) مادة (قدر) .

(٤) أخرجه البخاري الفتح (٣/٤٨ح١١٦٢) كتاب التوحيد باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى .

(٥) الصحاح للجوهري (٢/٧٨٧) والمفردات للراغب الأصفهاني ص(٦٥٩) مادة (قدر) .

(٦) أخرجه البخاري الفتح (٤/١١٩ح) كتاب الصيام باب قوله ﷺ «إذا رأيتم الهلال ...» .

(٧) سورة الفجر آية (١٦) .

(٨) الصحاح (٢/٧٨٧) وانظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٦٣) .

(٩) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس ص(١٦) وشرح العقيدة الواسطية د.صالح الفوزان ص(١٦٢) والقضاء =

قال النووي ـ رحمه الله ـ :(القدر معناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ﷻ وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها ﷻ)[١].

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ :(القدر عند السلف: ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن الى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها)[٢].

وأما الفرق بين القضاء والقدر فمن العلماء من جعلهما بمعنى واحد ولم يفرق بينهما، والذين فرقوا بينهما اختلفوا على أقوال أهمها :

١ـ منهم من قال : إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن افترقا، فإذا أطلق أحدهما مفرداً فهو بمعنى الآخر، وإذا ذكرا جميعاً فلكل واحد منهما معنى يخصه[٣].

٢ـ ومنهم من قال : إن القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقديرين، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع[٤].

٣ـ ومنهم من قال : إن القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله[٥].

=

والقدر في ضوء الكتاب والسنة د.عبدالرحمن المحمود ص(٣٠) .

[١] شرح صحيح مسلم ، للنووي (١٥٤/١) وانظر: أيضاً فتح الباري (٤٧٧/١١) .

[٢] لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣٤٨/١) .

[٣] شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد العثيمين ص(٥٩٧/٢) .

[٤] المفردات للراغب الأصفهاني ص(٦٧٥) .

[٥] انظر: فتح الباري (٤٧٧/١١)، والقضاء والقدر د.عمر الاشقر ص(٢٧) .

٤- وذكر بعضهم أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل واستدلوا على ذلك بقول عمر ﷺ لما أراد الفرار من الطاعون: (أفر من قضاء الله إلى قدر الله) تنبيها على أن القدر ما لم يكن قضاءً فمرجوٌّ أن يدفعه الله[١]. لكن هذا اللفظ الذي ذكره بعض العلماء واستشهدوا به مردود إذ أن الرواية الصحيحة لم ترد بهذا اللفظ وإنما وردت بلفظ (نفر من قدر الله الى قدر الله)[٢].

ولعل أقرب الأقوال -والله اعلم- هو القول بعدم التفريق بينهما، فإذا انفرد أحدهما فإنه يشمل الآخر، لأن من فرق بينهما لا دليل معه، فيكون الجامع لذلك هو التعريف الشرعي المتقدم والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص(٦٧٥-٦٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري الفتح (١٧٩/١٠ح٥٧٢٩) كتاب الطب ، باب مايذكر في الطاعون .

المبحث الأول
الإيمان بقضاء الله وقدره

الإيمان بقضاء ا لله وقدره هو أحد أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، فهو الأصل السادس من أصول الإيمان كما في حديث جبريل المشهور في سؤاله النبي ﷺ عن شرائع الدين وفيه (قال: أخبرني عن الإيمان ؟ فقال النبي ﷺ :«أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال ـ أي جبريل ـ صدقت)[١].

فهذه الأصول الستة يجب الإيمان بها جميعاً بما في ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر يتعلق بتوحيد الربوبية خصوصاً، وله تعلق بتوحيد الأسماء والصفات، لأنه من صفات كمال ا لله ﷻ[٢].

وقد دل على وجوب الإيمان بالقدر عدة نصوص من كتاب ا لله تعالى كما في قوله تعالى ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[٣] وقوله تعالى ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن تبرأها إن ذلك على ا لله يسير**﴾[٤]. إلى جانب الأحاديث الكثيرة المثبتة لذلك، كما سيأتي ذكرها في سياق الأدلة على وجوب الإيمان بالقدر ان شاء ا لله تعالى .

---

(١) رواه مسلم (١/٤٦ح٨) كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان .

(٢) انظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد ، لابن عثيمين (٣/١٥٩) .

(٣) سورة القمر آية (٤٩) .

(٤) سورة الحديد ، آية (٢٢) .

رأي ابن العربي في الإيمان بالقدر :

يرى ابن العربي ـ رحمه الله ـ وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وقد قرر ذلك بقوله في التعليق على حديث جبريل المتقدم (في الصحيح قول جبريل للنبي وقول النبي له: «أن تؤمن بالقدر خيره وشره» فأثبت أن الله قدر الخير والشر)[١].

وقد اعتبر ابن العربي ـ رحمه الله ـ الإيمان بالقدر هو محض الإيمان، فقال في معرض كلامه عن قول مالك رحمه الله في ترجمته : (النهي عن القول بالقدر) قال: (أما ترجمته بالنهي عن القول بالقدر فغـريبة ، لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره»[٢] فكيف يصح أن ينهى عن قوله وهو محض الإيمان)[٣].

فابن العربي ـ رحمه الله ـ قد أدرك أهمية الإيمان بالقدر خيره وشره ولذلك اعتبر الإيمان به هو محض الإيمان، وهذا بلاشك دليل على وجوب ذلك عنده والله أعلم .

ولاشك أن ما قرره ابن العربي ـ رحمه الله ـ من وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه، وعلى ذلك دلت نصوص الكتاب والسنة . ودرج على الإيمان به الأئمة من أهل السنة والجماعة .

قال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ :(الإيمان بالقدر خيره وشره واجب قضاء وقدر. وماقدر يكن ، وما لم يقدر لم يكن ... هذا مذهب المسلمين)[٤].

وقال الإمام البغوى ـ رحمه الله ـ:(الإيمان بالقدر فرض لازم. وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم)[٥].

---

(١) عارضة الأحوذي (٢٩٦/٨) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) القبس شرح موطأ مالك (١٠٩٢/٣) .

(٤) كتاب الشريعة للآجري ، تحقيق د.عبدالله الدميجي (٦٩٩/٢) .

(٥) شرح السنه للبغوي (١٤٢/١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:(وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجه تتضمن شيئين)[١].

الأدلة على وجوب الإيمان بالقدر :

أولاً ـ الأدلة من القرآن الكريم :

١ـ قوله تعالى:﴿**إنا كل شئ خلقناه بقدر**﴾[٢] وقد أشار ابن العربي إلى الاستدلال بهذه الآية على الإيمان بالقدر، فقال ـ رحمه الله ـ بعد سياقه لهذه الآية (يعني: بقدر معلوم على حسب العلم والإرادة والقدرة)[٣] وهي دليل واضح على ذلك كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الاشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها)[٤].

٢ـ قوله تعالى:﴿**وخلق كل شئ فقدره تقديراً**﴾[٥] (أي قدّر له تقديراً من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق)[٦].

٣ـ قوله تعالى:﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولافي أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**﴾[٧] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:(أي قدره

---

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها د.صالح الفوزان ص(١٦٢) .

(٢) سورة القمر آية (٤٩) .

(٣) الأفعال لابن العربي ص(٢٣٧) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤/٢٨٦) وانظر: فتح القدير للشوكاني (١٢٩/٥) .

(٥) سورة الفرقان آية (٢) .

(٦) انظر: تفسير البغوي (٧١/٦) وفتح القدير (٦١/٤) .

(٧) سورة الحديد آيه (٢٢) .

سابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ويخلق الخليقة)[١].

٤ـ قوله تعالى:﴿**ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾[٢] (أي وكان أمره الذي يقدره كائناً لامحالة وواقعاً لامحيد عنه ولامعدل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)[٣].

ثانياً ـ الأدلة من السنة :

١ـ حديث جبريل المشهور والذي ورد من رواية عمر ﷺ وفيه (قال ـ أي جبريل عليه السلام ـ اخبرني عن الإيمان؟ فقال النبي ﷺ :«أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال:صدقت)[٤] وقد أورد ابن العربي - رحمه الله ـ هذا الحديث في اكثر من موضع محتجاً به على وجوب الإيمان بالقدر . كما تقدم بعض ذلك .

٢ـ حديث علي ﷺ انه قال : يارسول الله، هذا الأمر الذي نحن فيه أمرٌ مستأنف أم أمر قد فرغ منه؟ فقال :"فرغ ربكم" قالوا : ففيم العمل؟ قال:"اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ: ﴿**فأما من أعطى واتقى ۞ وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ۞ وأما من بخل واستغنى ۞ وكذب بالحسنى ۞ فسنيسره للعسرى**﴾[٥]"[٦].

وقد أورد ابن العربي ـ رحمه الله ـ هذا الحديث محتجاً به على إثبات القدر ضمن جملة من الأحاديث الواردة في ذلك .وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**وإذ اخذ ربك من**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٣٦/٤) .

(٢) سورة الاحزاب آية (٣٨) :

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٤١/٣) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) سورة الليل آية (٥-١٠) .

(٦) أخرجه البخاري بنحوه الفتح (٧٠٩/٨ح٤٩٤٨) كتاب التفسير، سورة الليل، باب ﴿وكذب بالحسنى﴾ وأخرجه مسلم كذلك (١٦١٨/٤ح٢٦٤٧) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي .

بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا﴾[١][٢].

٣- حديث علي ﷺ . قال : قال رسول الله ﷺ :«لايؤمن عبد حتى يؤمن باربع: لا إله إلا الله وحده لاشريك له،وأني رسول الله بعثني بالحق . وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[٣].

٤- حديث ابن عمر ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ :«كل شئ بقدر حتى العجز والكيس . أو الكيس والعجز»[٤].

فهذه الأحاديث صريحة في إثبات القدر، ونفي الإيمان عمن لم يؤمن بالقدر دليل على وجوب الإيمان به ، والله أعلم .

ومما تقدم يتضح صحة ما ذهب إليه ابن العربي من وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره. وموافقته في ذلك لما عليه أهل السنة والجماعة والله أعلم .

---

(١) سورة الأعراف آية (١٧٢) .

(٢) انظر: أحكام القرآن (٢/٣٣٥) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند(١/٩٧) والترمذي(٤/٤٥٢ح٢١٤٥) واللالكائي(٤/٦٢٠ح١١٠٥) والآجري في الشريعة(٢/٧٩٥ح٣٧٥) قال في تحفة الأحوذي (٣/٢٠١) (رجاله رجال الصحيح) .

(٤) أخرجه مسلم (٤/١٦٢٣ح٢٦٥٥) كتاب القدر . باب كل شئ بقدر .

المبحث الثاني
أفعال العباد

تمهيد :

نشا الكلام في القدر في أواخر عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وذلك عندما اظهر القول به في البصرة معبد الجهني، وتبعه من تبعه من أهل البصرة فأنكر عليهم الصحابة والتابعون حين بلغهم ذلك عنهم . وأعلنوا البراءة منهم ومن مقولتهم.

فقد روى الإمام مسلم بسنده إلى يحي بن يَعمُر[١] انه قال :(كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد[٢] بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا، عبدا لله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت : أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون أن لاقدر . وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبدا لله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر...)[٣].

ثم إن تلك المقولة التي تفوه بها معبد الجهني، انتشرت بين الأقطار الإسلامية، وتبناها خلق كثير من المبتدعة. وقد تلقفها رؤوس المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن

---

(١) هو أبو سليمان يحيى بن يعمر العدواني البصري القرئ العلامة الفقيه المحدث ، توفي قبل سنة ٩٠هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤١) وتهذيب التهذيب (١١/٣٠٥) .

(٢) هو حميد بن عبدالرحمن الحميدي تابعي ثقة عالم ، كان من أفقه أهل البصرة في زمانه، توفي حوالي سنة ٩٥هـ انظر: سيرأعلام النبلاء (٥/٢٩٣) وتهذيب التهذيب (٣/٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم (١/٤٦ح٨) كتاب الإيمان . باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات القدر .

عبيد وقعّدوا لها، ولأجل ذلك أطلق عليهم كثير من العلماء اسم (القدرية) لإنكارهم القدر، وممن أطلق عليهم ذلك ابن العربي، كما تقدم[١].

وحقيقة مقولة القدرية أن العباد هم المتفردون بخلق أفعالهم خيرها وشرها . وأن الله تعالى غير خالق لأفعال العباد ولا لشيء من أعمال الحيوانات صغيرها وكبيرها[٢].

وقد قابلت هؤلاء القدرية فرقة أخرى زعموا أن أفعال الخلق كلها اضطرارية لا اختيار لهم فيها البتة، وإنما هي كحركات المرتعش، فعندهم أن الله يخلق في العبد الأفعال على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى سائر الجمادات، فيقال مثلاً: أمطرت السماء، واهتزت الأرض. فالإنسان ـ عندهم ـ مجبور على أفعاله، ولذلك سموا بالجبرية. وقد تزعم هذه الطائفة جهم بن صفوان السمرقندي الذي يعتبر أول من أظهر هذه المقولة[٣].

وقد أشار ابن العربي ـ رحمه الله ـ إلى هاتين الطائفتين مبيناً مذهب كل منهما في هذه المسألة فقال ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه عن أفعال العباد :(إن المعتزلة والقدرية: زعمت أن العبد خالق لأفعاله، محدث لحركاته وساير أعماله .

وزعمت الجهمية : أنه لاقدرة لأحد من الخلق ولا اختيار، وأنه في أفعاله وأحواله كباب يرد وشجرة تحرك، ولذلك سموا الجبرية)[٤].

رأي ابن العربي في مسالة أفعال العباد :

يذهب ابن العربي ـ رحمه الله ـ إلى أن الله ﷻ هو الخالق لأفعال العباد، والمقدر لها جميعاً، لا يخرج شئ منها عن خلقة وإرادته وقدرته، وقد عبر ابن العربي عن ذلك

---

(١) انظر ص (١٦١-١٦٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص(٣٣٦) .

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) تحقيق عبدالأمير مهنا وعلي فاعور، ط دار المعرفة الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٤) المتوسط في الاعتقاد لابن العربي ، مخطوط ، صحيفة (٧٠) .

بقوله: (من الواجب اعتقاد أنه لا خالق إلا الله، فلا يوجد عرض ولا جوهر إلا وهو خلق لله سبحانه وجد ذلك العرض بحي أو بجماد عاقل أو غير عاقل ...)[١].

فقد بيّن ابن العربي أن الله ﷻ هو الخالق لكل شئ بما في ذلك أفعال العباد..فلا يخرج شئ عن خلقه وقدرته ﷻ، ثم إن ابن العربي ـ رحمه الله ـ نقل إجماع السلف ـ رحمهم الله ـ على أن الله ﷻ خالق كل شئ ، فقال بعد كلامه السابق (هكذا انعقد الإجماع من السلف)[٢].

وقد استدل ابن العربي على ما ذهب إليه من أن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد بقوله تعالى ﴿**أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون**﴾[٣] فقال ـ رحمه الله ـ في معرض رده على القدرية، والاستدلال على خلق الله لأفعال العباد (أما الأثر فقوله تعالى ﴿**أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون**﴾ فبين أن العمل والعامل مخلوقان لله تعالى)[٤].

ولاشك أن الله ﷻ هو الخالق لكل شئ بما في ذلك أفعال العباد كما قال تعالى﴿**الله خالق كل شئ**﴾ وهذا هو المذهب الحق الذي أخذ به السلف واجمعوا عليه كما نقل ذلك عنهم ابن العربي في كلامه المتقدم، وكما نقل ذلك كثير من أئمة السنة في مصنفاتهم .

قال الإمام أبو عثمان الصابوني :(ومن قول أهل السنة والجماعة في إكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى لايمترون فيه، ولايعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه، ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ... ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لامرد لهما...)[٥].

---

(١) المرجع السابق ، صحيفة (٦٥) .

(٢) المرجع السابق ، صحيفة (٦٥) .

(٣) سورة الصافات آية (٩٦) .

(٤) المتوسط في الاعتقاد ، صحيفة (٦٥) .

(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، ص(٢٧٩-٢٨٠) .

وقال الإمام أبو عبدا لله البخاري :(سمعت عبدا لله بن سعيد يقول: مازلت أسمع أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة قال أبوعبدا لله : حركاتهم، وأصواتهم، وإكتسابهم، وكتابتهم، مخلوقة)[١].

الأدلة على خلق الله لأفعال العباد :

١ـ قوله تعالى ﴿ا لله خالق كل شئ﴾[٢] قال ابن أبي العز (أي كل شئ مخلوق، وكل موجود سوى ا لله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، و لم يدخل في العموم الخالق تعالى)[٣].

٢ـ قوله تعالى ﴿وا لله خلقكم وما تعملون﴾[٤] وقد تقدم استدلال ابن العربي ـ رحمه ا لله ـ بهذه الآية على خلق أفعال العباد . والاستدلال بها على ذلك استدلال صحيح، كما قال أبوالمظفر السمعاني ـ رحمه ا لله ـ في معرض تفسيره لهذه الآية (وفي الآية دليل على أهل الاعتزال في أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى، والدليل في ذلك واضح، وهو معلوم في الكتب)[٥].

٣ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ ﷺ ـ قال :«إني أتيت النبي ﷺ في نفر من الأشعريين نستحمله ...» الحديث، وفيه فقال ﷺ :«لست أنا أحملكم ولكنّ ا لله حملكم، إني وا لله لا أحلف على يمين فارى غيرها خير منها إلا أتيت الذي هو خير، وتحللتها»[٦]. قال النووى رحمه ا لله: (ترجم البخاري لهذا الحديث. قوله تعالى ﴿وا لله

---

[١] خلق أفعال العباد ص(٢٦) ط/موسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

[٢] سورة الزمر آية (٦٢) .

[٣] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص(١٣٤) .

[٤] سورة الصافات آية (٩٦) .

[٥] تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٤٠٥/٤) .

[٦] أخرجه البخاري الفتح (٥٢٧/١٣ح٧٥٥٥) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى﴿وا لله خلقكم وماتعملون﴾ .

خلقكم وماتعملون﴾ وأراد أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وهذا مذهب أهل السنة)[١].

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً لمن تتبعها، وقد ساق الإمام أبو عبدا لله البخاري جملة من ذلك في كتابه (خلق أفعال العباد)[٢].

وبهذا يعلم صحة ما ذهب إليه ابن العربي من أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى. وموافقته في ذلك لما عليه أهل السنة والجماعة ، كما تقدم .

وابن العربي ـ رحمه ا لله ـ وان كان يتفق مع أهل السنة والجماعة في أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى. إلا أنه قد خالف أهل السنة والجماعة في الشق الآخر من هذه المسألة، وهو قضية قدرة العبد ومدى تأثيرها في أفعاله التي هي خلق لله تعالى:

فقد ذهب ابن العربي الى أن قدرة العبد لا تأثير لها في فعله، وإنما أجرى ا لله سبحانه العادة بخلق مقدور العباد مقارنا لقدرتهم، فيكون الفعل مخلوقاً لله تعالى وكسباً للعبد .

وقد عبر عن ذلك بقوله :(إن الواجب في الاعتقاد على كل مكلف ان يعلم أنه لاموجود إلا بقدر ا لله ... وأن الموجود بالعبد من الأفعال المخترعة له هي بقدرة ربنا وإرادته ومشيئته، إلا أن ربنا يخلق موجوداً من الأعراض التي تسمى بالأفعال في جسم المكلف ... ويخلق له معه مشيئة وقدرة تارة، ويعريه عنها تارة، ويركب أفعاله كيف نفذت بذلك مشيئتة وجرت بذلك سنته وورد بذلك خبره)[٣].

وفي موضع آخر قال : (أن العبد له مشيئة يخلقها فيه ربه إذا شاء، وقدرة يوجدها الإله إذا أراد وفعل يتعلق به ينشؤه فيه منشىء المخلوقات ...)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم لنووي (١١/١١٠) .

(٢) انظر: خلق أفعال العباد ص(٢٥) وما بعدها .

(٣) المتوسط في الاعتقاد ، صحيفة (٧١) .

(٤) المرجع السابق ، صحيفة (٧٣) .

وهذا الذي قرره ابن العربي هو مايسمى عند الأشاعرة بنظرية الكسب، وقد قال بذلك جمهور الأشاعرة كما نقل ذلك عنهم ابن العربي بقوله بعد ذكر مذهب القدرية ومذهب الجبرية في هذه المسألة، قال: (ووفق تعالى بفضله أهل الحق - يعني الأشاعرة - سبيل التسهيل، فتيمموا طريقاً بين طريقين، فتنزهوا عن القدر واعتصموا عن الجبر، وقالوا: أن الله تعالى هو الخالق للأفعال الموجودة بالإنسان المخترع لها... بالإيجاد والإحداث فيها ولأحدنا قدرة واختيار وكسب لاخلق له فيه ...)(١).

فابن العربي بهذا الكلام يشير إلى توسط الأشاعرة في هذه المسألة بين قول القدرية والجبرية. وذلك أن الأشاعرة اثبتوا أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى فخالفوا القدرية في ذلك، ولم يقولوا بقول الجبرية - على حد قول ابن العربي - بل اثبتوا للعبد قدرة، الا انهم سلبوا تأثير هذه القدرة في فعل العبد، فاثبتوا قدرة لا تأثيرلها في مقدورها.

وقد قرر هذا المذهب أبوالمعالى الجويني في كتابه الإرشاد فقال (فالوجه القطع بأن القدرة الحادثة لاتؤثر في مقدورها أصلاً، وليس من شرط تعلق الصفة أن تؤثر في متعلقها إذ العلم معقول تعلقه بالمعلوم ، مع أنه لايؤثر فيه، كذلك الإرادة المتعلقة بفعل العبد لاتؤثر في تعلقها)(٢).

وقال الآمدي في بيان ذلك (وذهب أهل الحق إلى أن أفعال العباد مضافة إليهم بالاكتساب، وإلى الله تعالى بالخلق والاختراع، وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلاً)(٣).

وقد أشار ابن العربي الى سبب تسمية هذا المذهب عند الأشاعرة بالكسب فقال: (ويضاف الفعل إليه - يعني العبد - حقيقة لأنه موجود به، فطلب علماؤنا لهذه الإضافة التي هي معلق التكليف وعلامة النجاة عبارة فلم يجدوا ابدع من لفظ الكسب

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، صحيفة (٧٠) .

(٢) الإرشاد للجويني ص(٢١٠) .

(٣) غاية المرام للآمدي ص(٢٠٧) .

فعبروا به عنه)[١].

هكذا بين ابن العربي سبب إطلاق لفظ (الكسب) على هذه المسألة عند أصحابه الأشاعرة، وأن ذلك لإضافة الفعل إليه حقيقة مع أنه خلق لله تعالى .

وأما تعريف الكسب عند الأشاعرة فقد اختلفت عباراتهم في بيان ذلك . فعرفه بعضهم بقوله: (مقارنته لقدرة العبد وإرادته من غير أن يكون منه تأثير)[٢] ومنهم من قال (ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به)[٣] إلى غير ذلك مما أوردوه من التعريفات الكثيرة.

وقد ضرب البغدادي للكسب عند الأشاعرة مثلاً فقال: (الحجر الكبير قد يعجز الرجل عن حمله ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله، كان حصول الحمل بأقواهما، ولايخرج أضعفهما بذلك من كونه حاملاً، كذلك العبد لايقدر عليه ووجد مقدوره، فوجوده في الحقيقة يقدره ا لله تعالى، ولايخرج من ذلك المكتسب من كونه فاعلاً وإن وجد الفعل بقدرة ا لله تعالى)[٤].

وقد استدل ابن العربي وغيره من الأشاعرة على ماذهبوا اليه في مسألة الكسب بالنصوص التي يستدل بها الجبرية على نفي قدرة العبد على فعله، كقوله تعالى ﴿**فلم تقتلوهم ولكن ا لله قتلهم ومارميت إذ رميت ولكن ا لله رمى**﴾[٥] وقوله تعالى ﴿**أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**﴾[٦] وما في هذا المعنى من الآيات والأحاديث الكثيرة[٧]. إضافة الى النصوص الدالة على خلق ا لله لأفعال العباد والتي تقدم ذكر جملة منها عند الكلام على ذلك.

---

(١) المتوسط في الاعتقاد ، صحيفة (٧٢) .

(٢) المواقف بشرح الجرجاني ص(٢٣٧) .

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص(٢١٩) .

(٤) أصول الدين للبغدادي ص(١٣٣-١٣٤) .

(٥) سورة الانفال آية (١٧) .

(٦) سورة الواقعة آية (٦٤) .

(٧) كتاب الأفعال لابن العربي ص(١٦٣) .

ولاشك أن ماذهب إليه ابن العربي وغيره من الأشاعرة في مسألة الكسب قول باطل، مخالف لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الفعل للعبد حقيقة. وأن ذلك كائن منه بقدرة وإرادة مؤثرة، ولايلزم من ذلك أن لايكون هذا الفعل خلق لله تعالى بل هو خلقاً لله تعالى، وفعل للعبد حقيقة بإرادته واختياره . وهذا لاخلاف فيه بين سلف الأمة ـ رحمهم الله ـ بل هو مما اتفقوا عليه جميعاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ـ مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ـ أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه. مع قولهم إن العباد لايشاءون إلا أن يشاء الله ... والقرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون، ويكفرون، ويفعلون، ويعملون ... فلم يكن من السلف والأئمة من يقول : إن العبد ليس بفاعل ولامختار ولامريد ولاقادر، ولاقال أحد منهم: إنه فاعل مجازاً، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته ـ أي ذات العبد ـ وصفاته وأفعاله)[١].

وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لمذهب القدرية ومذهب الجبرية:(وقال أهل الحق[٢]: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق ﷻ منفرد بخلق المخلوقات، لاخالق لها سواه)[٣] وقال أيضاً:(إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله ليس هو نفس فعل الله. ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق)[٤].

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ :(ومذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية(٨/٤٥٩-٤٦٠)

(٢) أراد رحمه الله بذلك (أهل السنة والجماعة)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(٤٣٩) .

(٤) المرجع السابق ص(٤٨٨) .

المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة وإن له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولاينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ... وا لله تعالى خالق السبب والمسبب)[1].

الأدلة على إثبات الفعل للعبد على الحقيقة :

١ـ قوله تعالى ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم۝وما تشاءون إلا أن يشاء ا لله رب العالمين**﴾[2].

٢ـ قوله تعالى ﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾[3].

٣ـ قوله تعالى ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾[4] وقوله تعالى ﴿**جزاء بما كانوا يكسبون**﴾[5].

٤ـ قوله تعالى ﴿**لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**﴾[6].

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الصريحة في إثبات المشيئة والفعل للعبد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله :(وقد نطق القرآن بإثبات مشيئة العباد في غير ما آية... وقد نطق بإثبات فعله في عامة آيات القرآن :﴿**يعملون**﴾﴿**يؤمنون**﴾﴿**يكفرون**﴾﴿**يتفكرون**﴾﴿**يحافظون**﴾﴿**يتقون**﴾...)[7].

---

[1] لوامع الأنوار البهية (٣١٢/١-٣١٣) .

[2] سورة التكوير ، آية (٢٩) .

[3] سورة الكهف آية (٢٩)

[4] سورة السجدة (١٧) والاحقاف (١٤) والواقعة (٢٤) .

[5] سورة التوبة ، آية (٨٢) وآية (٩٥) .

[6] سورة آل عمران ، آية (٧١) .

[7] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٣/٨) .

وأما الأحاديث فكثيرة أيضاً كقوله ﷺ «يتبع الميت أهله وماله وعمله ...» [١] وقوله ﷺ «ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ...» [٢] إلى غير ذلك مما لايدخل تحت حصر .

الرد على ابن العربي وغيره من الأشاعرة في مسألة الكسب :

١ـ أن هذا القول الذي ذهبوا إليه مخالف للنصوص الصريحة في إثبات الفعل والقدرة والمشيئة للعبد حقيقة، وقد تقدم سياق جملة من هذه النصوص .

٢ـ أن حقيقة قول ابن العربي وغيره من الأشاعرة هو الجبر المحض، فهم يتفقون مع الجهمية في ذلك، إلا أن الجهمية ينفون القدرة عن العبد مطلقاً، والأشاعرة يثبتون قدرة غير مؤثرة ولذلك اعترف بعض الأشاعرة بالقول بالجبر كما صرح بذلك الايجي في مناقشته للمعتزلة في موضوع الحسن والقبح، فقال: (لنا أن الحسن والقبح ليسا عقليين وجهان: الأول: إن العبد مجبور في أفعاله واذا كان كذلك لم يحكم العقل فيها بحسن ولا قبح اتفاقاً...)[٣].

٣ـ أن القول بأن الله تعالى خالق لأفعال العباد لايتنافى مع إثبات نسبتها إليهم ووقوعها بقدرتهم واختيارهم حقيقة، فالمشاهد أن العبد يتصرف في أفعاله باختياره ومشيئته لايجبره على ذلك أحد فليس العبد في أفعاله كحركة المرتعش التي تحدث له الحركة بغير إرادته واختياره[٤].

٤ـ أن الأشاعرة أنفسهم قد اضطربوا في هذه المسألة، فمنهم من أثبت وقوع الفعل بقدرة واحدة، كما هو قول جمهور الأشاعرة، ومنهم من أثبت وقوع الفعل

---

(١) اخرجه مسلم (٤/١٧٩٨ح٢٩٦٠) كتاب الزهد زالرقائق .

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٥٨٣ح٢٥٧٧) كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم .

(٣) المواقف في علم الكلام ، للايجي ، ص(٣٢٤) ط/ عالم الكتب ، بيروت .

(٤) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (٣٩٤/٨) وشفاء العليل (٣٣٩/١) .

بمجموع القدرتين كالباقلاني والغزالي[١]. بل منهم من رجع عن هذا القول إلى قول أهل السنة والجماعة كالإمام الجويني في العقيدة النظامية[٢].

٥ـ أن هذا القول الذي ذهب إليه الأشاعرة هو أحد محالات الكلام التي لاحقيقة لها، ولهذا قيل:

مما يقال ولاحقيقة تحته ... معقولة تدنو من الأفهام

الكسب عند الأشعرى والحال ... عند الهاشمي وطفرة النظام[٣].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن العربي وغيره من الأشاعرة فيما ذهبوا إليه في هذه المسألة، وأن الحق هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، كما تقدم.

---

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي ص(٨٢)، والمواقف للايجي ص(٣١٢).

(٢) انظر: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ص(٤٣-٥٠) تحقيق حجازي السقا ط/مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ١٣٩٩.

(٣) انظر: شفاء العليل (١٤٦/١) والرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد لعمر بن محمود ص(١٠٣) دار الراية.

المبحث الثالث

الاحتجاج بالقدر

تمهيد:

الاحتجاج بالقدر على الأعمال المخالفة للشرع قضية قديمة، ذكرها الله ﷻ عن مشركي مكة، الذين احتجوا بمشيئة الله على شركهم، كما في قوله تعالى حكاية عن المشركين ﴿**سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلاتخرصون۝قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾[١].

فهؤلاء المشركون الذين احتجوا بالقدر على كفرهم زعموا أنهم إنما وقعوا في شركهم تنفيذاً لمشيئة الله تعالى. فأنكر الله عليهم احتجاجهم بالقدر على شركهم، وذمهم على ذلك في قوله تعالى ﴿**إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون**﴾ وقد تبع هؤلاء المشركين المحتجين بالقدر على شركهم بعض الطوائف المنتسبة الى الإسلام كالجهمية، وبعض الصوفية الذين زعموا أن الإنسان مجبور على أعماله لاتصرف له ولاقدرة ولا إرادة. فلذلك احتجوا بالقدر على مايقع منهم من الانحراف والمعاصي، حتى غلو في ذلك غلواً عظيماً، فأبطلوا الأوامر والنواهي، ووقعوا في الفحش والفجور بهذه الحجة[٢] وقد تمسك بعضهم بحديث ابي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«احتج آدم وموسى فقال له موسى : ياآدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: ياموسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ

---

[١] سورة الانعام آية (١٤٨) .

[٢] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص(٨٤-٨٥) فقد ذكر ـ رحمه الله ـ بعض قصصهم المخزية.

قبل أن يخلقني بـأربعين سنة؟ فحـج آدم موسـى ثلاثـاً»[١]. فظـن أولئـك أن آدم احتـج بالقدر السابق على نفي الملام على الذنب، فاتخذوا ذلك حجة لهم على مايقع منهـم مـن مخالفة أوامر الله والوقوع في نواهيه[٢].

والحقيقة أن هذا الحديث الذي تمسكوا به، لايدل علـى مـاذهبوا إليـه مـن جـواز الاحتجاج بالقدر عل فعل المعاصي، بل هو حجة عليهم كما سيتضح ذلـك مـن خـلال سياق كلام أهل العلم على هذا الحديث، وذلك بعد بيان رأي ابن العربي في الاحتجـاج بالقدر، وموقفه من هذا الحديث الذي احتج به أولئك المبتدعة من الجهمية وأشباههم .

رأي ابن العربي في الاحتجاج بالقدر :

تعرض ابن العربي ـ رحمه الله ـ لهذه المسألة وذلك من خلال شرحه لحديث أبـي هريرة ﷺ في محاجاة آدم وموسى عليهما السلام، وقرر ـ رحمـه الله ـ أن الاحتجـاج بالقدر على فعل المعاصي باطل لايرفع الملامة عن البشر . يقول ابن العربي ـ رحمه الله ـ في تقرير ذلك : (وفي قول آدم ـ عليه السلام «أتلومني على أمر قد قدّر عليّ» ليس ماسبق مـن القضاء والقدر يرفع الملامة عن البشر)[٣].

وقد أجاب ـ رحمه الله ـ من خلال شرحه لهذا الحديث عن احتجاج آدم بـالقدر في قوله عليه السلام: «أتلومني على أمر قد قدّر عليّ» فقال: (تحقيقه أن موسى لام آدم على ما فعل، وإن ذلك الفعل موضع الملامة إلا أن موسى خفي عليه أونسي أن التائب لايعـاقب ولايعاتب وله حجة في القضاء والقدر، وليس للمصر في قضاء الله حجة)[٤].

فابن العربي ـ رحمه الله ـ يرى أن موسى عليه السلام إنما لام آدم عليه السلام علـى ذنـب قـد

---

[١] أخرجه البخاري الفتح (١١/٥٠٥) كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى . ومسلم (٤/١٦٢١ح٢٦٥٢) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

[٢] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٣٠٥) .

[٣] القبس شرح الموطأ (٣/١٠٩٣) .

[٤] عارضة الأحوذي (٨/٢٩٧) .

تاب منه، فلذلك احتج آدم بالقدر، إنكاراً على موسى في لومه له على ذنب قد تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقد بين ذلك ابن العربي في موطن آخر فقال: (معنى قوله ذلك ـ أي قول آدم عليه السلام ـ: أتلومني على أمر قد قدّر علي وتبت منه والعاصي التائب لايلام)[1].

ولاشك أن ماقرره ابن العربي من بطلان الاحتجاج بالقدر، وأن ذلك لايمنع الملامة، هو القول الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة، فإن المذنب إنما يلام على ذنبه ولايعذر باحتجاجه بالقدر، وهذا بإجماع الأمة كما قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: (قد أجمعت الأمة أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بذمه، ولاحرج في لومه، ومن اتى ما يحمد له فلا بأس بمدحه عليه وحمده)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :(وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل مايخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر، ونفس المحتج بالقدر إذا اُعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول)[3].

وأما ماذهب إليه ابن العربي ـ رحمه الله ـ في معنى احتجاج آدم على موسى بالقدر، وأن آدم إنما حج موسى لكونه احتج بالقدر على ذنب قد تاب منه، اعترافاً منه بذلك الذنب بعد توبته منه، فهذا المعنى هو أحد معان الحديث التي قال بها بعض أهل السنة. وقد رجح هذا القول ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ فقال في معرض كلامه على الحديث: (وأما قوله: أتلومني على أمر قد قدر علي؟ فهذا ـ عندي ـ مخصوص به آدم؛

---

(1) القبس (١٠٩٣/٣) .

(2) التمهيد لابن عبدالبر (١٥/١٨) .

(3) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧٩/٨) .

لأن ذلك إنما كان منه ومن موسى ـ عليهما السلام ـ بعد أن تيب على آدم، وبعد أن تلقى من ربه كلمات تاب بها عليه، فحسن منه أن يقول ذلك لموسى ، لأنه قد كان تيب عليه من ذلك الذنب)[١].

وللعلماء ـ رحمهم الله ـ في توجيه هذا الحديث، وبيان وجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى أقوال عدة أهمها :

١ـ أن آدم إنما حج موسى عليهما السلام لان آدم أبوه فحجه كما يحج الرجل ابنه.

٢ـ أن آدم إنما حج موسى لان الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة أخرى.

٣ـ أنه إنما حجه لأنه لامه في غير دار التكليف، ولولامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه السلام .

٤ـ أنه إنما حجة لأنه قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ولايجوز لومه.

وقد ساق ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذه الأقوال في كتابه شفاء العليل وبين ـ رحمه الله ـ أن كل واحد منها لايخلو من اعتراض يبطل القول به[٢]. والذي يهمنا من هذه الأقوال هو القول الرابع الذي ذهب إليه ابن العربي ـ رحمه الله ـ وقد أعله ابن القيم ـ رحمه الله ـ من وجوه ثلاثة :

أحدها: أن آدم ـ عليه السلام ـ لم يذكر ذلك الوجه ـ أي انه تاب من الذنب ـ ولاجعله حجة على موسى عليه السلام ، ولم يقل: أتلومني على ذنب قد تبت منه .

الثاني : أن موسى اعرف بالله سبحانه وبأمره، ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله، واجتباه بعده وهداه، فإن هذا لايجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن .

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٨/١٥) .

(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/٤٨-٤٩) وفتاوى شيخ الإسلام (٨/٣٠٥) .

الثالث : أن هذا يستلزم إلغاء ماعلق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ما ألغاه فلا يلتفت إليه[١].

وبعد أن ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ الأقوال الواردة في معنى حديث أبي هريرة ـ المتقدم ـ وأعلها جميعاً، أشار ـ رحمه الله ـ إلى القول الراجح ـ عنده ـ في معنى الحديث فقال: (إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم ... فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال : إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي أتلومني على مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنه)[٢].

فابن القيم ـ رحمه الله ـ يرى ان موسى إنما لام آدم على المعصية التي أخرجته وذريته من الجنة، وأن آدم إنما احتج بالقدر على تلك المصيبة التي وقعت له ولذريته. وهذا القول الذي رجحه ابن القيم ـ رحمه الله ـ هو القول الذي صوبه شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى هذا الحديث فقال ـ رحمه الله ـ بعد سياق أقوال العلماء في معنى حديث أبي هريرة ـ ﷺ (إذا عرف هذا فنقول : الصواب في قصة آدم وموسى، أن موسى لم يلم آدم من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل، لا لأجل أن تارك الأمر مذنب عاص، ولهذا قال : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يقل : لماذا خالفت الأمر؟ ولماذا عصيت؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم بالقدر)[٣].

وقد أشار ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى اختيار شيخه ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لهذا

---

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٤٩/١) وفتح الباري (٥١٠/١١-٥١١) .

(٢) شفاء العليل لابن القيم (٥٦/١) وانظر: شرح الطحاوية ص(١٠٥) .

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٩/٨) .

القول بقوله بعد كلامه السابق: (هذا اختيار شيخنا ـ رحمه الله ـ)[١]. وهذا القول الذي اختاره ابن تيمية وتبعه عليه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ وإن كان هو أقرب الأقوال لسلامته من الاعتراض إلا أن القول الذي اختاره ابن العربي وغيره من العلماء محتمل أيضاً، ولذلك ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ أنه قد يتوجه القول به في بعض المواضع فقال ـ رحمه الله ـ بعد تقريره لما رجحه في هذه المسألة: (وقد يتوجه جواب آخر، وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها مما ينتفع به الذاكر والسامع، لأنه لايدفع بالقدر أمراً ولانهياً ولايبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة .

يوضحه أن آدم قال لموسى: أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً عليّ قبل أن اخلق؟ فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كان لم يكن فأنّبه مؤنبٌ عليه ولامه حَسُن منه ان يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر علي قبل أن اخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً ولا ذكره حجة على باطل، ولامحذور في الاحتجاج به. وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل ...)[٢].

وبهذا التوجيه الذي أشار إليه ابن القيم ـ رحمه الله ـ يتبين صحة قول ابن العربي ـ رحمه الله ـ في معنى حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ وأن الحديث يصح حمله على المعنيين جميعاً، وإن كان المعنى الأول أولى ، والله أعلم .

ومما تقدم يتضح بطلان الاستدلال بحديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ على الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي . وان الحديث لايدل على ماذهبوا اليه، بل هو حجة ظاهرة على سقوط قولهم .

هذا وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على المحتجين بالقدر على فعل

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (٥٦/١) .

(٢) شفاء العليل لابن القيم (٥٧/١) .

المعاصي، وابطل قولهم من وجوه عدة أهمها ما يلي :

الوجه الأول:أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد، وإما أن لايراه حجة للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس، فإنهم كلهم مشتركون في القدر، وحينئذ فيلزم أن لاينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل. وهذا أمر لايمكن لأحد فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في الفعل، كما أنه كفر في الشرع وأنهم كذابون مفترون في قولهم إن القدر حجة للعبد.

الوجه الثاني: أن هذا يلوم منه أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وعاد، وكل من أهلكه الله بذنوبه معذوراً، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل.

الوجه الثالث: أن هذا يلزم منه أنه لا فرق بين أولياء الله وأعداء الله، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا أهل الجنة وأهل النار، وقد قال تعالى: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير ۞ ولا الظلمات ولا النور ۞ ولا الظل ولا الحرور ۞ وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾[2].

وذلك أن هؤلاء انقسموا إلى سعيد بالإيمان والعمل الصالح، وإلى شقي بالكفر والفسوق والعصيان، فعلم بذلك أن القضاء والقدر ليس بحجة لأحد على معاصي الله.

الوجه الرابع: أن القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق، ولا قتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جوهد في سبيل الله، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر[3].

---

(١) سورة فاطر، الآيات (١٩-٢٢).

(٢) سورة ص، آية (٢٨).

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٢٦٣-٢٦٥).

الوجه الخامس: أن النبي ﷺ نهى الصحابة رضي الله عنهم- عن ترك العمل اتكالاً على ما سبق به الكتاب. فقال ﷺ: "لما قيل له أفلا ندع العمل ونتكل على القدر؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خُلق له" فلو كان الاحتجاج بالقدر سائغاً لم ينههم عن ذلك، ولكان أقرهم على ترك العمل اتكالاً على القدر[١].

وبهذا كله يظهر بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، وأن ابن العربي رحمه الله- قد اتفق مع أهل السنة والجماعة على إنكار ذلك، ووقوع اللوم على من فعل المعاصي من غير أن يقبل منه احتجاجه على فعلها بالقدر.

---

[١] المرجع السابق (٨/٢٦٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه على توفيقه وأعانته على إنجاز هذا البحث ، فله الحمد سبحانه أولاً وآخراً . وبعد ،

فهذا ملخص لأبرز ما توصلت إليه من النتائج من خلال عملي في هذا البحث.

أولاً: أن حياة ابن العربي - رحمه الله - كانت حافلة بالعلم منذ صغره، حيث نشأ في بيت علم وصلاح وتعلم على شيوخ بلده ثم ارتحل بعد ذلك إلى بلاد المشرق طلباً للعلم والمعرفة.

ثانياً : أن ابن العربي قد وافق المتكلمين في اعتماد العقل في الاستدلال على مسائل الإلهيات، وخالف طريق السلف في الاعتماد على السمع وجعل العقل تبعاً له في ذلك.

ثالثاً: سلك ابن العربي في نصوص الصفات مسلك الأشاعرة ، فأثبت الصفات التي دل العقل - عندهم - على إثباتها كصفات المعاني، وأول ما عداء ذلك من الصفات الثابتة بنصوص الكتاب والسنة.

رابعاً: استحسن ابن العربي مذهب التفويض لعوام الناس دون علمائهم. وزعم أن ذلك المذهب هو مذهب السلف رضوان الله عليهم.

خامساً: خالف ابن العربي مذهب أهل السنة والجماعة في وجوب الاحتجاج بخبر الواحد في العقيدة، وذهب إلى أن ذلك الخبر ليس بحجة في العقيدة لعدم افادة ذلك - عنده - العلم.

سادساً: أبطل ابن العربي - رحمه الله - كثيراً من أقوال المبتدعة كالرافضة والمعتزلة والصوفية والفلاسفة وغيرهم.

سابعاً: وافق ابن العربي أهل السنة في بعض الطرق التي استدل بها على وجود الله تعالى ، وخالفهم في استدلاله بطريق حدوث الأجسام.

ثامناً : خالف ابن العربي أهل السنة والجماعة في بعض مسائل توحيد الألوهية كمسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، والحلف بغير الله، ووافقهم في البعض الآخر.

تاسعاً: قرر ابن العربي أن إثبات أسماء الله تعالى توفيقي حسب ما ورد في الكتاب والسنة ، لكنه لم يلتزم بذلك تطبيقاً ، حيث اثبت بعض الأسماء التي لم ترد في الكتاب والسنة . واضطرب قوله في بعض ما ورد في ذلك .

عاشراً: أثبت ابن العربي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، ونفى أن تكون هذه الرؤية في مكان أو جهة .

حادي عشر: سلك ابن العربي مسلك عموم الأشاعرة في مسألة أفعال العباد. فقرر القول بالكسب. الذي انفرد به الأشاعرة.

ثاني عشر: أنكر ابن العربي على المحتجين بالقدر على فعل المعاصي وقرر - رحمه الله - أن القدر لا يحتج به على فعل المعاصي وإن كانت مكتوبة على العبد ومقدرة عليه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بما كتبت، وأن يبارك فيه، وأن يجعل ذلك حجة لي لا حجة عليّ، وأن يغفر ما وقع فيه من خطأ وزلل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

(١)

فهرس الآيات القرآنية

(٢)

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
٦٤- ((فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً)).	١٧٧
٦٥- ((فيقولان له من ربك)).	١٩٠
٦٦- ((كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل)).	٢٣٣
٦٧- ((كان إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه)).	٢٣١
٦٨- ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى)).	٢٣٣
٦٩- ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أسترقي من العين)).	٢٢٩
٧٠- ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الجآن)).	٢٣١
٧١- ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه)).	٩٥
٧٢- ((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس)).	٤٠٥
٧٣- ((كان يعوذ بعض أهله)).	٢٢٩
٧٤- ((كان ينفث على نفسه في المرض)).	٢٢٩
٧٥- ((لست أنا أحملكم ولكن الله حملكم)).	٤٠٩
٧٦- ((لقد تركتم على مثل البيضاء)).	١٠٨
٧٧- ((لك السُّدُسُ)).	١٤٧
٧٨- ((لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه)).	٣٥٤
٧٩- ((لن تروا ربكم حتى تموتوا)).	٣٩٤
٨٠- ((لو كنت متخذاً في الإسلام خليلاً)).	١٥٩
٨١- ((ليس من أم بر صيام في أم سفر)).	٤٦
٨٢- ((ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال)).	٢٨٣
٨٣- ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه)).	٣٣٦
٨٤- ((ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء)).	٤٧
٨٥- ((من بدل دينه فاقتلوه)).	١٨٥

طرف الحديث	الصفحة

(٣)

فهرس الآثار

(٤)

فهرس تراجم الأعلام

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب)	٩١
الحسين بن مسعود بن الفراء (البغوي)	١٧٨
حمد بن محمد البسّي (الخطابي)	٢٧٤
حميد بن عبد الرحمن الحميري	٤٠٦
خلف بن عبد الملك بن بشكوال	٣٧
الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٧
زكريا بن يحيى الساجي	٣٥٦
سفيان بن سعيد الثوري	١١٧
سفيان بن عيينة الهلالي	١١٧
سقراط	١٧٣
سليمان بن عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب	٢٢٧
شجاع بن فارس بن حسين	٣١
صديق بن حسن القنوجي	٢٢٧
طراد بن محمد بن علي	٣١
عامر بن شراحيل الشعبي	٢٦٤
عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (المعتزلي)	٦٤
عبد الخالق بن عبد الوارث (السيوري)	٢١
عبد الرحمن بن أحمد العنسي (أبو سليمان الداراني)	١٦٤
عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي	١٦
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد	٣٧
عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني	٩٢
عبد الرحمن بن علي البغدادي (ابن الجوزي)	١٤١

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
محمد بن المعتضد (المعتمد بن عباد)	١٤
محمد بن مكرم بن علي (ابن منظور)	٩١
محمد بن عيسى السلمي (الترمذي)	١١٥
محمد بن محمد الزبيدي	٥٧
محمد بن محمد بن أحمد (الغزالي)	٣٤
محمد بن مسلم الزهري	١٧٧
محمد بن الوليد الفهري (الطرطوشي)	٣٤
محمد بن الهذيل العلاّف	١٦٣
محمد بن يزيد الأزدي (المبرّد)	١٦
محمود بن محمود الحنفي (العيني)	٢٤٣
منصور بن محمد السمعاني	٦٩
المهلب بن أحمد بن أبي صفرة	٢٥٠
نافع بن مالك الأصبحي	١٨٤
نصر بن إبراهيم بن نصر (ابن أبي حافظ)	٣٥
النعمان بن ثابت التيمي (أبو حنيفة)	١٣٩
الليث بن المظفر بن سيار الخرساني	٩٢
واصل بن عطاء المخزومي	١٦٠
يحيى بن شرف الخرامي (النووي)	١١٥
يحيى بن علي بن الحسن	٣٥
يحيى بن علي بن محمد (الخطيب)	٣٥
يحيى بن محمد بن رزق	٣٩
يحيى بن يعمر البصري	٤٠٦

الاسم	الصفحة

(٥)

فهرس التعريف بالفرق

(٦)

فهرس التعريف بالأماكن

(٧)
فهرس الكلمات الغريبة والمصطلحات

(٨)

فهرس الأبيات الشعرية

(٩)

فهرس المصادر والمراجع

١) آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية/ لعمار الطالبي
ط/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع / الجزائر

٢) الأبانة عن شريعة الفرقة الناجية / لأبي عبدالله بن بطة العكبري تحقيق : الوليد محمد نبيه
ط/ دار الراية / الطبعة الأولى١٤١٨هـ

٣) أبو حامد الغزالي والتصوف / لعبدالرحمن محمد دمشقية .
ط / دار طيبة / الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ

٤) أحكام القرآن / لابن العربي المالكي .
ط / دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥) الأحكام في أصول الأحكام / للآمدي . الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ .

٦) أخبار الآحاد في الحديث النبوي / للشيخ د. عبدا لله بن جبرين .
ط / دارطيبة/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٧) أخبار القضاة / لوكيع . ط / مكتبة المدائن الرياض .

٨) الأربعين في صفات رب العلمين / للذهبي ز تحقيق : عبدالقادر صوفي . ط / مكتبة العلوم والحكم / الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

٩) الأرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد /لأبي المعالي الجويني .
تحقيق : محمد يوسف و علي عبدالمنعم . ط / مكتبة الخانجي - مصر -١٣٦٩هـ

١٠) أساس التقديس في علم الكلام / للرازي .
ط / دار الفكر اللبناني -بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

١١) أسماء ا لله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة / د. عمر الأشقر.
ط / دار النفائس - الأردن . الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٢) الأسماء والصفات / للبيهقي . تحقيق : عبدا لله الحاشدي . ط / مكتبة السوادي . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٣) أصل الاعتقاد – دراسة حديثية /د. عمر الأشقر .
ط / الدار السلفية – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / للشنقيطي .
ط / مكتبة ابن تيمية – القاهرة ١٤٠٨هـ.

١٥) الأعلام / لخير الدين الزركلي .
ط / دار الملايين . الطبعة الثانية عشر ١٩٩٧م .

١٦) أم البراهين / للسنوسي . ضمن مجموع مهمات المتون .
ط / دار الفكر .

١٧) إحياء علوم الدين / للغزالي .
ط / دار الشعب – القاهرة .

١٨) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / لناصر الدين الألباني
ط / المكتب الأسلامي . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

١٩) الإشراف على مذاهب أهل العلم / لابن المنذر .
تحقيق : محمد نجيب . ط / دار إحياء التراث .

٢٠) إعلام الموقعين عن رب العلمين / لابن القيم
ط / دار الباز مكة المكرمة .

٢١) الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد / لمحمد الأمين الشنقيطي.
تحقيق : شريف هزاع / ط / مكتبة ابن تيمية – القاهرة .

٢٢) الإكليل في المتشابه والتأويل ./ لابن تيمية .(ضمن مجموع الفتاوى).

٢٣) إلجام العوام عن علم الكلام / للغزالي .(ضمن مجموعة رسائل الغزالي).
ط / دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٤) الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل /لمحمد الجليند .
ط / المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ.

٢٥) الإيمان بالقضاء والقدر / لمحمد الحمد .
ط / دار الوطن – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
٢٦) ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن ./ د. مصطفى المثنى
ط/ دار عمان / الطبعة الأولى ١٤١١هـ
٢٧) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر / د. فهد الرومي
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
٢٨) اجتماع الجيوش الأسلامية على غزو المعطلة والجهمية / لابن القيم .
ط / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
٢٩) الاعتصام / للشاطبي .
ط / دار الفكر .
٣٠) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي .
ط / دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٣١) الاقتصاد في علم الاعتقاد / للغزالي .
ط / دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٢) اقتضاء الصراط المستقيم / لابن تيمية .
تحقيق : د. ناصر العقل / الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٣٣) بدائع الفوائد لابن القيم .
ط / دار الكتاب العربي . بيروت .
٣٤) البداية والنهاية / لابن كثير .
ط / دار العلمية – الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ .
٣٥) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / لعباس السكسكي .
تحقيق : د. بسام العموش . ط / مكتبة لمنار . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
٣٦) بغية المرتاد / لابن تيمية .
تحقيق : موسى الدويش . ط / مكتبة العلوم والحكم – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٧) بغية الملتمس في تاريخ الأندلس / لأحمد بن يحيى الضبي .
تحقيق : د. روحية السويفي – ط / دار الكتب العلمية– الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
٣٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ لجلال الدين السيوطي
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط/ مطبعة الحلبي – الطبعة الأولى
٣٩) بلوغ المرام / لابن حجر العسقلاني .
تحقيق : يوسف بديوي . ط / دار ابن كثير – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٤٠) بيان تلبيس الجمهية ، تعليق محمد بن قاسم ٠
ط / مؤسسة قرطبة
٤١) البيهقي وموقفه من الإلهيات ، د / أحمد بن عطية الغامدي ٠
ط / مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة . الطبعةالثالثة ١٤١٢هـ
٤٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن مرتضى الزبيدي تحقيق : عبد الستار أحمد فراج. ط / مبطعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ ٠
٤٣) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، د / مصطفى شاهين ٠
ط / دار الثقافة للنشر والتوزيع ٠
٤٤) تاريخ الفلسفة اليونانية ٠ ليوسف كرم ٠
ط / دار القلم ٠ بيروت ٠ لبنان
٤٥) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، للمبارك فوري
ط / مؤسسة قرطبة ،الطبعة الثانية ١٤١٦هـ
٤٦) تحفة الذاكرين – للشوكاني ٠
ط / دار الكتاب العربي
٤٧) تدريب الراوي في شرح النواوي للسيوطي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ٠
ط / مكتبة الرياض الحديثة ٠
٤٨) تذكرة الحفاظ لأبي عبد ا لله الذهبي ٠
ط / دار أحياء التراث العربي ٠

٤٩) التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجمع الفتاوى الكبرى ٠
ط / دار الفكر ١٤٠٣هـ ٠

٥٠) التعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ عبد الله بن جبرين ٠
ط / دار الصميعي ١٤١٢هـ ٠

٥١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج تحقيق أحمد الدقاق ط / دار الثقافة العربية دمشق ٠ الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ ٠

٥٢) تفسير البغوي معالم التنزيل تحقيق : محمد النمر وعثمان جمعة
ط / دار طيبة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

٥٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير
ط / مكتبة دار الفيحاء الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

٥٤) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني تحقيق ياسر بن إبراهيم
ط / دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ٠

٥٥) تفسير القرطبي ٠
ط / دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

٥٦) تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة تحيق السيد أحمد صقر ٠
ط / دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٨هـ ٠

٥٧) التفكير الفلسفي الإسلامي ، د / سليمان دنيا ٠
ط / مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ ٠

٥٨) التفكير الفلسفي في الإسلام ٠ د / عبد الحليم محمود ٠
ط / دار الكتب اللبناني - بيروت

٥٩) تلبيس إبليس لابن الجوزي ، تحقيق السيد الجميلي ،
ط / دار الريان للتراث

٦٠) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر العسقلاني . ط / دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور باكستان ، توزيع رئاسة الافتاء بالمملكة العربية السعودية.

٦١) التمائم في ميزان العقيدة . د / علي بن نفيع العلياني .
ط / دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ
٦٢) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة لأبي بكر الباقلاني .
ط / دار الفكر العربي .
٦٣) التمهيد لما في المؤطا من المعاني والأسانيد لابن عبد البر تحقيق سعيد أعراب
ط / ١٣٣٩هـ
٦٤) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني .
ط / مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ
٦٥) تهذيب اللغة ، للأزهري . تحقيق عبد السلام.هارون .
ط / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والترجمة . ١٣٨٤هـ
٦٦) توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لابن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش .
ط / المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ
٦٧) تيسير العزيز الحميد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
ط / المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة
٦٨) تيسير الكريم الرحمن ، لعبد الرحمن السعدي
ط / دار المدني ، جدة ١٤٠٨هـ
٦٩) تيسير مصطلح الحديث ، للطحان .
ط / مكتبة المعارف الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ .
٧٠) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الأرنووط .
ط / دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ
٧١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن
ط / دار الفكر ١٤٠٥هـ
٧٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي عبد الله محمد بن فتحون الأزدي
ط / الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م

٧٣) الجرح والتعديل / للرازي

ط / دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة الأولى ١٣٧١هـ

٧٤) جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن حزم . تحقيق عبد السلام هارون .

ط / دار المعارف . مصر ١٣٨٢هـ .

٧٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

ط / مطابع المجد

٧٦) الجوهر النقي على سنن البيهقي ، لابن التركماني مع السنن الكبرى .

ط / دار المعرفة بيروت ١٤١٣هـ

٧٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لأبن القيم تحقيق محمد الزغلي .

ط / رمادي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٧٨) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد

ط / مطبعة دار احياء الكتب العربية . ١٣٤٧هـ

٧٩) حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين لمحمد الدسوقي .

ط / مطبعة عيسى الحلبي

٨٠) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن قاسم الحنبلي

الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٨١) حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية لأحمد بن محمد الصاوي

ط / مطبعة الاستقامة .

٨٢) حاشية رد المختار ، لأبن عابدين

ط / مطبعة مصطفى اليابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ

٨٣) الحجة في بيان المحجة في شرح عقيدة أهل السنة للأصبهاني تحقيق د . محمد المدخلي .

ط / دار الراية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ

٨٤) حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد لأمين الحاج .

ط / دار المطبوعات الحديثة ، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ

٨٥) خلق أفعال العباد ، للبخاري ،
ط / الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

٨٦) درء تعارض العقل والنقل لأبن تيمية تحقيق د / محمد رشاد سالم
ط / دار الكنوز الأدبية .

٨٧) دراسات في الفرق . د / صابر طعيمة .
ط / مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٣هـ

٨٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني . تحقيق محمد سيد
ط / دار الكتب الحديثة . الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ

٨٩) الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي ، تحقيق محمد رضوان .
ط دار الفكر - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

٩٠) دلائل التوحيد للقاسمي .
ط / دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٩١) دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر لعبد العزيز الرومي
ط / مكتبة المعارف . الرياض ١٤٠٥هـ

٩٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لأبن فرحون تحيقيق / مأمون الجنان .
ط / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

٩٣) الدين الخالص ، لصديق حسن خان بدون طبعة ولا تاريخ

٩٤) ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د / احسان عباس .
ط / دار الثقافة بيروت .

٩٥) ديوان لبيد بن أبي ربيعة .
ط / دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ

٩٦) ذم التأويل لابن قدامه المقدسي تحيقيق / بدر البدر
ط / الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

٩٧) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها. د / أحمد بن ناصر آل حمد

ط / جامعة أم القرى . الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ، لعمر بن محمود

ط / دار الراية .

٩٨) الرد على الأخنائي لابن تيمية .

ط / الرئاسة العامة للافتاء ١٤٠٤هـ

٩٩) الرد على الجهمية للإمام الدارمي تحقيق بدر البدر .

ط / الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

١٠٠) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري .

ط / مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٠١) البرهان في أصول الفقه / للجويني .

تحقيق : د. عبدالعظيم الديب .

١٠٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم . تحقيق ، شعيب الأرنووط وعبد القادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة. الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ

١٠٣) سراج المريدين ، لابن العربي

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٢٠٣٤٨)

١٠٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألباني

ط / المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ

١٠٥) السنة للخلال ، تحقيق د / عطية الزهراني

ط / دار الراية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

١٠٦) سنن أبي داود ، لأبي داود السجستاني

ط / مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

١٠٧) سنن إبن ماجة

ط / دار الفكر – بيروت

١٠٨) سنن الترمذي ، تحقيق / ابراهيم عطوه
ط / مطبعه مصطفى الحلبي الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ
١٠٩) سنن الدارمي .
ط / دار الكتب العلمية ، بيروت
١١٠) السنن الكبرى للبيهقي .
ط / دار المعرفة بيروت ١٤١٣هـ
١١١) سنن النسائي - بشرح السيوطي -
ط / دار البشائر بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ
١١٢) سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله الذهبي ، تحقيق/ مأمون الصاغرجي
ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ
١١٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق محمود ابراهيم. ط / دار الكتب العلمية ، بيروت
١١٤) شأن الدعاء للخطابي .
ط / دار المأمون ١٤٠٤هـ
١١٥) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لحمد بن مخلوف .
ط / دار الفكر . بيروت
١١٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي
ط / دار الفكر ١٤١٤هـ
١١٧) شرح أسماء الله الحسني للرازي
ط / دار الكتب العربي الطبعة الثانية ١٤١٠هـ
١١٨) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن وهف ، ط / مبطعة سفير. الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ
١١٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي تحقيق د / أحمد بن سعد الغامدي . ط / دار طيبة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ .

١٢٠) شرح أم البراهين ، للسنوسي

ط / مطبعة الاستقامة ، ١٣٥١ هـ

١٢١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي . تحقيق د / عبد الكريم عثمان

الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ

١٢٢) شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش. ط / المكتب الإسلامي

١٢٣) شرح الشفافي حقوق المصطفى . لعلي القاري . ط / دار الكتب العلمية . بيروت

١٢٤) شرح العقيدة الطحاوية لأبن أبي العز تحقيق أحمد شاكر .

ط / الرئاسة العامة للإفتاء . الرياض ١٤١٣هـ .

١٢٥) شرح العقيدة الواسطية للهراس ،

ط / دار الهجرة. الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ

١٢٦) شرح العقيدة الواسطية ، د / صالح الفوزان

ط / مكتبة المعارف ، الرياض الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ

١٢٧) شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين تحقيق أشرف عبد المقصود

ط / مكتبة طبرية الرياض .

١٢٨) شرح القصيدة النبوية للهراس ،

ط / دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤١٥هـ

١٢٩) شرح الكواكب المنير ،

ط / مكتبة العبيكان ١٤١٣هـ

١٣٠) شرح الموافف للجرجاني ، تحقيق د / أحمد المهدي

ط / الحمامي

١٣١) شرح حديث النزول . لأبن تيمية تحقيق د / محمد الخميس ،

ط / دار العاصمة الرياض . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

١٣٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان

ط / مكتبة لينة ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

١٣٣) شرح مختصر الروضة للطوفي تحقيق د / عبد الله التركي

ط / مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١٣٤) الشرح والإبانة على اصول الديانة ، لأبن بطة العكبري تحقيق د / رضا نعسان .

الطبعة الثانية ١٤١١هـ

١٣٥) الشريعة للآجري ، تحقيق د / عبد الله الدميجي

ط / دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

١٣٦) شفاء العليل ، لأبن القيم تحقيق مصطفى الشلبي ، ط / مكتبة السوادي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

١٣٧) الصارم البتار للتصدي للسحرة الاشرار لوحيد عبد السلام بالي

ط / مكتبة الصحابة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

١٣٨) الصحاح / تحقيق أحمد عبد العزيز

ط / دار العلم بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

١٣٩) صحيح الجامع الصغير وزيادته لناصر الدين الألباني

ط / المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ

١٤٠) صحيح سنن أبي داود لناصر الدين الألباني.

ط / مكتب التربية لدول الخليج ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٤١) صحيح سنن ابن ماجة . لناصر الدين الألباني

ط / مكتبة التربية العربي ، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

١٤٢) صحيح مسلم

ط / دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

١٤٣) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف

ط / دار الهجرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

١٤٤) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة لمحمد بن أمان الجامي
ط / دار الفنون جدة . الطبعة الثانية ١٤١١هـ
١٤٥) الصلة ، لأبي القاسم ، خلف بن عبد الملك بن بشكوال
ط / الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦م
١٤٦) الصواعق المرسلة لابن القيم تحقيق د / علي الدخيل الله .
ط / دار العاصمة . الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ
١٤٧) الطبقات الكبرى لابن سعد
ط / دار صادر، بيروت
١٤٨) طبقات المفسرين / للداوودي
ط / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ
١٤٩) طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام أبي بكر بن القيم
ط / دار الوطن
١٥٠) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي
ط / دار الكتب العلمية . بيروت
١٥١) العبودية لابن تيمية ، تحقيق بشير عون
ط / دار الوعي الإسلامي
١٥٢) عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان د / سليمان الغصن
ط / دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ
١٥٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني تحقيق د / ناصر الجديع
ط / دار العاصمة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ
١٥٤) العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
١٥٥) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية . للجويني تحقيق حجازي السقا
ط / مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٩٩هـ

١٥٦) علاقة الإثبات والتفويض / للدكتور رضا نعسان
ط / دار الهجرة الطبعة السادسة ١٤١٦هـ
١٥٧) العلو للعلي الغفار للذهبي .
ط / دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية
١٥٨) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، للعيني
ط / مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ
١٥٩) عمل اليوم والليلة للإمام النسائي تحقيق د / فاروق حمادة
ط / مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ
١٦٠) العواصم من القواصم ، لأبي بكر بن العربي تحقيق : محب الدين الخطيب
ط / دار الكتب السلفية . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
١٦١) العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي تحقيق د / عمار طالبي
ط / دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ
١٦٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليماني تحقيق شعيب الأرناؤوط
ط / مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
١٦٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي
ط / مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ
١٦٤) غاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الآمدي ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف . ط / مطابع الأهرام التجارية بالقاهر ١٣٩١هـ
١٦٥) الغنية فهرس شيوخ القاضي عياض لأبي الفضل عياض الأصبحي تحقيق د / محمد عبد الكريم
ط / الدار العربية لكتاب . ليبيا . ١٩٧٩م
١٦٦) الفتاوى الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية
ط / دار الفكر ١٤٠٣هـ

١٦٧) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد الدويش
ط / الرئاسة العامة للافتاء الطبعة الأولى ١٤١١هـ
١٦٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني
ط / مكتبة الرياض الحديثة .
١٦٩) فتح القدير / للشوكاني
ط / دار الفكر ١٤٠٣هـ .
١٧٠) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن .
ط / دار الحديث بجوار إدارة الأزهر .
١٧١) الفتوى الحموية الكبري لشيخ الإسلام ابن تيمية .
ط / مطبعة المدني ، جدة ١٤٠٣هـ
١٧٢) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
ط / المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٣هـ
١٧٣) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي .
ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ
١٧٤) قانون التأويل لأبي بكر بن العربي تحقيق محمد السليماني .
ط / دار القبلة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ
١٧٥) قانون التأويل للغزالي ، ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي .
ط / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ
١٧٦) القضاء والقدر . د / عمر الأشقر
ط / دار النفائس ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ
١٧٧) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ، د / عبد الرحمن المحمود
ط / دار النشر الدولي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
١٧٨) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د . / ابراهيم البريكان
ط / دار الهجرة الطبعة الثانية ١٤١٥هـ

١٧٩) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى / لابن عثيمين

ط / دار الأرقم - الكويت الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ

١٨٠) القول المفيد على كتاب التوحيد - لابن عثيمين جمع وترتيب د / سليمان أبا الخيل ود / خالد المشيقح. ط / دار العاصمة . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

١٨١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق عبد الله الحاشدي

ط / مكتبة السوادي جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

١٨٢) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني

ط / مكتبة لبنان . بيروت ١٩٩٠م

١٨٣) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب للإمام ابن خزيمة بتعليق محمد خليل هراس .

ط / دار الكتب العلمية بيروت

١٨٤) كتاب السنة لابن أبي عاصم .

ط / المكتب الإسلامي . الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ

١٨٥) كتاب الصفات للدار قطني تحقيق د / عبد الله الغنيمان

ط / مكتبة الدار ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

١٨٦) كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم

ط / دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٨٧) كتاب القبس في شرح مؤطا مالك بن أنس لأبي بكر بن العربي تحقيق د / محمد ولد كريم. ط / دار الغرب ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م

١٨٨) الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي تحقيق د / أحمد عمر ، ط / دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

١٨٩) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز السلمان

ط / مكتبة الرياض الحديثة .

١٩٠) لسان العرب لابن منظور

ط / دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ

١٩١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، للسفاريني

ط / المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤١١هـ

١٩٢) متن الشافية الكافية في علم العربية ، لابن مالك .

ط / مطبعة الهلال بمصر .

١٩٣) المتوسط في الاعتقاد ، لأبي بكر بن العربي

مخطوط ، الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم (٢٩٦٣) .

١٩٤) المجموع شرح المهذب للنووي

ط / دار الفكر

١٩٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

ط / جلالة الملك فهد بن عبد العزيز

١٩٦) المحصول في علم الأصول ، لابن العربي تحقيق عبد اللطيف الحمد ، مطبوع على آلة كاتبة.

١٩٧) المحلي لابن حزم تحقيق أحمد شاكر

ط / مكتبة دار التراث . القاهرة

١٩٨) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . لعبد العزيز السلمان .

الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ

مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصار محمد الموصلي

ط / دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١٩٩) مختصر العلو للذهبي بتحقيق الألباني

ط / المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ

٢٠٠) مختصر الفتاوى المصرية .

ط / دار ابن القيم الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ

٢٠١) مدارج السالكين لابن القيم

ط / دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

٢٠٢) مدرسة التفسير في الأندلس ، لمصطفى المشني
ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ
٢٠٣) مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات لأحمد بن عبد الرحمن القاضي
ط / دار العاصمة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ
المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة . جمع وتحقيق
د / عبد الإله الأحمدي .
ط / دار طيبة . الطبعة الثانية ١٤١٦هـ
٢٠٤) المستصفى من علم الأصول – للغزالي
ط / المطبعة الأميرية ، بمصر الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ
٢٠٥) مسند الإمام أحمد ، تحقيق / أحمد شاكر
ط / دار المعارف ١٣٦٩هـ
٢٠٦) مسند الإمام أحمد .
ط / المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ .
٢٠٧) المسودة في أصول الفقه ، جمع أحمد بن محمد الحراني . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط / دار الكتاب العربي ، بيروت
٢٠٨) مشكاة المصابيح للتبريزي تحقيق ناصر الدين الألباني
ط / المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ
٢٠٩) مشكل الآثار للطحاوي .
ط / دار صادر ، الطبعة الأولى
٢١٠) المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي
ط / المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ
٢١١) مع القاضي أبي بكر بن العربي ، لسعيد أعراب ،
ط / دار الغرب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٢١٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول للحافظ أحمد حكمي
ط / المطبعة السلفية ، مكة المكرمة

٢١٣) معجم البلدان لياقوت الحموي تحقيق فريد الجندي
ط / دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

٢١٤) المعجم الفلسفي . د / جميل صليبا
ط / دار الكتاب اللبناني . بيروت

٢١٥) معجم المؤلفين . لعمر رضا كحالة
ط / دار أحياء التراث العربي ، بيروت

٢١٦) المعجم في أصحاب الصدفي . لابن الآبار
ط / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ

٢١٧) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون .
ط / دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ

٢١٨) المغني لابن قدامة تحقيق د / عبد الله التركي و د / عبد الفتاح الحلو
ط / هجر للطباعة والنشر . القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٢هـ

٢١٩) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم
ط / مكتبة حميد و الإسكندرية الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ

٢٢٠) المفردات للراغب الأصفهاني / تحقيق صفوان عدنان
ط / دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤١٨هـ

٢٢١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ،
ط / فراتز شتايز الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ

٢٢٢) مقدمات ابن رشد ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد
ط / مطبعة السعادة بمصر

٢٢٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
ط / دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ

٢٢٤) المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي تحقيق محمد عثمان
ط / مكتبة القرآن . القاهرة

٢٢٥) الملل والنحل للشهرستاني - تحقيق أمير مهنا وعلي فاعور
ط / دار المعرفة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ

٢٢٦) مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لابن رشد تحقيق د / محمود قاسم
ط / مكتبة الانجلو الطبعة الثانية .

٢٢٧) منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم
ط / مكتبة ابن تيمية القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ

٢٢٨) المنهاج في شعب الإيمان ، للحليمي ،
ط / دار الفكر الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ

٢٢٩) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى. لخاد عبد اللطيف نور.
ط / مكتبة الغرباء الأثرية . المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

٢٣٠) منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة د / أحمد آل عبد اللطيف
ط / مركز الملك فيصل الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

٢٣١) منهج الاستدلال علىمسائل الاعتقادعندأهل السنة لعثمان على حسن
ط / مكتبة الرشد - الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ

٢٣٢) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد د / ابراهيم البريكان مطبوع على آلة كاتبة.

٢٣٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي
الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ

٢٣٤) المواقف في علم الكلام ، للإيجي
ط / عالم الكتب ، بيروت

٢٣٥) الموطأ للإمام مالك بن أنس ، بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي
ط / عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٣٦) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع د / إبراهيم الرحيلي
ط / مكتبة الغرباء الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٢٣٧) موقف ابن تيمية من الاشاعرة . د / عبد الرحمن المحمود .
ط / مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية لعبد الحفيظ المكي
ط / دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

٢٣٨) موقف المتكلمين من نصوص الكتاب والسنة د / سليمان الغصن
ط / دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

٢٣٩) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله الذهبي تحقيق علي محمد البجاوي ،
ط / دار المعرفة بيروت

٢٤٠) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق ، محمد عوض ،
ط / دار الكتاب بالعربي الطبعة الأولى .

٢٤١) نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقري .
ط / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٢٤٢) النكت على نزهة النظر لعلي حسن عبد الحميد
ط / دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

٢٤٣) نهاية الاقدام للشهرستاني
ط / مكتبة المتنبي ، القاهرة

٢٤٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ت / طاهر الرازي ومحمود الطنطاوي
ط / المكتبة العلمية ، بيروت

٢٤٥) النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد النجدي
ط / مكتبة الإمام الذهبي الطبعة الثانية ١٤١٧هـ

٢٤٦) نواقض الإيمان القولية والعملية . د / عبدالعزيز العبد اللطيف ،
ط / دار الوطن ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

٢٤٧) هداية المريد إلى جوهرة التوحيد لبكري رجب

ط / دار الخير الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

٢٤٨) الورقات لأبي المعالي الجويني

ط / مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر .

٢٤٩) وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان لابن خلكان : تحقيق د / احسان عباس

ط / دار صادر . بيروت

(١٠)

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الثالث

توحيد الأسماء والصفات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة